nesemat.com

نسمات

للدراسات الاجتماعية والحضارية

التاريخ وبناء الإنسان
محمد جكيب

الإصلاح التربوي عند كولن
ميمون قرمون

الذائقة الجمالية عند فتح الله كولن
ناصر أحمد سنه

نسمات
8

دار الأبعاد للنشر والتوزيع

8
الإصدارة الثامنة
نوفمبر ٢٠١٩

محتويات

الإنسانية الصالحة / نسمات ١

التاريخ وبناء الإنسان / محمد جكيب ٢

الإسلام والمرأة / فاروق مرجان..... ١٤

الذائقة الجمالية عند فتح الله كولن / ناصر أحمد سنه ٢٨

الإصلاح التربوي عند كولن
مؤسسة الأسرة نموذجًا / ميمون قرمون ٤٦

الخدمة.. من فقه الأزمة إلى فقه العمل / محمد ياسين ٥٨

أنفاس القلب
قراءة في أعماق النفس البشرية / عبد العزيز معروف ٦٩

أطفال في سجون أردوغان / نسمات ٧٨

تصفية ممنهجة للقطاع الصحي في تركيا / نسمات ١٠٠

www.nesemat.com
facebook.com/nesematstudies
nesemat@yahoo.com
twitter.com/nesemat_com

الإنسانية الصالحة

العجيب في ثنائية الإنسان والكون أن كليهما مخلوقان لله عز وجل، وأن عمارة الثاني مرتبط بصلاح الأول وتزكيته لنفسه، فكلما ازدان داخل الإنسان وعمرت نفسه بالفضائل تجلى ذلك في الكون نورًا وبهاء يشع في جنباته كلها، وأثمر الانسجام بينهما تحقيق العبودية الخالصة لخالق هذا الكون ومدبر أمره.

ومن هنا كان سعي الأنبياء العظام والأولياء الفخام والمصلحين المجتهدين إلى تصحيح مسار الإنسانية نحو صلاحها ورشدها، وحثِّ الإنسان على الدأب والمثابرة وفق منهج رباني وتربية نبوية للوصول إلى الكمال البشري، وقطع المسافات نحو خالقه وخالق هذا الكون. فالإنسان هو أرقى المخلوقات وهو ثمرة الوجود، وهو مصدر مشاكل الإنسانية إذا تعذر صلاحه، وهو مصدر الحلول إذا تربى وفق المنهج الذي ارتضاه الله له.

وفي مسيرة هذه الإنسانية الصالحة التي وظف الله من أجلها المرسلين والمصلحين تحتل المرأة مكانة سامية، ففيما يتعلق بالبشرية والعلاقات الإنسانية مع الله، فلا فارق بين النساء والرجال، فهم متساوون فيما يتعلق بحقوقهم ومسؤولياتهم؛ وأي تخلٍّ أو انتقاص أو تمييز في هذه الحقوق والمسؤوليات هو انحراف بالبشرية عن صلاحها، وتنكب لها عن مسار رشدها.

لذلك تكتسب مؤسسة الأسرة دورًا محوريًّا في بناء صرح الإنسانية الصالحة -وفي القلب منها المرأة زوجًا وأمًا وأختًا- إذا ما تأطرت بروح القرآن الكريم وعطر السنة النبوية، وهذا ما توخاه الأستاذ فتح الله كولن -قولاً وفعلاً ومؤسسات- في مشروع الخدمة المبارك المستمد من نهج القرآن العظيم وسيرة سيد المرسلين وأصحابه الغر الميامين.

كما توخى أيضًا لكي تحقق الإنسانية صلاحها، الذي به تعمر كونها أن يؤكد على النظر إلى هذا الكون نظرة تكاملية مرجعها الفهم الصحيح للإسلام، واكتشاف حقيقة الوجود في كل أبعاده، ومنه البعد الجمالي؛ فدعا الأستاذ كولن إلى تنمية الذائقة الجمالية، وتهيئة البيئة المناسبة لتربية النشأ على تذوق الجمال والإحساس به، والتجاوب مع الفطرة الإنسانية التي تحب الجمال وتبحث عنه، وتنفر من القبح وتتجنبه.

ورغم قساوة المحنة ورياحها الهوجاء التي تقتلع الأشجار الراسخة من جذورها، ولا تحنو على البراعم في هيجانها فلا تزال أيدي أبناء الخدمة تمتد بيد الشفقة إلى كل من يحتاجها، ولا تزال أنفاس قلوبهم تتردد بالمحبة، وتنبض بالود والحياة.

ولا يزالون يدعون الناس إلى قيم التعايش المشترك والحوار البناء، والقضاء على الجهل، ونشر العلم وإيقاظ الوعي وتبني الصالح من الأقوال والأفعال، ومن ثم فالساعون إلى تقويض مشاريعها، والاعتداء على أبنائها، إنما يستهدفون تعطيل ركب هذه القافلة نحو مسيرة الإنسانية الصالحة، والقعود بها في أودية الخراب والضياع والفشل، وإحلال اليأس محل الأمل.

لكن أنى لهم ذلك، وقد ذاق أبناء الخدمة حلاوة الطريق وتنسموا عبيره، وشاهدوا بأعين قلوبهم أمارات الفوز من وراء الحجب، وقديمًا قال الشاعر:

مَنْ ذَاقَ طعمَ شرابِ القومِ يَدْرِيه
وَمَنْ دَرَاهُ غَدَا بالرُّوح يَشْرِيه.

التاريخ وبناء الإنسان

محمد جكيب

د. محمد جكيب، أستاذ بجامعة شعيب الدكالي بالمغرب، حصل على دكتوراه الدولة في الآداب سنة ٢٠٠٢م. عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية منذ سنة ١٩٩٤م. عضو مؤسس لمنتدى الحوار الأدبي. مؤلف كتاب "أشواق النهضة والانبعاث قراءة في مشروع الأستاذ فتح الله كولن الإصلاحي". شارك في عديد من المؤتمرات والندوات المحلية والدولية داخل المغرب وخارجه.

إن الإنسان كائن ضعيف في أصله، لكن الله ﷻ شرفه على بقية الكائنات، ووضع فيه من الإمكانات التي تؤهله لأن يرتقي في مقامات العبودية لله تعالى فيحقق صالحه الداخلي ويفيض صلاحًا على المجتمع الذي يعيش فيه.

ولكن كيف ينظر الأستاذ كولن إلى الإنسان ووظيفته في الوجود؟ وما هو المصدر الذي يستقي منه هذا المفهوم؟ وما معنى وراثة الأرض؟ وهل الأزمة التي يعيشها إنساننا اليوم أزمة كل عصر؟ وكيف يمكن لتاريخ النبوة أن يصبح مصدرًا لفهم الواقع اليوم والتعامل معه؟ ومن هو الإنسان الكامل الذي يجب أن يكون القدوة؟ وهل نكران الذات يلعب دورًا هامًّا في إيضاح المعنى الذي خُلق الإنسان لتحقيقه؟ كل هذه الأسئلة وأكثر يتناولها هذا البحث بالإيضاح والشرح والمناقشة.

يستقي فتح الله كولن نظرته للإنسان ويحدد مفهومه له، من طبيعة تحديد القرآن الكريم له باعتباره وحيًا، ومما تقرره سنة خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ، فالإنسان في القرآن الكريم هو مدار التكليف، وهو كما يقول بديع الزمان سعيد النورسي "ثمرة شجرة الخلق". وقد حدد الله ﷻ الغاية والهدف لهذه الثمرة؛ وهو تحقيق العبودية مع توسيع مجال هذه العبودية، إلى أبعد حد يمكن لمدارك الإنسان الوصول إليها.

وإذا كان الله ﷻ قد أفصح عن بعض مظاهر العبودية من خلال التكاليف المباشرة كالصلاة والدعاء والحج وغيرها من التكاليف الأخرى، فإن الجوانب الأخرى لهذه العبودية تظل مفتوحة على الآفاق ومتجددة المظاهر، ومسالك الأفراد كل فرد حسب استعداده الفكري والروحي والعقدي، لكن دون الغفلة عن وجود جوانب من العبادة يرغب فيها الواصلون والعارفون بالله، ويوصي بها الأنبياء والرسل عليهم السلام، وفي مقدمة من يلحون على تنويع مظاهر هذه العبودية الرسول ﷺ.

المتأمل في شمولية مشروع الأستاذ فتح الله كولن الإصلاحي والإعماري الحضاري، وفيما حققه مشروع الخدمة من حضور على صعيد تمثُّل صورة حية للإسلام الوسطي المعتدل، يقف على يقينية كون خطوات منهج الرسول ﷺ في تحقيق مظاهر العبودية ببعدها الشمولي يؤدي بالضرورة إلى إعادة إنتاج ثمرة الخلق الطيبة والصالحة، التي إذا ذاقها العالم

الإنسان أرقى المخلوقات، فهو ثمرة الوجود، وهو متصل برؤية الوراثة من زاوية وعد الله الثابت، بأن تكون وراثة الأرض للصالحين من عباده.

nesemat.com نسمات nesemat.com

وجد لذتها، وإذا لامست تربة أحيتها وأخرجت بإذن الله ﷻ جنات ذات عيون وثمار وارفة الظلال يحظى كل من استظل بها بالطمأنينة. هذه الرؤية المثالية كما قد يجدها البعض، استطاع الرسول ﷺ في مدة زمنية وجيزة أن يبني بها معالم الإنسان الذي يبني ويشيد، ويضع كل طاقته في خدمة الإنسان في كل مكان، بدعوته إلى قيمة التمسك بالعبودية لله ﷻ.

بُعْد الوراثة

إن مفتاح فهم رؤية فتح الله كولن للإنسان تتمثل في كونه يراه أرقى المخلوقات، وكما هو ثمرة الوجود، فهو متصل برؤية الوراثة من زاوية وعد الله الثابت؛ بأن تكون وراثة الأرض للصالحين من عباده.

إذ يقتضي لتحقق هذه الوراثة، أن يحقق الإنسان العبودية الكلية التي تستغرق جميع كيان الإنسان وجميع تصرفاته وكل مظاهر علاقته بخالق الوجود وتفاعله مع الوجود، وبشرط تحقيق كل مظاهر الصلاح والفلاح، التي يحتويها مفهوم "الإنسانية الصالحة"، التي تجمع في بوتقة واحدة الذاتَ والغير على أنهما كيان واحد، وهذه الرؤية العميقة ليست مجرد اقتناع نظري ولا مجرد إيمان فحسب، بل هي حقيقة عملية أو حقيقة حركية تستوجب

الوراثة عند فتح الله كولن هي نوع من أنواع تحقيق العبودية، إن لم نقل إنها العبودية المطلقة أو هي العبودية نفسها.

nesemat.com نسمات nesemat.com

الأخذ بالأسباب والأخذ بالسنن الكونية، التي سنَّها مُوجد الوجود وفاطره، بالإضافة إلى ما يقتضيه ذلك كله من مكابدة ومجاهدة على جادة الوصول إلى المطلوب، وهو تحقق الإنسان الوارث والصالح الذي سيرث الأرض ليعمرها ويبنيها.

الوراثة عند فتح الله كولن، ومن هذه الزاوية نوع من أنواع تحقيق العبودية، إن لم نقل إنها العبودية المطلقة أو هي العبودية نفسها، من هنا يبدو الإنسان ملزمًا بتحقيق الوراثة مادام ملزمًا بتحقيق العبودية، التي هي مناط التكليف الإلهي للإنسان، لكن الوراثة ليست سهلة المنال، لأن الذي يمنحها شاء أن تكون مقرونة بشرط تحقق الصلاح، والصلاح مكابدة مستمرة وحركية لا تنقطع. فالوصول إلى هذا التشريف يقتضي التحلي بالصبر والتضحية.

إذا كان الإنسان هو ثمرة شجرة الخلق، فإن الذي يغرس يظل اهتمامه وبصره مركَّزًا على ما سيخرجه الغرس من ثمرة، فالإنسان نفسه قد يغرس في مكان ما شجرة، ثم هو يرعاها ويتعهدها ويسقيها، ولا تغادرها عينه مركِّزًا على أعاليها، ينتظر ما تجود به من ثمار.

فعلى هذا الأساس وكما بيَّن ذلك الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي فإن هذه الثمرة هي محمد ﷺ، أي إن شجرة الخلق قد أثمرت ثمارًا هي الإنسان، وثمرة الثمرة هي محمد ﷺ، باعتباره الصورة التي اكتملت فيها كل مكونات الثمرة الكاملة، واكتملت فيها كل مكونات الإنسان الكامل.

الإنسان وتربية الرب

لكي يصل الإنسان إلى هذه المرتبة العظيمة يلزمه التحلي بصفات خاصة، والتخرج من مدرسة الله ﷻ -إن صحَّ هذا التعبير وإن لم يكن في ذلك سوء أدب مع الله ﷻ- لأن الله ﷻ وكما يخبر بذلك في أول سورة من الكتاب العظيم في فاتحة القرآن، بأنه هو رب العالمين، وكلمة رب مصدر بمعنى اسم الفاعل، أو تتضمن معنى اسم الفاعل أي المربِّي، إذ تصير التربية هي عين المربي،كـما يذكـر فتح الله كولن في تفسير سورة الفاتحة.

والتربية هنا تعني أن الله ﷻ قد دلَّ الإنسان على الجنة وعلى الطريق المؤدية إليها من خلال إعمار الأرض، كما عرفَّهم بجهنم وبيَّن كل ما يُردي فيها، وهو الذي اختار الرسل وأرسلهم ليدلوا باقي البشر على الله ﷻ، وعلى ما يكسب رضاه تعالى ويقيهم غضبه المؤدي إلى عذابه في جهنم، وهو الذي تحدث في القرآن الكريم عن الكون وشرحه باسطًا كل خصائصه أمام الإنسان.

الله ﷻ هو مربي المخلوقات التي تأتي إلى عالم الوجود، كل مخلوق بحسب ما سُخِّر له، فبعضها سُخِّر ليكون دالاً على الله، ومكلفًا بأن يكون مرشدًا

للإنسان في طريقه إلى معرفة الله ﷻ، ومعينا له على التحقق بالعبودية. وبعضها سُخِّر ليسبِّحه في كل وقت وحين، وبعضها خُلِق ليكابد من أجل أن يحوز المقامات والمراتب، وأن يسافر إلى الخالق، وجعل مكابدته على الأرض وإعمارها هو سبيل عبادته.

لن تستطيع البشرية الوصول إلى الكمال إلا بالتربية، التي وُضع مقررُها في القرآن الكريم وقام الرسول الكريم ﷺ باعتباره معلمًا وقدوةً، ببسطها وتفصيلها للناس جميعًا. هنا يؤكد الأستاذ أن تحقق معاني هذا المقرر التربوي والمداومة عليه والعيش في كنفه، قد تحقق في عصر السعادة كما لم يتحقق في عصر آخر، في ظل مرشد الإنسانية الأخير في زمن الإرسال، والأول في الخلق في دائرة الغيب.

الإنسان في منظور الأستاذ فتح الله كولن مخلوق لا يثمر إلا بعملية التربية، لأنه إذا لم يُربَّ فسد، وإثمار الإنسان هو أن يصل إلى الكمال أو إلى قاب قوسين البشرية الكاملة. فالإنسان من هذا المنظور حلقة ضمن نظام الكون كله الذي خلقه الله ﷻ وفق نظام دقيق جدًّا، ولكي لا يُفسد الإنسان نظام الوجود هذا، ولكي تظل حركة نظام الوجود مستمرة وفق الناموس الإلهي الدالِّ عليه، ينبغي أن يحافظ الإنسان على عبوديته لله تعالى، أما إذا اختل نظام العبودية، فإن التوازن الكوني وعلاقة الخالق بمخلوقاته، وتصرفها وفق الناموس الذي ارتضاه لها سيختل. ولذلك توجب تربية الإنسان وفق المنهج

إن شجرة الخلق قد أثمرت ثمرة الإنسان، وثمرة الثمرة هي محمد ﷺ، باعتباره الصورة التي اكتملت فيها كل مكونات الثمرة الكاملة، واكتملت فيها كل مكونات الإنسان الكامل.

nesemat.com نسمات nesemat.com

الذي سطره الله ﷻ حتى يضمن بذلك حركة الوجود وفق هذا الناموس الإلهي. فالإنسان لكي يستحق هذه الصفة في حاجة أكيدة إلى أن يتربى التربية الإلهية، أو لنقل لكي يستحق الإنسان هذه الصفة ينبغي أن يتربى وفق المنهج الذي ارتضاه الله له.

أزمة الإنسان أزمة كل عصر

تكمن أزمة الإنسان اليوم في ابتعاده عن هذه التربية التي ارتضاها له الربّ، وتخليه عن الأخلاق الإلهية، وفشل جميع المناهج الوضعية التي ادعى أصحابها توصلهم إلى إدراك حقيقة الإنسان، كما ادعت أغلب المذاهب الوضعية والفلسفات والأ يديولوجيات المادية، أنها تستطيع الإجابة عن أسئلة الإنسان الوجودية وأن تقنع فضوله الوجودي المتعلق بأصله ومصيره ومهمته في الحياة وعلاقته بالكون والوجود، ومن أين جاء وإلى أين يمضي؟

الإنسانية في نظر فتح الله كولن ما تزال في طفولتها الأولى تتهجى حروف الحقائق المتعلقة بالإنسان والكائنات وما وراء الطبيعة، رغم ما حققه التقدم العلمي، والتطور التكنولوجي من تقدم وتطور، لكن الأنبياء والرسل باعتبارهم مخبرين عن

nesemat.com نسمات nesemat.com

إن الأنبياء بَلَغوا العلم والمعرفة بفضل سعة قلوبهم وعلاقتهم الخاصة بالله تعالى، إلى جانب كمال عقلهم وحسهم وشعورهم وإدراكهم.

الغيب قد وقفوا مليًّا على أغلب الحقائق إن لم نقل كل الحقائق الإلهية، وفصَّلوا فيها القول وبسطوا معطياتها امتثالاً لأمر الله الذي بعثهم للناس، يقول:

"وإذ لا زالت البشرية تتهجى في أيامنا هذه حروفَ الحقائق المتعلقة بالإنسان والكائنات وما وراء الطبيعة مع توسعها العلمي وتقدمها التكنولوجي، فإن الأنبياء وقفوا مليًا -وبجد- على هذه الحقائق منذ آلاف السنين، وقالوا بالتمام لأممهم ما ينبغي أن يقال في شأن الرجوع بالأشياء لصاحبها؛ فبعضهم أجمل وبعضهم فصَّل، وذلك بجَهازهم الخارق للعادة، ومكانتهم الخاصة عند الحق تعالى، والتبليغات المتوالية من الماورائيات".

نفهم من هذا أن الرسل جميعًا وفي مقدمتهم محمد ﷺ قد تمثلوا الأخلاق الإلهية، فهم جميعًا أنبه بني البشر أو لنقل أنبه البشر، وأكثرهم سعة وقابلية لتمثل معنى الربّ، وتمثل دلالة أن يجهز الخالق مخلوقاته وخاصة ثمرة شجرة الخلق الإنسان بما يزيد، ويربي استعدادهم لتقبل حقيقة الخلق ونظامه الدقيق والمركب، يقول فتح الله كولن معمقًا هذه الأبعاد:"ولم يبلُغ الأنبياء هذه الحقائقَ بطرق البحث العلمية الشائعة في العصر الحالي، ولا بالمناهج التجريبية؛ بل بَلَّغوا هذا العلم والمعرفة بفضل سعة قلوبهم وعلاقتهم الخاصة بالله تعالى، إلى جانب كمال عقلهم وحسهم وشعورهم وإدراكهم، كمالاً يتعدى حدود التصور الإنساني؛ فرأوا أن الوجود كله في تصرف قدرة قاهرة، وأطلوا على وحدة العلم والإرادة المهيمنة في كل مكان وكل شيء، وقرؤوا وفسروا الشهود والمعالم والإشارات المنادية بالواحد الأحد في سيماء كل الأشياء والأحداث، ثم أعلنوا أنهم دعاة التوحيد في المشاعر والفكر والاعتقاد."

فعلم الأنبياء هو من علم الله، وقد يكون فيما عند الأنبياء من علم بعض الكسب باعتبارهم بشرًا، لكن أصل العلم الدال على الخالق وهبي من جهة اصطفاء الله لهم ليكونوا رسلاً منه إلى كافة البشر منذ خلق آدم عليه السلام ونزوله إلى الأرض، وإلى آخر الرسل والأنبياء محمد عليه السلام.

إن النموذج الكامل للإنسان قد مثله الله ﷻ في الأنبياء والرسل عليهم جميعًا السلام. وأكمل نموذج إنساني ضمن زمرة الأنبياء والرسل هو محمد ﷺ، فهو نموذج الإنسان الكامل في دائرة الكمال لأنه أتم ممثل لأخلاق الرب، وأتم ممثل للصورة التي تحقق الانسجام المثالي بين مختلف مكونات الوجود والكون الذي صنعه الله ﷻ وجعله وفق نظام دقيق جدًّا. بعبارة أخرى إن الانسجام الكلي والمثالي لنظام الكون والوجود كما خلقه الله ﷻ، تمثله كاملية الذات المحمدية.

لقد أضاف كل نبي من الأنبياء، وكل رسول من الرسل عليهم السلام إلى هذه الكاملية إضافات،

وبكلام آخر لقد كُلِّف كل نبي بأن يضيف إلى هذه الكاملية، حتى انتهى ذلك إلى الرسول محمد ﷺ الذي يمثل النموذجية المثالية للإنسان الكامل، أو النموذج المثالي للكاملية البشرية.

لقد خلق الله الإنسان وكل المخلوقات الأخرى من أجل مهمة مركزية كما سبقت الإشارة إلى ذلك وهي العبودية يقول تعالى: ﴿وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون﴾(الذاريات:٥٦) وأرقى من تمثَّل ومثَّل هذه العبودية هم الأنبياء والرسل عليهم السلام وقد جعلهم الله ﷻ بفضل هذا التمثيل، الذي كان تحت أعين الله ﷻ مرشدين مبلغين دالين الناس على منهج الوصول والسير إلى الكمال.

تاريخ النبوة مفسرًا موضوعيًّا للواقع

إن حياة الإنسان من هذا المنظور كلها رحلة سفر طويل في طريق الوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل. بعبارة أخرى إن إلحاح فتح الله كولن على إبراز مهمة الأنبياء والرسل عليهم السلام، يدخل في دائرة رؤية منهجية أساس تروم بناء الإنسان، على اعتبار أن الأنبياء والرسل عليهم السلام كانوا في كافة المراحل التاريخية -كل واحد حسب مكان وزمان إرساله- على رؤية واحدة ومكلفين بمهمة واحدة، وهي تبليغ الناس وإرشادهم إلى القضايا نفسها وهي الدلالة على الله ﷻ وتوجيههم إلى العبودية، ودفع الناس إلى إدراك أبعاد ذلك بالتفاعل مع كافة معطيات وجزئيات الكون والوجود.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

إن النموذج الكامل للإنسان قد مثله الله ﷻ في الأنبياء والرسل، وأكمل نموذج إنساني ضمن زمرة الأنبياء والرسل هو محمد ﷺ.

ومن هنا تأتي مواقف الإنسان ورؤيته إلى ذاته باعتباره إنسانًا، وباعتباره ذلك المخلوق، الذي إذا شاء بلوغ سعادة الروح واطمئنان القلب وإدراك الرشاد، اتبع منهج الرسل عليهم السلام والتزم بما بلغه هؤلاء كلهم وخاصة محمدًا ﷺ باعتباره خاتم الأنبياء والرسل، وباعتباره الرسول الذي اكتمل فيه المنهج.

المتمعن في هذه الرؤية يتوصل إلى خلاصة مفادها، أنَّ فتح الله كولن باعتباره مفكرًا ومعلمًا وعالمًا، صاحبُ رؤية خاصة للتاريخ، رؤية تقوم على أخذ تاريخ النبوة -كما ورد في مصادره الأساسية- مصدرًا لأخذ العبرة ومصدرًا لمنهج التعامل مع الواقع بمختلف مظاهره ومختلف تقلباته.

ودرايته الخاصة بهذا التاريخ يضعه في مصاف المؤرخين ذوي المنهج الخاص في تحليل صيرورة التاريخ وتفسيرها، ومعرفته بتفاصيل تاريخ الأمم من جهة أسباب النزول وأسباب الصعود يبرز ذلك ويؤكده، وليس مجانبة للصواب القول بأن معالم نظرية تقوم على القيم والأخلاق في تفسير التاريخ، هي الخيط الناظم لرؤية شمولية لتفسير العالم في بعده الواقعي على الأقل، بل إن هذه النظرية المتأثرة بالمنهج القرآني هي المرتكز الفلسفي لمنهج

إن فتح الله كولن باعتباره مفكرًا ومعلمًا وعالمًا، صاحبُ رؤية خاصة للتاريخ، رؤية تقوم على أخذ تاريخ النبوة مصدرًا لأخذ العبرة، ومصدرًا لمنهج التعامل مع الواقع بمختلف مظاهره ومختلف تقلباته.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

بناء الإنسان الإيجابي، أو لنقل بناء العبد المتمثل لمفهوم العبودية.

التاريخ في منهج فتح الله كولن يركز على تاريخ الأنبياء والرسل وعلاقتهم بأقوامهم وعما كان رد فعل مختلف الشعوب والأقوام والأمم تجاه رسلهم وأنبيائهم، والنتائج والعبر التي انتهوا إليها، فالتاريخ الذي ينبغي التركيز عليه في منظور فتح الله كولن، كما ركز على ذلك القرآن الكريم هو تاريخ أزمات الإنسان الوجودية خارج دائرة الزمان والمكان، التي احتاجت معها الإنسانية إلى من يدلها على طريق النجاة، ويصلح العمران ويرمم ما أفسده الإنسان نفسه.

الإنسانية في حاجة إلى مرشد كامل يتميز منهجه بالانفتاح على حاضره ومستقبله، بل إن منهجه متأصل خارج الزمان والمكان، واحتياجه ملحٌ إلى النموذج البشري الأكمل وإلى المرشد النموذجي بين الأنبياء والرسل عليهم السلام، ربما لأن الأزمات الوجودية ستكون أعظم.

يأخذ التاريخ عند كولن بعدًا مختلفًا وهو أن حقيقة التاريخ هي ذلك التاريخ الذي كان فيه الإنسان في أرقى حالات اطمئنانه الروحي وسعادته المعنوية وانسجامه الكلي مع مكونات الوجود والكون.

وهي فترات تتميز باسترشاد الإنسان بمنهج النبوة وبهديها، ولذلك نلاحظ كثرة اهتمام الأستاذ بتفاصيل عصر السعادة على سبيل المثال، وحرصه الشديد على لَفْت انتباه الوعي الجمعي إلى شموخ شخصية الرسول ﷺ باعتباره شخصية تباشر تفاعلاً إيجابيًا مع الواقع، ولَفْت الانتباه كذلك إلى من تربى في المدرسة النبوية على يد من بعث معلمًا، وهم صحابته الكرام رضي الله عنهم.

التاريخ والقدوة

القدوة مفتاح آخر من مفاتيح منهج بناء الإنسان عند كولن، على أساس قيام هذه القدوة على مكونين مركزيين:

المكون الأول: هو مكون الإنسان الكامل، الذي تلقى من ربه كل العناية الربانية حتى يصير نموذجًا متكاملاً، يُسترشد به باعتباره بشرًا نبيًا ورسولاً يوحى إليه، بمعنى أنه مرتبط بالرب الذي تولى تربيته.

المكون الثاني: هو مكون صحابة الرسول ﷺ وهم ذلك الجيل القادم من أوساط اجتماعية وثقافية وفكرية ودينية مختلفة ومتنوعة، وهم كذلك الجيل المتنوع النفسيات والذهنيات، وحتى على مستوى السلوك لم يكن هؤلاء على مسلك واحد ولا على خلق واحد، لكنهم تحولوا في مدة وجيزة إلى قدوة لغيرهم عبر المكان والزمان، إما بفعل ما زرع فيهم من نور النبوة، أو بفعل تربية الرسول ﷺ لهم،

nesemat.com نسمات nesemat.com

في ضوء التربية التي تلقاها ﷺ من ربه ﷻ.

ومن هنا فإن الغاية العليا والهدف الأسمى لدي الإنسان يلزم أن تكون هي الاقتداء بالرسول ﷺ في المقام الأول لأنه "نذر نفسه للحق تعالى واستمد العون من الله عز وجل، يمضي في طريق وظائفه ومسؤولياته من دون أن ينظرَ إلى الوراء، لأنه يعرف القوة التي استند إليها، ويعرفُ مالكه الذي يعمل له وهو مطمئن لصواب هدفه، والطريقِ التي يسلكها، وأنه في رعايةِ من لم يتخل عنه -ولو لحظة واحدة- في هذا الطريق ولن يتخلى عنه.

فهو -لذلك- لن يقع في تشرذُم فكريٍّ أو حسي أبداً ولن يكابد تشوشًا أو ترددًا بل ينكبُّ على أداء ما كُلِّف به في شعور وحساسية مرهفة، ثم ينتظر النتيجة من الله تعالى في اطمئنان مكين... فيهتمُّ اهتمامًا بالغًا بترك التدخل في شأن الربوبية، ويحضُرُ حركاته وفعالياته في ابتغاء مرضاة الحق سبحانه، فيعتبر رضاه جل وعلا ركنًا أساسيًّا وضروريًّا.

ولذلك تراه موصَد الأبواب -ما استطاع- حيال كل الأمور التي ليس فيها رضا الله تعالى، وساعيًا إلى تجنُّب رغبات النفس ومطالبِها. فإذا توعرت الطرق يومًا وتشابكت السبل، واحلولكت الآفاق، ودوَّت أصداءُ الاضطراب والقلق، فلن يتشكى عن الطريق التي يسلكها ولن يرتبك أو يتقهقر، بل يستعين بالله ويتشبث بالسعي والعمل ويستسلم للحكمة الإلهية.

ويفعل كما فعل سيدنا نوح عليه السلام حيث رفع

أهم تاريخ عند كولن هو تاريخ أزمات الإنسان الوجودية خارج دائرة الزمان والمكان، التي احتاجت معها الإنسانية إلى من يدلها على طريق النجاة، ويصلح العمران ويرمم ما أفسده الإنسان نفسه.

يديه ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾(القمر:١٠)، ثم يلتجئ بتمام الإخلاص والصدق إلى حفظه تعالى ورعايته ويترقب منه ما يُمُنُّ عليه من لحظة الفرَج ونقطة الخروج".

ومن خلال هذا الاقتداء المركزي يتأسس الاقتداء الفرعي والأساسي في الآن نفسه؛ فرعي باعتبار الاقتداء المركزي، ولكنه أساسي كذلك لأن جماعة الصحابة هم في النهاية نماذج بشرية كل نموذج منهم ممثل لصنف بشري يعج به الواقع البشري في كل زمان وفي كل مكان.

إن التفويض المطلق لصاحب الإرادة المطلقة وللملك المطلق هو عين القدوة، لأن تفويض الرسول والنبي كل شيء بهذه الكيفية لبارئه ومرسله ومكلفه، هو ضامن الطمأنينة الفكرية والانسجام الكلي بين الإرادة الجزئية بكل ما تتصف به من قصور وضعف، وبين الإرادة الكلية التي هي إرادته هو تعالى المنزهة عن النقص والقصور.

ولقد أقبل الرسل والأنبياء جميعًا برغبة كاملة، وإرادة قوية على ما كلفوا به غير منتظرين

إن الإنسان وهو يسير في طريق الهدف السامي، ملزم بالأخذ بمنهج الرسل والأنبياء، فيحتسب كل سعيه لله ﷻ، ولا يكل ولا يمل ما دام واثقًا في وعد الله ﷻ.

nesemat.com نسمات nesemat.com

للنتائج من الله ﷻ، لأنهم أدركوا صدقًا أن مدار تكليف الله لهم هو أن يفعلوا ما أمروا به وألا يتدخلوا في شؤون الربوبية، وألا يتطلعوا إلى النتائج، فهذه له هو وحده ﷻ.

لم تكن طريق الأنبياء والرسل على مر تاريخ الدعوة، أو بالأحرى على مر التاريخ الحقيقي مفروشة بالورود وطريقًا سهلاً سالكًا، بل كان على الدوام طريقًا مملوءًا بالصعاب وتشابك السبل وحلكة الآفاق ومليئًا بالحزن والهم والغربة والقلق، لكن كل ذلك لم يوهن العزم، ولم يجرهم إلى التوقف ولا إلى الشك في صدقية الحق الذي يمثلونه ويلتزمون بإيصاله وتبليغه.

وأما الصحابة الكرام فقد ورثوا هذا الشعور وخلصوا اعتقادهم من كل مصلحة شخصية يتوقون إليها، وجعلوا هدفهم هو مرضاة الله تعالى، وقد يكون هذا الشعور وليد وعيهم الفكري واستعدادهم الذهني، لكنه لا ينفك أن يرجع إلى تأثير الرسول ﷺ فيهم.

القدوة وبناء الهدف

إن الإنسان وهو يسير في طريق الهدف السامي ملزم من هذا المنظور بالأخذ بمنهج الرسل والأنبياء، فيحتسب كل سعيه لله ﷻ. ولا يكل ولا يمل مادام واثقا في وعد الله ﷻ، وما دام ذلك أصلا من أصول العبادة يقول فتح الله كولن: "وكما أن من العبادة أن يكون الإنسان على طريق الحق جل شأنه، ويُعرِّفَ الناس بالحق سبحانه ويذكِّرهم به، ويقوم بإرشاد من في الطريق إلى آداب الطريق... فكذلك من العبادة توقُّع كلِّ شيء من الله تعالى، والانتظارُ في الأمور التي تتطلب الانتظار مع الصبر على تباطؤ الزمان بشكل يستنفد الصبر ويسلب العقل.. فالمرء قد يحظى بالتوفيق في أول حملة أو حركة أو قيام وشبوب، فيجدُ ما يبتغي؛ لكن قد يجول ويصول كجواد أصيل، فلا يحصل على شيء في الظاهر، لكنه يفوز في النهاية بصبره وإقدامه ونيته".

إن الذين يصنعون التاريخ الحقيقي يصنعونه بكل تضحية وتفان، ويصنعونه وقد نزهوا حركيتهم عن النتائج الخاصة أو العامة، فالحركية بحسب مصطلحات كولن، ينبغي أن تكون من أجل جوهر الحركية، أي أن تكون هذه الحركية سبيلاً وهدفًا في الآن نفسه، وإذا كان الأخذ بالأسباب ضرورة، فإن شروط صفاء العمل وخلوصه، يقتضي بقاء الأسباب في دائرة الأسباب لا أن تتحول إلى جوهر، فالتوفيق والنجاح وتتابع المنح لا يستمد مشروعيته من دقة الأسباب ونجاعتها، بل يستمدها من صاحب الأسباب، الذي يعطي ويمنع، ويمنح المنح من جنس الأسباب، أو يمنحها بقدر يتجاوز الأسباب، وإذا كانت

النفس البشرية حصانًا جموحًا قد تأبى الانصياع، فإن الفارس الحاذق هو من يحسن الإمساك باللجام حاثًّا النفس على ألا تنزلق القدم إلى دائرة ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾(القصص:٧٨).

فالإلحاح على هذه الروح عند كولن هو إلحاح على تلك الطاقة القوية التي سمحت ببروز نموذج حضاري وثقافي ما يزال أثره بارزًا إلى اليوم، وسيبقى لأن الطاقة التي حركته لم تكن تريد تقديس الذات ولا الاحتفال بالنفس، ولكنها كانت متطلعة إلى مرضاة الله ومتطلعة إلى تبليغ هذه الروح إلى كل فرد من أفراد المجتمع الإنساني، وقد يخطئ من يظن بأن هذه الروح قد ماتت، بل ما تزال مستعرة تحت غطاء الغفلة وجموح النفس، هذا هو جوهر ما يلح عليه كولن بالإشارة إلى أن بيان الأنبياء الموحد هو أن يبلغوا الدعوة إلى الناس غير آبهين بما يتعرضون له من إعراض أو صدود، لأنهم فوضوا أمرهم للذي فطرهم وحملهم المسؤولية، وإذًا هذا هو جوهر بيان الأنبياء والرسل عمومًا ومحمد ﷺ على الخصوص، فمن باب أولى أن يكون هو منهج من يسير على هدي النبوة في كل وقت وحين، إنه البيان المشترك للدعوة لله أو دعوة الأنبياء إلى الله ﷻ.

على أن هذه الصرخات والدعوات غير مقتصرة على الأنبياء والرسل وحدهم، بل هي صفة الصالحين من عباد الله وأوليائه، الذين أدركوا من خلال الأنبياء والرسل وبوساطتهم المهمة السامية التي خلقوا من أجلها، وهي مهمة التبليغ ومهمة تحقيق العبودية

nesemat.com نسمات nesemat.com

إذا كان الأخذ بالأسباب ضرورة، فإن شروط صفاء العمل وخلوصه يقتضي بقاء الأسباب في دائرة الأسباب، لا أن تتحول إلى جوهر.

لله ﷻ ومهمة السير والبحث عن نموذج الإنسان الكامل، وهي كذلك وظيفة كل فرد من أفراد المجتمع الإنساني ما لم يحل الضباب الكثيف والغفلة والكفر والخسران فيمنع عنه رؤية هذه الحقيقة المطلقة.

محل الشاهد هو اعتبار فتح الله كولن أن الأنبياء والرسل عليهم السلام هم النموذج الأسمى للإنسان، ويضاف إليهم الصالحون من الناس على مر التاريخ ممن أدركوا سر التكليف وتمثلوا حق التمثل وظائف الأنبياء والرسل ومهمتهم وعملوا على التمسك بمنهجهم وسيرتهم، لأنهم أدركوا بأن ذلك المنهج هو المنهج الإلهي الذي اكتملت كل عناصره ومقوماته في سيرة الرسول محمد ﷺ.

يقول كولن مشخصًا وضعيات هذه الثلة الصافية من بني الإنسان "لقد ظل رجال العزم والإرادة هؤلاء صامدين وثابتين حيال تلك الجموع التي تردَّت وهبطت إلى منتهى الطيش والصلف والهوان والغرور والأنانية والحقد والكره والغضب...تلك الجموع التي اعتبرت مروءتهم وشجاعتهم هذه ضلالةً وسفاهة، وخوَّفتهم بالطرد والتهجير من مساكنهم وديارهم، أو هدَّدت أتباعهم بقطع أرجلهم وأيديهم، أو استخفت بهم واحتقرتهم، أو أساءت الظن بمواقفهم

nesemat.com نسمات nesemat.com

إن تاريخ الأنبياء والصالحين والقدوات الكبرى عبر التاريخ، هو أهم درس ينبغي حفظه والاستمداد منه، لأن وظيفة هؤلاء الكمّل كما يراها كولن كانت دائمًا إنقاذ البشرية.

النبوية بأن بعض آلهتم اعتراهم بسوء، أو أوعدت هؤلاء المرشدين بالرجم، أو هوَّنت من شأنهم دائمًا بقولهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾(إبراهيم:١٠)".

بيان فتح الله كولن في ضوء الذي تقدم هو أن الإنسان الذي يحقق النموذج المتوافق إلى حد كبير من الوظائف التي خلق الإنسان من أجلها، هو إنسان القلب وأبطاله هم أولئك المتمتعون بالإرادة الصلبة والموقف الحكيم، المحافظون على قصد واحد والسائرون على خط واحد، فهؤلاء يمثلون المهمة نفسها بكل وضوح وجلاء رغم اختلاف الأزمنة والأمكنة، الذين لا يطلبون شيئًا سوى مرضاة الله تعالى مستعينين في مهمتهم بقدرته وعنايته هو وحده.

إذا كان التاريخ مصدرًا للعبر وجامعة مفتوحة يتعلم فيها الإنسان، فإن تاريخ الأنبياء والصالحين والقدوات الكبرى عبر التاريخ هو أهم درس ينبغي حفظه والاستمداد منه. لأن وظيفة هؤلاء الكمل كما يراها كولن كانت دائمًا هي إنقاذ البشرية من "ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان، وتحفيز الأرواح لتصغي القلوب إلى الحق تعالى، وكشف ما وراء ستار الأشياء وما وراءها، وإرادتها على حقيقتها حتى تزول الشبهات والشكوك من الأذهان، ونشر الأنوار على وجه الوجود ليقرأ ككتاب وليطلع عليه كمشهر ومعرض، وليفسر كلوحة فنية بارعة ثم يترجم حسب أفق إدراك العصر، وجعل هذه المسيرة الفانية مدرجًا إلى العوالم الباقية وجسرًا إليها ومزرعة لها وسوق شرائها".

التاريخ ونكران الذات

من يتتبع كلام كولن يجد أن التتبع المسهب والدقيق لوظائف الأنبياء والرسل عبر التاريخ، والتحليل الدقيق لأوصافهم ونفسياتهم يقصد منه تنبيه الناس إلى حقيقة المهمة التي يتوجب عليهم القيام بها، والمنهج الذي يجب اتباعه حتى تؤدي الوظيفة على الوجه المطلوب الذي يرجوه الله ﷻ.

فشحذ الهمم وتهيئة النفوس ووضع الناس أمام الدور الذي ينتظرهم، هو الهدف والمرمى الذي حرص كولن على تبليغه في حركيته وأدبياته، ويضاف إلى هذه الغاية مكون آخر يتمثل في ربط الناس ومن يتوجه إليهم بالخطاب وهم أفراد المجتمع الإنساني فردًا فردًا بالمهمة السامية، التي هي تجاوز أنانية الذات من أجل المجتمع ومن أجل الآخرين في إطار روح نكران الذات، زيادة على عدم ربط الغاية بالمصلحة الدنيوية، وربطها بكل ما يوصل إلى الله ﷻ.

بعبارة أخرى إن الأستاذ يتوسم فيمن يتوجه إليهم بالخطاب أن يكونوا كأولئك الهمم العالية، يقول: "وإن همم هؤلاء المصطفَين لعالية علوًّا

بحيث لا هم يكتفون بما يحرزون، ولا ييأسون أو يرتبكون إذا لم يحصلوا على ما يريدون. يعرفون أن التوفيق من الله، ويُرجعون إخفاقاتهم إلى أنفسهم. يقفون منتصبين في ثبات ويأبون أن ينهاروا، فإن حصلتْ لهم رجَّة من حيث لا يشعرون، استعادوا الثبات من فورهم ثم مضوا لسبيلهم. لا يفرحون بما ربحوا من حظوظ الدنيا فلا يندهشون بها، ولا يغتمون أو يتكدرون لفرصة أضاعوها.. فيعرفون أن الحظوظ كلها من الحق سبحانه، فتصيبُهم رعشة ورجفة خشية أن يتعرضوا للابتلاء من وجه، ومن جهة أخرى ترى ظهورهم منحنية خشوعًا ومهابة منه تعالى، لعلمهم أن كل الألطاف والإحسانات منه تعالى... فللوقفة السليمة السديدة لهؤلاء المصطفين الأخيار، لن يتخلى الله عنهم، بل يؤيدهم بنصره في الدنيا ويشرفهم بوراثة الأرض، ويورثهم "جنة الفردوس" في الآخرة. واقرأ إن شئت شاهدًا: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(الأنبياء:١٠٥) والمعنى أن الأرض كلها ستصطبغ بصبغتهم... ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(المؤمنون:١٠-١١)".

فهؤلاء هم الذين يتحقق بهم بيان الله وتقريره بأن الأرض سيرثها الصالحون، كما سيرثون الفردوس بما سينشرونه من صبغة الصلاح أينما حلوا وارتحلوا، إذ قد لا يكون المراد هو أن يمتلكوا القوة والسلطة، فهذا ليس شرطًا من شروط الوراثة، لكن الأكيد هو أن تصطبغ الأرض بالقيم السامية التي يدعون

nesemat.com نسمات

إن شحذ الهمم وتهيئة النفوس ووضع الناس أمام الدور الذي ينتظرهم، هو الهدف والمرمى الذي حرص كولن على تبليغه في حركيته وأدبياته.

إليها وأن تتوحد قبلة جميع من في الأرض لتحقيق العبودية لله ﷻ في أسمى معانيها وأوسعها.

فلسفة كولن في هذا الباب هو العمل على جعل السواد الأعظم من أفراد المجتمع الإنساني على وتيرة ورؤية واحدة تحقق العبودية في صورة إيقاع شبه مثالي لا يظهر فيه نبر نشاز مقارنة بأولئك الذين يعزفون إيقاعًا غير إيقاع الوجود كما وضع أنغامه الله ﷻ"، وطبعها بالانسجام والتوازن ولكن هذه المهمة ليست مهمة سهلة تتحقق بين يوم وليلة أو بمجرد النية والقول بل هي عملية طويلة مضنية تحتاج إلى وعي عام، ووعي جمعي عالمي، وهو الوعي الذي يحتاج إلى تهيئة التربة وتخصيبها وتضحية أجيال من أجل تحقق ذلك، بل يحتاج الأمر إلى إخلاص مطلق من أجل تحقيق ذلك وبذل الغالي والنفيس. ■

الهوامش

(١) كتاب "ونحن نقيم صرح الروح" للأستاذ فتح الله كولن هو أحد أهم الكتب التي ترجمت إلى العربية والتي بلغت ٣٢ كتابا حتى الآن، طبع هذا الكتاب طبعات عديدة عن دار النيل للطباعة والنشر بالقاهرة، كما عقدت حول الكتاب ندوات ولقاءات علمية مختلفة أسفرت عن دراسات متعددة حول محتوى الكتاب ومفاهيمه المختلفة. (المحرر)

(٢) الإنْبيق: جهاز تُقَطَّر به السوائل، ويجمع على أنابيق. انظر قاموس المعاني.

الإسلام والمرأة

فاروق مرجان

صحفي وكاتب تركي، عمل لسنوات في مجلة "Aksyon" التركية، كما عمل في راديو "Dünya" وكذلك في صحيفة "Zaman" التركية.
صدر له عديد من الكتب منها: الدولة العميقة، جريمة نسيم مالك، جريمة أوزير جريه، عودة المقاتل، السيف والحكم، حرب مخفية خلف الستار، فتح الله كولن، لا تراجع عن الديمقراطية وغيرها من الكتب وبعضها ترجم للغة الإنكليزية.

إن تصور الأديان المختلفة للمرأة كان أحد الهواجس الإجتماعية التي عاشتها أوروبا في عصر النهضة وما بعد الحرب العالمية الثانية وكذلك في أمريكا أيضًا، فكثيرًا ما كانت تدور النقاشات حول دور المرأة داخل المجتمع، والأمر لازال كذلك ولكن انتقلت الظاهرة لعالمنا الإسلامي، ومع ظهور الحركات الإسلامية المتطرفة أصبح هناك فهم خاطئ يتم ترسيخه حول العالم أن الإسلام لا يرى المرأة شريكًا فعلاً داخل المجتمع ويقصر دورها على البيت ولا تتعداه بحال من الأحوال، لكن على وجه الحقيقة، هل هذا موقف الدين الإسلامي من المرأة؟ أم هو فهم خاطئ ووجهة نظر؟

لقد حاول الأستاذ كولن وبكل إخلاص أن يقدم رؤيته لدور المرأة داخل المجتمع وفقًا للدين الإسلامي، ويضعنا الكاتب فاروق مرجان أمام الأسئلة التي أجاب عنها الأستاذ حول طبيعة دور المرأة داخل المجتمع وهو ما سيساعد بدوره القارئ لفهم تصور الأستاذ كولن لطبيعة دور المرأة داخل المجتمع.

لقد طُرِح على الأستاذ فتح الله كولن عام ١٩٩٥سؤالاً في غاية الأهمية، وهو: هل يمكن للمرأة أن تكون مسؤولاً إداريًّا؟ فكان جوابه كما يلي:

"ليس هناك سبب يمنع المرأة من أن تكون مسؤولاً إداريًّا؛ وفي الواقع يرى المذهب الحنفي أن المرأة يمكن أن تكون قاضيًا". (من مقابلة نُشرت في صحيفة الصباح في ٢٣ يناير/كانون الثاني ١٩٩٥).

عند الحديث عن المرأة وحقوق المرأة على وجه الخصوص، فإن المسألة ليست بالطبع ما إذا كانت المرأة يمكن أن تكون مسؤولاً أم لا؛ وقد نوقشت مواضيع لا حصر لها، بما في ذلك مكانة المرأة في المجتمع ووضعها، ومدى إدراجها في شؤون الدولة والحياة العملية، والعلاقات بين الرجل والمرأة، وطريقة اللباس.

لم يسمح القانون التركي للطالبات بارتداء الحجاب في الجامعات؛ ويختلف التقليد التركي بشأن ارتداء الحجاب قليلًا عن النقاب أو البرقع، والتي تعد موضع جدال في الغرب. ومع استثناءات طفيفة، فإن النقاب والبرقع لا ترتديهما النساء التركيات بصورة تقليدية، ولكن ترتدي النساء التركيات الحجاب لتغطية شعرهن، في حين يظهرن وجوههن بالكامل.

وربما سيكون من المفيد النظر إلى موقف كولن من المرأة في العلاقات بين الذكور والإناث، قبل المضي قدمًا لمناقشة كافة القضايا الأخرى. وقد أوضح كولن ما يلي في مقابلة نشرت في صحيفة حرية عام ١٩٩٥:

"لا يمكن للرجل أن يعيش دون المرأة، وكانت معاناة أبي البشر آدم عليه السلام في الجنة لأنه ليس له شريك يحيى معه ويأنس به، كما أن نعيم الجنة الذي تمتع به عند العثور على حواء، كان يتوقف على الجمع بين هذين الكائنين، أي كزوجين. وإذا أردنا أن ننظر لهذه المسألة من منظور إسلامي، فإن رسول الله ﷺ، والقرآن الكريم، والتعاليم القرآنية، لا تفرق بين الرجال والنساء كمخلوقات منفصلة.

"وفي حين أنه قبل ١٤ قرنًا من الزمان، لم يكن الغرب يمنح المرأة مكانة في المجتمع، وحتى في القرنين الخامس والسادس بعد ذلك، دار جدل حول ما إذا كانت المرأة لديها روح، أو ما إذا كانت شيطانًا أم إنسانًا، فقد كانت النساء تشارك بصورة كاملة في كل جوانب الحياة في الإسلام. فقد قامت 'عائشة (رضي الله عنها)، زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم، بقيادة الجيوش. وفي الواقع، وفي تناقض صارخ مع الحاضر اليوم، لم يكن هناك أماكن مخصصة للسيدات في المساجد، واعتادت النساء أن

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم، والتعاليم القرآنية لا تفرق بين الرجال والنساء.

nesemat.com نسمات nesemat.com

nesemat.com نسمات nesemat.com

لا تختلف المرأة عن الرجل في المبادئ الأساسية للإسلام من حيث التمتع بحقوق حرية العقيدة، وحرية التعبير، وحرية الامتلاك، واستخدام الممتلكات كما تشاء، والمساواة أمام القانون.

يصلين في المساجد سويًا مع الرجال". (مقابلة نشرت في صحيفة حرية في ٢٧ يناير عام ١٩٩٥).

وفي مقابلة مع مجلة أكسيون في يونيو/حزيران عام ١٩٩٨، تحدث كولن عن الدور الكبير الذي قامت به النساء في الإسلام:

"لقد قام القرآن الكريم، الذي يعطي اسم "النساء" إلى واحدة من أطول ثلاثة سور فيه، بتكريم النساء مثل مريم، وآسيا زوجة فرعون، وناقش هذا الأمر باستفاضة؛ وعلاوة على ذلك، فإن النسل المبارك لأعظم أفراد البشرية جمعاء، الرسول الكريم ﷺ، استمرت إلى يومنا هذا من خلال ابنته فاطمة رضي الله عنها، وليس من ابنٍ له. كما أن مكانة أم المؤمنين"عائشة" رضي الله عنها المتميزة في الإسلام معروفة على نطاق واسع". (٦ يونيو ١٩٩٨، مجلة أكسيون).

وفي عام ٢٠١٢، طرح راينر هيرمان السؤال: "هل الرجال والنساء متساوون؟" وكانت إجابة كولن مستفيضة وجلية في هذا الصدد:

"نعم، المرأة حرة ومستقلة أمام القانون، ولا تؤدي أنوثتها إلى الحد أو الإبطال من أهليتها؛ وعندما يُنتهك أي حق من حقوقها، مثلما هو الحال مع الرجل، يمكنها تقديم التظلمات والدعاوى. وإذا تعدى شخص على ممتلكاتها بغير وجه حق، فلديها كافة حقوق الاسترداد المناسبة؛ ويميل المسلمون من جنسيات متنوعة إلى تقديم سرد تاريخي خاص بهم عن العادات والتقاليد للمظهر الإسلامي، والإعلان عن تقاليدهم الخاصة باعتبارها أحكامًا للدين الإسلامي الحنيف. بل إنهم استندوا في أحكامهم الدينية (الاجتهادات) إلى عاداتهم وتقاليدهم، وبدأ انتهاك حقوق النساء بهذه الطريقة، واضطرت النساء إلى العيش في حدود ضيقة عن أي وقت مضى، وتم عزلهن تمامًا عن الحياة الاجتماعية في بعض الدول، ولكنهم لم يفكروا أبدًا في خطورة هذا الاتجاه.

"ولا تختلف المرأة عن الرجل في المبادئ الأساسية للإسلام من حيث التمتع بحقوق حرية العقيدة، وحرية التعبير، وحرية الامتلاك، واستخدام الممتلكات كما تشاء، والمساواة أمام القانون، والحق في الزواج وتكوين الأسرة، والسرية وحُرمة حياتها الخاصة... فضلًا عن حماية ممتلكاتها، وحياتها، وشرفها تمامًا مثل تلك التي للرجال، وهناك عقوبة مناسبة لأولئك الذين ينتهكون تلك الحقوق". (رينر هيرمان، لصحيفة فرانكفورتر ألجمين زيتونج في ٦ ديسمبر ٢٠١٢).

الإسلام لا يمنع المرأة من العمل

سُئل كولن على شاشة التلفزيون الهولندي في عام ١٩٩٥، عن حقوق المرأة ومكانتها في الإسلام، وكان

جوابه كما يلي:

"النساء والرجال في الإسلام هم وجهين لحقيقة واحدة؛ ومن حيث تكملة بعضهم البعض، فإن بعض الأشياء السلبية في أحدهما تُظهر نفسها على أنها إيجابية في الآخر. فهم يشكلون الكل عندما يجتمعوا معًا؛ وسيكون من المفيد بدرجة أكبر أن ننظر إليهم على أنهم تروس العجلة. ونتيجة لذلك، فسوف ينتجوا نظامًا كاملًا من خلال الاتفاق المتبادل والدعم وتقسيم العمل" (مقابلة مع التلفزيون الهولندي في ١٩ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٩٥).

النساء يمكن أن يكن حكامًا

في مقابلة له عام ١٩٩٧ مع صحيفة يني يوزيل في نيويورك، توسع كولن في تعليقاته حول قضية حقوق المرأة، قائلًا: "إن المرأة وفقًا لديننا ليست مُلزمة حتى بأن تُرضع طفلها". وفيما يلي الجزء المتعلق بذلك في المقابلة:

"كانت هناك في العصور القديمة آلهة من النساء لأن النساء امتلكن السلطة، ثم ظهرت الآلهة الرجال عندما انتقلت السلطة إلى أيدي الرجال؛ ومن المؤسف، أنه لم يتم إحداث توازن في هذا الشأن. وبدلًا من أن يكتسب الجانب الآخر حقوقًا، أعني بها نظامًا عادلاً ومتوازنًا، تولدت ردود الفعل. إن ما ينطبق بين الرجل والمرأة في جوهره ليس مسألة تفوّق لحساب طرف وإنما تقسيم للعمل.

"إن المرأة وفقًا لديننا ليست مُلزمة حتى بأن تُرضع طفلها؛ فقد فسر ذلك أشخاص مثل يسوي، ومولانا، ويونس [إيمره] بطريقة ممتازة، مثلما فعل أبو حنيفة، الذي قال إن النساء يمكن أن يكن حكامًا. وكنا نحن من اخترع هذه الانقسامات [الكاذبة] في هذه الحلقة السببية المفرغة" (٢١ يوليو/تموز ١٩٩٧، صحيفة يني يوزيل).

وقد سألت نيفال سيفيندي، بوصفها صحفية، كولن عن حجاب المرأة؛ وفي إجابته، أكد فيما يلي على أن الإسلام والقرآن الكريم لا يحددان طريقة واحدة لغطاء المرأة:

"لقد وردت تغطية النساء في القرآن الكريم، ولكن لا توجد مواصفات لكيفية وشكل ما يجب القيام به؛ كما أن الخوض في الشكل سيؤدي إلى تضييق الأفق العريضة للإسلام وعدم النظر في البعد الجمالي. بل إنه حتى قد يقلل، في الواقع، على نحو خاطئ من شأن الدين الإسلامي الحنيف إلى مجرد دين يهتم بالزيّ. وبالمثل، فإن الحجاب ليس واحدًا من أساسيات الإيمان أو المبادئ والشروط الأساسية للإسلام (الأصول)؛ فهو يتنافى مع روح الإسلام في اعتبار الناس خارج كنف الدين بسبب هذه العوامل،

إن النسل المبارك لأعظم أفراد البشرية جمعاء وهو الرسول الكريم ﷺ استمرت إلى يومنا هذا من خلال ابنته فاطمة ﵂ وليس من ابن له.

nesemat.com نسمات nesemat.com

nesemat.com نسمات nesemat.com

إن المرأة وفقًا لديننا ليست مُلزمة بأن تُرضع طفلها؛ فقد فسر ذلك علماء مثل مولانا، ويونس إيمره، بطريقة ممتازة، مثلما فعل الإمام أبو حنيفة، حينما قال إن النساء يمكن أن يكن حكامًا.

فالفرض والإصرار في هذا الصدد هو الإفراط والإكراه، بل يكون حتى سببًا للاستياء والنفور".

الحجاب

في عام ١٩٩٧، مع حظر ارتداء الطالبات اللاتي يدرسن في الجامعات للحجاب في تركيا، أوضح كولن مكانة الحجاب في الدين، وقال إن اختيار لبس الحجاب من عدمه هو قرار يجب على الطالبات اللاتي يرغبن في الدراسة أن يتخذوه وفقًا لضميرهن الشخصي. وأوضح موقفه على النحو التالي في مقابلة نُشرت في صحيفة ميليت اليومية عام ٢٠٠٥:

"عندما كانت هناك منذ فترة محاولات لمنع الأطفال من الدراسة، وأعربت حينها عن آرائي حول الحجاب من خلال التعامل مع المسألة من ناحية الأصول (الأساسيات) والفروع (القضايا المتصلة بالأساسيات ولكنها ثانوية نسبيًا في وضعها) في الدين؛ وقلت حينها أن ارتداء الحجاب ليس أمرًا جوهريًا مثل أساسيات الإيمان والأركان الخمسة الأساسية للإسلام، وينبغي أن يقرر الناس بأنفسهم أن يختاروا بين الحجاب والمدرسة. وكان رأيي بشأن هذه المسألة بعد ذلك هو اختيار الدراسة، واعتقدت أن هذا النهج هام لراحة الناس من شتى مناحي الحياة ومن أجل مستقبل تركيا".

وأضاف "إن ما أتوق إليه هو أن يتم النظر في حقوق المرأة جنبًا إلى جنب مع حرية الفكر والتعبير، كما هو الحال في البلدان الغربية".

"أتمنى أن يلتزم الناس بكافة واجباتهم الدينية، بما في ذلك المسائل الثانوية، شريطة ألا يكون هناك تدخل في الإدارة، وأن يكونوا أحرارًا فيما يتعلق بضميرهم ودينهم؛ وبدلًا من توسيع المجال العام- الذي يحد من مجال نشاط الناس- فلماذا لا نسلط الضوء على حقوق الأفراد وحرية التعبير حتى نتمكن من تهيئة الفرص للناس كي يعيشوا وفق الأصول والفروع المتعلقة بدينهم" (صحيفة ميليت، في ٢٥ يناير ٢٠٠٥).

لقد ربط كولن استخدامه لمصطلح الفروع بالحجاب عام ١٩٩٧ في مقابلة له مع صحيفة راديكال:

"وفيما يتعلق بحالة فتياتنا الصغيرات اللاتي يواجهن صعوبة، أتمنى لهن أن يتخذن خياراتهن لصالح التعليم. وبطبيعة الحال، فأنا ضد التدخل في تعليم أولئك اللواتي يُغطين شعرهن لأغراض دينية؛ ويحزنني إجبارهن على الاختيار بين التعليم ومسألة ذات قيمة ثانوية في الدين" (٢١ يونيو ١٩٩٨، صحيفة راديكال).

وبعد سبع سنوات بالضبط من مقابلة نيفال سيفيندي، قامت نوري أكمان من "صحيفة زمان"

بإجراء مقابلة مع كولن، وسألته مرة أخرى عن مكانة المرأة وحقوقها في الإسلام؛ حيث أوضح ما يلي في هذه المقابلة التي نُشرت على مدار أحد عشر يومًا في صحيفة زمان عام ٢٠٠٤:

"في إطار المعايير التي يحددها الدين، يمكن للنساء والرجال الجلوس معًا والالتقاء ببعضهم البعض، كما هو الحال في معظم الأحيان؛ وكانت النساء يزرن النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت لديهن مسائل، وكذلك أسئلة لطرحها. وأحيانًا كن يسألن النبي ﷺ مباشرة دون الذهاب إلى فرد آخر من أفراد الأسرة أو إلى زوجته عائشة. وإذا كان هناك شيء يتعلق بالقضايا الخاصة بالنساء، فكن يعهدن به إلى السيدة عائشة؛ وهناك مواضيع مماثلة في هذه المصادر للحديث الصحيح مثل البخاري ومسلم.

"وفيما يخص موضوع الصلاة، كانت النساء تصلي مع الرجال؛ ولكن كانت عادة ما تشكّل صفًا منفصلًا خلف الرجال. وعلى وجه الخصوص، كان الجميع يشارك في الأدعية أثناء كسوف الشمس أو خسوف القمر، أو طلب المطر (أما مسألة ما إذا كانوا يقيمون صلاة أم لا فهي قضية منفصلة، وهناك آراء متباينة بين الفقهاء)، وكانوا يؤدونها معًا. وفي رأيي، يمكن للنساء والرجال الجلوس معًا جنبًا إلى جنب على الأرائك، ويمكن لأحدهما الجلوس على أريكة والآخر على أريكة أخرى. وأنا شخصيًا لا أرى أي شيء خاطئ في هذا؛ فهم يركبون السيارات معًا،

إن ارتداء الحجاب ليس أمرًا جوهريًا مثل أساسيات الإيمان والأركان الخمسة الأساسية للإسلام، وينبغي أن يقرر الناس بأنفسهم الاختيار بين الحجاب والمدرسة. وكان رأيي بشأن هذه المسألة هو اختيار المدرسة.

nesemat.com نسمات nesemat.com

ويتجولون في مراكز التسوق، ويدرسون في نفس المدارس، ويمكن أن يكونوا معًا أثناء الذهاب من وإلى المدرسة، ويمكنهم الجلوس معًا عندما يجتمعون لموضوع هام" (صحيفة زمان، ٢٤ مارس/آذار ٢٠٠٤).

تعدد الزوجات ليس فرضًا دينيًا

في جزء من مقابلة صحيفة يني يوزيل مع كولن بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٩٧، أجاب كولن باستفاضة على سؤال عن تعدد الزوجات؛ وقد جاء السؤال الذي أثار هذا الرد المطول كالآتي:

"هناك موضوع آخر أود أن أتحدث إليكم فيه، وهو تعدد الزوجات. تؤكد جموع الإسلام على أن الارتباط بأكثر من زوجة واحدة هو أمر منصوص عليه في القرآن الكريم، ولهذا السبب لا يمكن أن يكون هناك أي خلاف في رفض هذا الأمر. وهم يدّعون أنه أمر أخلاقي، أو يتمسكوا بذلك عند الدفاع عنه. وهم يدافعون عن تعدد الزوجات على أساس أن العلمانيين "الآخرين"، يكون لديهم علاقات مع أكثر من امرأة واحدة؛ وما أجده غريب هنا هو أنهم يستخدمون نفس المعايير باسم الإسلام الذي ينتقدون به الجزء العلماني من المجتمع. أليس

ليس هناك في الإسلام ما يُحد من حياة المرأة أو يضيق من مجالات نشاطها، والأمور التي تبدو سلبية بالنسبة لنا اليوم يجب تحليلها فيما يتعلق بظروف الوقت الذي جرت فيه.

nesemat.com نسمات nesemat.com

لدينا إذًا قيم أخلاقية مشتركة؟"

"لا يوجد في أي موضع في القرآن الكريم أو في الحديث النبوي ما ينص على أن الرجل سوف يُكافأ بممارسة التقليد النبوي (السنة)، إذا أصبح إمامًا وتزوج أكثر من امرأة واحدة. ويمكننا القول فقط أنه يوجد إذن أو موافقة فقط في ظروف معينة على الزواج من أكثر من امرأة واحدة في سورة "النساء"، والزواج من امرأة واحدة فقط يفضل بدرجة كبيرة إلى الحد الذي يجعله وكأنه فرض؛ وبالتالي، لا يمكن لأحد أن يعتقد بأن الزواج من أربع نساء هو وفاء بالتزام ديني، أو الادعاء بأن ذلك وصية دينية".

"لقد كانت زواجات النبي ﷺ بمثابة محنة وابتلاء، وعبئًا عليه، وكانت أمرًا فريدًا من نوعه بالنسبة له؛ وبدأ النبي ﷺ في الزواج بأكثر من زوجة واحدة بعد سن الخامسة والخمسين. أما بالنسبة للأشخاص الآخرين، فالقاعدة هي الزواج من امرأة واحدة؛ وإذا دعت الظروف للزواج من أكثر من واحدة، فإن الأساس هو مراعاة العدالة بين النساء. وقد أوضح ذلك المولى ﷻ في القرآن الكريم بأنه من الأفضل الزواج من امرأة واحدة خوفًا من عدم القدرة على مراعاة الإنصاف والعدالة الواجبة؛ ولذلك، فإن الزواج بأكثر من زوجة واحدة ليس مبدأ في الشريعة الإسلامية، وليس التزامًا دينيًا، ناهيك عن كونه من العبادات. ولا ينبغي لأحد أن يُلبس نقاط ضعفه في ثوب ديني ثم يقدمها كعمل جدير بالاهتمام، حيث إن ذلك يعتبر استغلالًا للدين؛ وقد اعتبر أولئك الذين يجيزون تعدد الزوجات في الإسلام أن ذلك بمثابة حكم خاص في ظل ظروف الضرورة المُلحّة، مثلما يحدث في حالة الحروب، عندما تترك الكثير من النساء دون حماية."

العادات لا يمكن أن تُنسب إلى الإسلام

في مقابلة، نُشر جزء منها في صحيفة ميليت في ٢٥ يناير ٢٠٠٥، طُلب من كولن التعليق على العبارة القائلة بأن "بعض الخبراء الاقتصاديين يربطون النمو بمشاركة النساء في الإنتاج". وجاء رده على النحو التالي:

"إن مساهمة النساء في بعض مجالات الحياة ليس أمرًا محظورًا في الإسلام، شريطة مراعاة الظروف المادية وأن تكون ظروف عملهن مناسبة؛ وقد أسهمت النساء بالفعل في كل مجالات الحياة (على مر التاريخ). فعلى سبيل المثال، سُمح لهن بالمشاركة في المعارك؛ ولم يكن تعليمهن أمرًا مرغوبًا فيه وحسب، بل تم السعي أيضًا إلى تحقيقه بنشاط وتم تشجيعه. وكانت أمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمه رضي الله عنهن من بين الفقيهات وأهل الاجتهاد (أعلى

مرتبة دراسية وتعلم) من الصحابة؛ وعلاوة على ذلك، فإن النساء من بين أهل بيت النبي ﷺ، كُن مصدرًا للمعلومات ليس فقط لغيرهن من النساء ولكن أيضًا للرجال الذين يتفقهون في الدين.

"وقد كان كثير من التابعين يستشيرون ويتعلمون من زوجات النبي ﷺ؛ ولم يقتصر هذا الوضع على زوجات النبي ﷺ فحسب. وفي الفترات التي تلت ذلك، كانت النساء المؤهلات تعملن كمعلمات لكثير من الناس؛ وليس هناك في الإسلام ما يُحد من حياة المرأة أو يضيق من مجالات نشاطها، والأمور التي تبدو سلبية بالنسبة لنا اليوم يجب تحليلها فيما يتعلق بظروف الوقت الذي جرت فيه، وسياسة الدول المعنية التي وقعت فيها."

وأضاف بقوله:"وما يهم حقًا، هو مراعاة القدرات البدنية للمرأة وظروف العمل؛ فعلى سبيل المثال، هل ينبغي توظيف المرأة في الأعمال الشاقة مثل مناجم الفحم؟ وهل ينبغي إجبارها على أداء الخدمة العسكرية كالرجال؟ هل ينبغي أن تخضع للتدريب العسكري الشاق؟ فإذا اعتبرت هذه الأمور ضرورية وممكنة، فلا اعتقد أنه سيكون هناك من يرفض ذلك".

وهناك الكثير من العادات والطقوس التي لا تزال تشكل جزءًا من المجتمعات في شتى أنحاء العالم، والتي ليست خاطئة فحسب، وإنما أيضًا ضد حقوق الإنسان؛ ومع ذلك، وبما أن الثقافة

nesemat.com نسمات nesemat.com

لا يمكن لأحد الاعتقاد بأن الزواج من أربع نساء هو وفاء بالتزام ديني، أو الادعاء بأن ذلك وصية دينية.

والدين يرتبطان مع بعضهما البعض بمرور الوقت، فلا يمكن لأتباع عقيدة معينة أو المراقبين من الخارج أن يعلموا المواضع التي ينفصل فيها الدين والثقافة عن بعضهما. فالأديان، وخاصة الإسلام، قد تعرضت بشكل غير منصف للانتقاد واللوم بشأن كثير من هذه العادات التي لا علاقة لها في الواقع بالدين، ولم يقرها في الأساس؛ ومن الأمثلة على ذلك مسألة ختان الإناث، وكذلك عدم السماح للفتيات بالذهاب إلى المدرسة هو مثال آخر على ذلك. وإذا تذكرنا حقيقة أن عبدة الأوثان في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام كانوا يدفنون بناتهم من قبيل العار، فكان الإسلام بمثابة تطور هائل لحقوق المرأة؛ والإسلام لا يميز بين النساء والرجال، ويطالب جميع المؤمنين، رجالًا ونساءً على حد سواء، بالبحث عن المعرفة واستكشاف أسرار الكون.

يمكن للمرأة أن تعمل كرئيس دولة

يتطرق كولن إلى نفس القضية في إجابته عن السؤال الذي طرحه عليه الصحفي رينر هيرمان من صحيفة فرانكفورتر ألجيمين زيتونج، "كيف تنظرون إلى دور المرأة؟ ماذا ينبغي أن يكون وضعها في المجتمع وفي حركتك؟"

هناك بعض النساء اللاتي يستطعن الوفاء بمتطلبات عقيدتهن أثناء عملهن في الخدمة العامة، في حين قد تفشل الأخريات وهن في المنزل الالتزام بمبادئ الإيمان الكامل.

nesemat.com نسمات nesemat.com

"يمكن للمرأة أن تضطلع بأدوار مختلفة، بما في ذلك أن تكون قاضية ورئيسة دولة، شريطة ألا يتعارض ذلك مع طبيعتها، وشريطة أن يتفق ذلك مع الحساسيات الدينية؛ ولا يقتصر دور المرأة على الانشغال بالشؤون المنزلية وتربية الأطفال. واليوم، فإن الإسلام والمرأة على وجه الخصوص هما من بين أكثر القضايا التي يتم عرضها بشكل سلبي في العالم الغربي؛ والسبب في ذلك هو العديد من الممارسات المناهضة للإسلام التي قام بها المسلمون للأسف".

"ويجب الأخذ في الاعتبار بالظروف السائدة في الفترة التي حدثت فيها بعض الأشياء التي تبدوا سلبية، وأن يتم تقييمها وفقًا لذلك، ولا سيما ممارسات الدول والحكومات؛ وعلاوة على ذلك، فإن حقيقة أن العادات والتقاليد في بعض المناطق والمجتمعات قد استمرت بعد قبول الناس للإسلام يجب أن تؤخذ في الاعتبار أيضًا. وسيكون من الخطأ تحميل الإسلام المسؤولية عن هذه الأمور، وأن الحد من دور المرأة في المجتمع وتضييق نطاق نشاطها ليس من الإسلام."

"وللأسف، يتجاهل المسلمون هذه الحقيقة؛ وقد أفضى مثل هذا النهج الأخرق والفهم الفظ إلى تشويش هذا النظام الذي يقوم على الدعم المتبادل بين الرجال والنساء، وتقاسُم حياتهما مع بعضهما البعض. ومع انهيار هذا النظام، تمزقت الأسرة وكذلك النظام الاجتماعي" (رينر هيرمان لصحيفة فرانكفورتر ألجيمين زيتونج، ٦ ديسمبر ٢٠١٢).

هذا وقد قام الصحفي براين نولتون من صحيفة نيويورك تايمز بتوجيه سؤال مشابه إلى كولن عام ٢٠١٠، "ما هي المكانة المناسبة للمرأة في المجتمع بالنسبة لك، وما نوع الأدوار التي تضطلع بها ضمن الحركة المرتبطة باسمك؟"

فأجاب كولن: "ليس هناك أي شيء في الإسلام يضع حدودًا على حياة المرأة، أو يقيد من مجال عملها، ولا يقتصر دور المرأة في الحياة على تأدية الأعمال المنزلية وتربية أطفالها."

"وفي واقع الأمر، يقع على عاتق المرأة مسؤولية القيام بكافة المهام المناسبة لها في كل مجال من مجالات المجتمع، شريطة أن يتوافق ذلك مع الحساسيات الدينية، ولا يتناقض مع فطرتها الطبيعية. ومع ذلك، ومن المؤسف، فمع مرور الوقت تم تجاهل هذا الواقع، حتى بين المسلمين أنفسهم؛ وبدلًا من ذلك، فقد أدت الطريقة الناقصة في الفهم وغير المتعقلة في التفكير إلى تدمير النظام الطبيعي الذي يقوم على مفاهيم الرجل والمرأة كل منهما في عون الآخر ويتقاسمان أعباء الحياة معًا.

ونتيجة لذلك، فقد فسد نظام الأسرة، فضلًا عن نظام المجتمع. إن نزعة الأمم/المجتمعات المختلفة إلى النظر في تقاليدها وسماتها الثقافية وتصورها كمبادئ أساسية للإسلام وتفسيراتها للإسلام على أساس ثقافاتها الخاصة، أدى إلى مزيد من الانتهاك لحقوق المرأة، وفي بعض الحالات إلى العزلة الكاملة للمرأة عن المجتمع.

"إن هذه الممارسات، [الكثير منها] الراسخة في المجتمع، تتغير بصورة تدريجية؛ وآمل أن يُحرز تقدم كبير في هذا المضمار على كل من المدى القصير والطويل على حد سواء. ويضطلع [النساء] أيضًا بوظائف هامة في خدمة البشرية؛ وتقوم النساء أيضًا، تمامًا مثل الرجال، باستغلال كل فرصة يمكنهن اغتنامها، ويضربن أروع الأمثلة للآخرين من خلال موقفهن وسلوكهن. وعندما تقتضي الضرورة، فإنهن ينطلقن أيضًا إلى شتى أرجاء العالم ليصبحن معلمات وقدوات يُحتذى بهن".

تخشى المرأة العلمانية الإسلام أكثر من غيرها

وجهت مراسلة صحيفة "لوموند" نيكول بوب التعليق التالي إلى كولن في ٢٨ أبريل/نيسان ١٩٩٨: "يبدو اليوم أن أولئك الذين يخشون الإسلام أكثر هم النساء من بين العلمانيين".

وتوضح إجابة كولن كيف أن العادات والتقاليد التي تستبعد النساء من المجتمع قد أصبحت

nesemat.com نسمات

يقع على عاتق المرأة مسؤولية القيام بكافة المهام المناسبة لها في كل مجال من مجالات المجتمع، شريطة أن يتوافق ذلك مع الحساسيات الدينية، ولا يتناقض مع فطرتها الطبيعية.

تُنسب تدريجيًا إلى الإسلام:

"في وقت ما، سعيت جاهدًا إلى أن أشرح باستفاضة مسألة المرأة في خُطبي؛ فالإسلام ليس لديه مشكلة تتعلق بالمرأة. وإذا كان يبدو أن هناك اليوم أحد المشكلات، فقد ظهرت في أوقات لاحقة بسبب أولئك الذين تشددوا في الإسلام وضيقوا إمكانيات اعتناقه، وأولئك الذين أوجدوا الاستحالة ضمن الإمكانية، وأباحوا بذلك مجالًا ضيقًا فيه للنساء. وخلال عصر السعادة، أي أوقات النبي ﷺ والخلفاء الراشدين الذين تبعوه، كانت النساء مشاركة في شؤون الحياة، ولم تكن هناك مشكلة على الإطلاق."

في عام ٢٠٠٥، سُئل كولن عن نوع الوظائف التي يمكن أن تقوم بها النساء اليوم فيما يسمى "المجال العام" هل يمكن أن يصبحن، على سبيل المثال، قاضيات أو ممثلات للادعاء أو جنود؟ وقد أجاب كولن على هذه الأسئلة:

"يمكن للمرأة أن تضطلع بأي دور، ويمكن للمرأة أن تكون أي شيء، جندي أو طبيب؛ والشيء الأهم هو التأكد من أنها يمكن أن تفي بمتطلبات عقيدتها."

يحث القرآن الكريم الناس على تكوين حياة أسرية، ويشير إلى العديد من الحكم والفوائد للزواج؛ ويرى القرآن الكريم أن الزواج بمثابة التزام جديّ من جانب الزوج والزوجة، بل هو بالأحرى ميثاق وعهد بينهما.

nesemat.com نسمات nesemat.com

"قد يكون هناك بعض النساء اللاتي يستطعن الوفاء بمتطلبات عقيدتهن أثناء عملهن في الخدمة العامة، في حين قد تفشل الأخريات في المنزل في الالتزام بمبادئ الإيمان الكامل" (صحيفة ميليت، ٢٥ يناير ٢٠٠٥).

يقدم كولن الرد التالي على السؤال الذي طرحه عليه جيمي طراباي لصحيفة الأطلسي في أغسطس عام ٢٠١٣: "هل يقتصر دور المرأة على الأمومة وفقًا لتعاليم الإسلام؟"

"لا، ليس كذلك. فإذا وضعنا الموقف النبيل للأمومة جانبًا، فإن رأينا العام بشأن المرأة هو أنه، مع مراعاة احتياجاتها الخاصة، ينبغي تمكينها من الاضطلاع بكافة الأدوار، بما في ذلك وظائف الطبيب، والضابط العسكري، والقاضي ورئيس الدولة. وفي الواقع، فإن المرأة المسلمة قد أسهمت في شتى جوانب الحياة عبر التاريخ من أجل مجتمعاتها.

"وفي العصر الذهبي للإسلام (إشارة إلى وقت حياة النبي محمد ﷺ)، بدءًا من عائشة وحفصة وأم سلمه (زوجات النبي ﷺ)، كان للنساء مكانتهن بين الفقهاء وقاموا بتعليم الرجال؛ وعندما تؤخذ هذه الأمثلة في الاعتبار، سيكون من المفهوم بوضوح أنه من غير المناسب تقييد حياة المرأة بتضييق نطاق أنشطتها. ومن المؤسف، أن عزل المرأة عن الأنشطة الاجتماعية في بعض الأماكن اليوم، وهي ممارسة نابعة من سوء تفسير المصادر الإسلامية، كانت موضوعًا لحملة دعائية عالمية ضد الإسلام."

القرآن الكريم يدعو الأزواج إلى احترام بعضهم البعض

دعونا ننتقل مرة أخرى إلى المقابلة التي أجراها البروفسور زكي ساريتوبراك والكاتب الصحفي على أونال لصحيفة العالم الإسلامي؛ حيث سأل ساريتوبراك وأونال قائلين: "العلاقة بين الرجال والنساء في الإسلام هي واحدة من الموضوعات المثيرة للجدل التي تُناقش حاليًا في العصر الحديث. ما هي أفكارك الخاصة عن مكانة المرأة في المجتمع؟"

لقد أجاب كولن باستفاضة حول هذه المسألة؛ حيث كانت أحد أهم القضايا التي لفت الانتباه إليها هي أنه لا يوجد فارق بين النساء والرجال في أمور مثل حرية العقيدة والفكر، والحق في الحياة، والملكية، وإدارة الممتلكات والأموال، والحق في المعاملة بالمساواة والعدالة أمام القانون، والحق في الزواج وبناء الأسرة، والحق في الخصوصية وحرمة الحياة الخاصة. وتعتبر ممتلكات المرأة، وحياتها، وكرامتها محمية ومكفولة مثل الرجال تمامًا؛ ويؤدي انتهاك أي من هذه الحقوق إلى التعرض لعقاب

شديد. وتتمتع المرأة بالحرية والاستقلال أمام القانون. والآن دعونا ننتقل إلى رد كولن:

"يحث القرآن الكريم الناس على تكوين حياة أسرية، ويشير إلى العديد من الحكم والفوائد للزواج؛ ويرى القرآن الكريم أن الزواج بمثابة التزام جديّ من جانب الزوج والزوجة، بل هو بالأحرى ميثاق وعهد بينهما. ويتحدث عن حقوق الزوج والزوجة؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن القرآن العظيم يؤكد من حيث المبدأ على ما هو خيّر، ويقر في أكثر من موضع أن الأزواج يجب أن يفعلوا ما هو خيّر ومحبب تجاه بعضهم البعض."

"ومن أجل تعزيز أواصر الزواج، وضع القرآن الكريم المزيد من المسؤولية على عاتق الزوج؛ كما أنه فرض جزءًا من المسؤولية على المجتمع في حالة وجود خلاف بين الزوجين. ويرى أن الطلاق، الذي يبغضه الله سبحانه وتعالى، هو بمثابة الملاذ الأخير عندما تتعذر المصالحة بينهما."

"وبالإضافة إلى تذكير الأزواج بواجباتهم تجاه بعضهم البعض، فقد أكد القرآن العظيم على المبادئ الأساسية للأخلاق الإنسانية، ويدعو الأفراد إلى احترام ومراعاة حدود الله وأن يتحلوا بالفضيلة والإخلاص تجاه بعضهم البعض. ويعد هذا الجو من الاحترام ضروريًا لاستمرار العلاقات الإنسانية والشرعية؛ ويتعامل الإسلام مع النساء والرجال على قدم المساواة ويرفع من شأن المرأة إلى مكانة عظيمة.

أوضح كولن بأشد العبارات الممكنة أن العنف ليس له مكان ولا يقره الإسلام؛ وأضاف أن النساء اللواتي يتعرضن لسوء المعاملة لهن كامل الحق في الدفاع عن أنفسهن.

"وبعد ظهور الإسلام، لم يعد يتم التعامل معها على أنها من الممتلكات، ولم تعد تتهم بعدم الطهارة؛ وهذا الاتهام سيؤدي إلى عقاب شديد ضد المُتهِم. ولم يعد يُنظر إلى الأطفال الإناث بازدراء، كما حظر أيضًا قتل الأطفال.

"وحتى لو كانت المرأة مختلفة من الناحية الجسدية، فإن هذا ليس سببًا للنظر إليها بازدراء؛ ومن منطلق النظرة القرآنية للخلق، خُلق آدم عليه السلام أولًا ثم خُلقت حواء من نفسه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾(الأعراف:١٨٩)، وتُذكرنا هذه الصورة القرآنية كما يعرضها القرآن الكريم، بأن الرجال والنساء على حد سواء من البشر، وهما كيانان يكمل كل منهما الآخر؛ ويستند الفارق بين كليهما إلى أغراض وتصاميم معينة، وليس من الناحية الوجودية."

"وفيما يتعلق بالبشرية والعلاقات الإنسانية مع الله، فلا يوجد فارق بين النساء والرجال، فهم متساوون فيما يتعلق بحقوقهم ومسؤولياتهم؛ فالمرأة متساوية مع الرجل في حقوق حرية الدين، وحرية التعبير، وحرية عيش حياة كريمة، والحرية أو الاستقلال

المالي. فالمساواة أمام القانون، والمعاملة العادلة، والزواج، وتأسيس الحياة الأسرية، والحياة الشخصية والخصوصية، والحماية، كلها من حقوق المرأة".

"وتعد ممتلكاتها وحياتها وكرامتها مكفولة تمامًا مثل الرجل؛ نعم، المرأة حرة ومستقلة أمام القانون. ولا تقلل أنوثتها من أهليتها أو تبطلها؛ وعندما يُنتهك أي حق من حقوقها، مثل الرجل، يمكنها تقديم التظلمات والدعاوى. وإذا تعدى أي شخص على ممتلكاتها من غير وجه حق، فلديها كافة حقوق الاسترداد. وبالنظر إلى بعض صفات المرأة والرجل، فقد فرض الإسلام بعض الأمور القانونية: فعلى سبيل المثال، تُعفى المرأة من بعض المهام مثل الخدمة العسكرية، والمشاركة في الحرب، ورعاية الالتزامات المالية للأسرة ونفسها، وما إلى ذلك.

"أما بالنسبة للشهادة، نعم، يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾(البقرة:٢٨٢).

ومن غير المقبول أن نستنتج أي معنى من هذه الآية للإشارة إلى تفوق الرجل على المرأة من الناحية الإنسانية ومن حيث القيمة".

"إن القضية الأساسية هنا هي تحقيق العدالة؛ وهذه ليست مسألة فريدة بالنسبة للمرأة. وقد رُفضت شهادات بعض البدو من الذكور عندما تعلق الأمر بالحقوق وتطبيق العدالة، وتتعلق مسألة الشهادة بالالتزام القوي بالحياة المجتمعية. ومن الأفضل بكثير بالنسبة لأولئك الذين يُتوقع منهم أن يشهدوا في قضية معينة، أن يكونوا على صلة بهذه القضية في حياتهم."

"وترتبط قضية الشهادة في القرآن الكريم بالشهادة الشفوية فيما يتعلق بالمسائل المالية والقروض؛ وإلا، فإن شهادة المرأة خطيًا، حسب الاقتضاء، مقبولة على قدم المساواة مع الرجل من قبل بعض علماء الشريعة الإسلامية" (صحيفة العالم الإسلامي، عدد يوليو ٢٠٠٥).

هذا ويشكل العنف المنزلي مشكلة خطيرة أخرى تهدد سلامة الأفراد وخاصة النساء؛ ويرفض كولن رفضًا قاطعًا أي نهج يشرّع أو يجيز العنف ضد المرأة. وهي مشكلة عالمية، بما في ذلك في العديد من البلدان الإسلامية، وكذلك تركيا. وقد أوضح كولن بأشد العبارات الممكنة أن هذا العنف ليس له مكان ولا يقره الإسلام؛ وقال كولن إن النساء اللواتي يتعرضن لسوء المعاملة لهن كامل الحق في الدفاع عن أنفسهن، بل إنه أشار إلى أن المرأة يجب أن تقاوم باستخدام قوتها الجسدية عندما لا يكون لديها إمكانية الوصول إلى إنفاذ القانون، وليس لديها خيار آخر في لحظة العنف، وربما تعلُّم فنون الدفاع عن النفس لتكون قادرة على القيام بذلك. ■

الذائقة الجمالية عند فتح الله كولن

ناصر أحمد سنه

أستاذ ورئيس قسم الجراحة والتخدير والأشعة
كلية الطب البيطري ـ جامعة القاهرة.
وعضو عدد من الجمعيات العلمية المصرية،
وأشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه.
وله عشرات البحوث والدارسات العلمية،
وأكثر من ثلاثمائة مقال منشور في عدد من المجلات الثقافية الدورية والمواقع الالكترونية.

إن الجمال مبثوث في كل أجزاء الوجود، والعبارة فن خاص له نصيب كبير من الجمال، وكلما صيغت العبارة بأسلوب بديع ووضعت في رونق باهر، أثرت في نفس المخاطب وتسللت إلى أعماقه لتستقر في قلبه.

يرصد الكاتب من خلال هذه الدراسة منهج الأستاذ كولن في توصيل أفكاره وأراءه عبر جمال الأسلوب المعبر عن عمق المعنى، فيسعى من خلال كتاباته المتنوعة إلى إيصال المعنى للقارئ بصور غاية في الإبداع والجمال، وهو ما يرسخ لدى القارئ أهمية مفهوم الجمال وتذوقه، فالفن ضرورة إنسانية، وحتى أجمل المعاني إن لم توضع في قوالب فنية بديعة فستستنكرها الأذواق السليمة لمخالفتها للطبيعة. ولكن من أين يستقي الأستاذ كولن جمال تعبيراته وعباراته؟ وما هي الاسقاطات للرمزية التي يستخدمها في أشعاره؟ وما هي لغة الروح التي يسعى إلى إحيائها؟ كل هذا وأكثر يتناوله البحث بالدراسة والتحليل.

الجمال ملمح أصيل من ملامح بنية الكون المادي والمعنوي، الجليّ والخفي مـقوم أساس من أهم مقومات العمران والحضارة، ولا ريب أن المتصدي للعمل التربوي والدعوي والعلمي والتعليمي يجب عليه "التماهي" مع هذا الجمال بكل أشكاله، وألا يغيب عن تكوينه الفكري والمعرفي والمنهجي والتطبيقي هذا الجانب الحيوي الهام. فالذائقة الجمالية تؤطر لوعي فكري خلاّق محوره "معرفة النفس"، وكيفية النظر للكون والحياة والأحياء.

و تفعل كذلك الحواس "المفطورة على حب الجمال" وتُربي الناس على تذوق الجمال الكوني المبثوث، وانتهاج سبل ومعاملات أكثر جمالاً؟. لذا يمكن القول بأن الجمال وتذوقه وتنميته وسيلة "هادية ودالة" على وجود الله تعالى، مصدر كل جمال. وينبغي ألا يُرى هذا الجمال المتغلغل في الكون دون رؤية مبدعه، ومن ثم حبه، "ولا يُتصور محبته محبة حقيقية إلا بعد معرفة وإدراك". فكيف يمكن رصد ملامح " الذائقة الجمالية" عند الأستاذ "فتح الله كولن".. مفكرًا وفيلسوفًا، ومُنظرًا ومربيًا، وعالمًا ومُعلمًا؟

فعلى كثرة الدراسات والأطروحات والمقالات التي تناولت جوانب عديدة من شخصية "كولن" ومنهاجه وأساليبه التربوية والدعوية والعلمية والتعليمية إلا أن القليل منها ـ في ضوء علم الكاتب ـ قد تناول هذا الجانب الفاعل، لذا ستحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذا السؤال المحوري.

الفن ضرورة إنسانية

الإحساس بالجمال شعور فطري أصيل، وعمر هذا الشعور يكاد يكون هو عمر الإنسان، "فلا إنسان بلا فن، ولا فن بلا إنسان" ويرفد هذا الشعور ويُشبعه التأمل والتدبر في القرآن الكريم "كتاب الله المسطور"، وفي الكون "كتاب الله المنظور"، فالأول كلامه تعالي "آيات قرآنية"، والثاني خلقه وإبداعه "آيات كونية، وتكوينية.. ظاهرة وخفية" ولا تعارض بينهما. ولا شك أن الجمال والإسلام صنوان لا يفترقان، فالإسلام دين السلام والخير والرحمة، والجمال علامة السلام والخير والرحمة[1].

لذا نجد رؤية معرفية أطّرها الأستاذان: "بديع الزمان سعيد النورسي"، و"محمد فتح الله كولن" وتستشرف الانفتاح على القرآن الكريم، والكون الفسيح، والعلم النافع، والفن الهادف بميزان الوجدان والعقل. حيث أشار النورسي "لتوجه البشرية في آخر الزمان إلى العلم والفن". فالفن ضرورة مُلحة من ضرورات النفس الإنسانية في تحاورها المستمر مع الكون المحيط.

وتؤكد هذه الرؤية على أن: "كتاب الكون مفتوح على مصراعيه، يثبت كل ألوان الإبداع الرباني للخالق البارئ ﷻ، وفيه من الآيات البينات ما لا يُحصى عددًا، وينبغي على المختصين الإبحار في قراءته: آية آية، وسورة سورة.. من الذرة للمجرة، ومن الزهرة

للشجرة، بدراية علمية، وبراعة لغوية، وإشرافات وجدانية، ومن قبل وبعد.. بلمسات إيمانية".

لقد تعارف أهل العلم -قديمًا وحديثًا- فيما عُرف بـ"علم المحاسن" أو علم الجمال على أن: "الجمال أحد القيم الثلاث التي ترد إليها الأحكام التقويمية، وهذه القيم هي: الحق والخير والجمال"[٢].

وأقسام الجمال ثلاثة: مادية كونية، ومعنوية نفسانية ومزيج بينهما. يقول الشيخ الرئيس ابن سينا: "وجمال كل شيء وبهاؤه هو أن يكون على ما يجب له". وتعارف أكثرهم على أن الجمال في الكون أصيل وكلّي وغائي فلمسات التجميل والتحسين رحمة مُرادة". كما وصفوا "الشيء المادي الجميل" بأنه: "ما كان سالمًا مِن النقائص والمعايب، ومُتقنًا، ومُتناسِقًا، ومُنتظمًا، ومتناسبًا، ومتماثلاً، ودقيقًا، وبسيطًا، ونافعًا، ومُبهرًا، ومبهجًا في آن معًا.. وهذه سمات ذاتية وموضوعية يمكن قياسها، وتكمن وراء مفردات هذا الجمال المبثوث في الجمادات قبل الأحياء. أما اللذات الجمالية فهي تتسم بالتنوع والشمول؛ فهناك لذات حسية سمعية وبصرية وشمية وذوقية، وهناك لذات جمالية فكرية وروحية وعاطفية تتذوقها العقول والأرواح والقلوب.

كولن والنورسي

يعتبر بديع الزمان سعيد النورسي (١٨٧٧-١٩٦٠) أحد أبرز رجالات العلم، وفطاحل الفكر، ورموز التجديد في العصر الحديث. له مكان ومكانة ورؤية متميزة

الإحساس بالجمال شعور فطري أصيل، وعمر هذا الشعور يكاد يكون هو عمر الإنسان، فلا إنسان بلا فن، ولا فن بلا إنسان.

nesemat.com نسمات nesemat.com

-من وجهة نظر إستاطيقية- للكون والحياة. رؤية مطلوبة ليس للمسلمين وحسب بل للبشرية جمعاء، لذا فمعرفة رؤيته ورؤية ومن سار على دربه كالأستاذ المُعلم فتح الله كولن هامة من جانبين:

أولهما: تنامي مظاهر القبح والتشويه والفوضى والتخاصم والعداء والعنف، وشرعة غاب متفشية، لذا يهفو المرء عوضًا، أو قل إن شئت هروبًا من ذلك، بمقاربة الجانب الجمالي وتنمية الذائقة الجمالية عبر ترحال في آفاق الفكر والأنفس، ليستطيع تحمل وطأة هذا الواقع.

ثانيهما: في وقت تحرص فيه الأمم على إدامة التذكر والتذكير برجالاتها الألمعيين المتميزين، فلم لا نكون مثلهم فلدينا العدد الهائل ممن يستحقون هذا التذكر والتذكير.

وبعد حيرة فكرية عن أي الطرق يسلك يقول النورسي: "إن بداية هذه الطرق جميعها، ومنبع هذه الجداول كلها، وشمس هذه الكواكب السيارة، إنما هو القرآن الكريم، فتوحيد القبلة الحقيقي -إذن- لا يكون إلا في القرآن الكريم؛ فالقرآن هو أسمى مرشد.. وأقدس أستاذ على الإطلاق.. ومنذ ذلك اليوم أقبلت على القرآن واعتصمت به واستمددت

nesemat.com نسمات nesemat.com

إن الإحساس بالجمال ورؤيته والتفاعل معه وتلقيه، وتحليل أبعاده وعناصره، سواء في كتاب الكون المنظور أو الكتاب المقروء، يهيمن على كلمات النورسي ورسائله من بدئها إلي منتهاها.

منه.. فاستعدادي الناقص قاصر من أن يرتشف حق الارتشاف فيض ذلك المرشد الحقيقي الذي هو كالنبع السلسبيل الباعث على الحياة، ولكن بفضل ذلك الفيض نفسه يمكننا أن نبين ذلك الفيض وذلك السلسبيل لأهل القلوب وأصحاب الأحوال، كلٌّ حسب درجته، فالكلمات والأنوار المستقاة من القرآن الكريم (أي رسائل النور) إذن ليست مسائل علمية عقلية وحدها بل أيضاً مسائل قلبية، وروحية، وأحوال إيمانية.. فهي بمثابة علوم إلهية نفيسة ومعارف ربانية سامية"[٣].

وفي هذا المضمار نرى الأستاذ كولن قد سار على درب النورسي فكان كتابه القيم: (القرآن الكريم، "البيان الخالد.. لسان الغيب في عالم الشهادة"[٤]، وهو علامة بارزة في المكتبة القرآنية التليدة، حاول فيه الكاتب الاغتراف من مأدبة القرآن الكريم، وتذوق ثماره الغضة، والارتواء من نبعه الفياض المتدفق، وبديع أسلوبه، وروعة نسقه.

يقول الأستاذ كولن "أسلوب القرآن نسيج وحده، فما إن سمع آياته بلغاء العرب والعجم حتى خروا له ساجدين، وعندما رأى أهل النَّصَفة من الأدباء محاسنه ذلت أعناقهم خاضعين بأدب وتقدير جمّ لسلطانه المبين". وسيلاحظ القارئ لهذا الكتاب كيف أنَّ مؤلفه يطوف حول عظمة البيان مرتحلاً عبر رحلات استكشاف جزالة النظم، وعمق الاختزان، وخلود البيان. وبينما يبحر في هذا الميدان مبينًا عظمة كتاب الله المسطور، وما فيه من جلال وجمال وكمال، نراه ينتقل ـ في رؤية استاطيقية ـ إلى الربط بين "المسطور والمنظور" فالكون دائم التغيّر سريع التطوّر، والتضافر بينهما كما بين جناحي الطائر. وحيثما تصل البشرية في نهاية رحلتها وخاتمة مطافها في استكشاف الكون والأنفس فستسمع كلّ شيء ينادي بلسان الحال والمقال أن: "لا إله إلا الله" مصداقاً لقوله تعالي: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت: ٥٣)[٥].

ولقد أدلي النورسي بدلوه في بحر جماليات البيان القرآني، وهذا منطقي من رجل تدفقت "رسائله"[٦] من نبع كتاب الله المترع عذوبة وسخاء، وجمالاً وبهاء، فضلاً عن أن خلفيات النورسي الإيمانية والفكرية تنبض بعشق الجمال، وتأمل الإبداع الإلهي، وهو حين يتحدث عن "البعد الجمالي" في أسلوب القرآن الكريم يحاول أن يوجزه بالإحالة إلى مصطلحات البلاغيين: كالنظم، والمعنى، والأسلوب، واللفظ، والبيان، والتكرار.. ذلك أن الإحساس بالجمال ورؤيته والتفاعل معه وتلقيه وتحليل أبعاده وعناصره -سواء

في كتاب الكون المنظور أو الكتاب المقروء- يهيمن على كلمات النورسي ورسائله من بدئها إلى منتهاها[٧]، ومن ثم فإن ما يقوله النورسي عن جماليات الأسلوب القرآني، قد ينتشر بالكلمة القرآنية نفسها، جنبًا إلى جنب مع الإبداع الإلهي في الكون والعالم.

هذا الجلال القرآني الذي ينبض بالجمال وبالتناظر والتناسب، والتوزيع المذهل للأبعاد والمساحات... هذا التدفق الموصول الذي لا يكف عن الخفقان لحظة واحدة، ولا عن الإيمان لحظة واحدة، ولا عن الوعد بالعجيب المدهش لحظة واحدة. أليس هذا من قبيل عطاء الله الجميل الذي يحب الجمال، والذي لا تنفد كلماته؟![٨].

التناغم الجمالي في البيان القرآني

ولذا نري المفكر كولن يخصص الفصل الأول من "البيان الخالد" ليتذوق براعة البيان القرآني، وجمال اللفظ، وعمق المعنى، ودقّة الصياغة، وروعة التعبير، ولم لا.. فمنذ وقت باكر استحوذت براعة البيان القرآني على قدر كبير من اهتمام العلماء والدارسين وكانت الدافع وراء ما بذلوه من جهود مباركة، يرمون من ورائها إلى تحقيق هدف أصيل، جدير بأن يبذل في سبيله كل جهد، وتستنفد فيه كل طاقة.

يقول الأستاذ كولن "ومن أمعن وعمَّق ودَقَّق النظر في القرآن رأى فيه تناغمًا وانسجامًا يستحيل أن تأتي به قرائح البشر، فسوره متّسقة، ومتناسبة، وكل

أجمل لحظة يعيشها المؤمن عندما يتّخذ من العلم طريقًا للإيمان بالله تعالى، واليقين بعظمة كتابه الخالد، وبهذا يجني المرء الإيمان، ويدحض الشبهات، كما يفهم الكون والمادة و"سُننهما"، وقوانينهما، فيتطور حضاريًا وماديًّا.

سورة كأنها صورة مصغّرة للقرآن، فيها كل ما فيه؛ فالانسجام مكين فيه وأصيل، ولقد اتفق المفسرون أن القرآن كلّه في سورة البقرة، وسورة البقرة في الفاتحة، والفاتحة في البسملة؛ إذًا القرآن من مبدئه إلى منتهاه في انسجام تام وكأنه جملة واحدة"[٩].

كما نجده يقول: "من وجوه إعجاز القرآن: التنسيق والاتساق والتناغم والانسجام؛ ومنها أسلوبه البيانيّ الذي فاق مستوى البشر، وأعجز طاقتَهم، وبالمثال يتّضح المقال: لن تجد بين سور القرآن وآياته أو كلماته أسلوبًا أو جملة تخل بالتناغم والانسجام، فكأنه سبيكة ذهبية من قالب واحد، رغم أنَّه نزلَ منجّمًا في عقدَين ونيف، بمناسبات مختلفة، وحالات متنوعة، لمخاطبين شتى، وما ذلك إلا لأنه كلام الذات المنزهة عن الزمان والمكان، فالعقدان عنده تعالى كأنهما "آن" واحد، والماضي والحاضر والمستقبل سواء. لكل علم وفن مصطلحاته وأسلوبه، وله لغة وطريقة خاصة يعبر بهما عن مواضيعه ومباحثه، ولقد جمع القرآن الكريم كل هذه الأساليب في إعجاز وجمال"[١٠].

إن النورسي، وكولن كلاهما يولي اهتمامًا ملحوظًا بتذوق روضة الملامح والتشكيلات والقيم والمعاملات والمفردات الفنية والجمالية في الكتاب المسطور.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

ويفصح الكاتب عن نظرته الشخصية فيقول "وأنا شخصيًّا أنظر إلى القرآن وكأنه صورة بلورية واعية رعت مستوى إدراك البشر، أو كأنَّه كائن حيٌّ يحيط بأحوالنا كلّها، ودليل هذا من البيان النوراني المحمدي: "وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لكَ أوْ عَلَيْكَ" [١١]. كما يشير إلى "أن القرآن منبع هداية، فمن أراد الهداية في كل ميدان فعليه بالقرآن، يسترشد بهديه ويسير في نوره، وتحقيق هذا يقتضي الانسجام مع القرآن وتلاوته والاستماع إليه بتدبر"[١٢].

فجّروا ينابيع القرآن!

الحرائق تتسعَّر وتمتدّ،
واللهب يلسع الوجوه،
ويأكل القلوب..
ولا مغيث ولا معين..
والقرآن ينادي:
"إليَّ تعالَوا، ينابيع نورٍ أنا،
إذا تفجَّرتْ أطفأتْ، وإذا انبجست سقَتْ،
والجحيمَ حوّلتْ، وجنَّات صارت،
والطمأنينةَ نشرتْ، والسكينة أشاعت..
فما بالكم لا تسمعون وإيّاي لا ترجون؟![١٣]

وقد خلُص في رؤاه إلى أن: "القرآن الكريم كتاب صالح لكل زمان ومكان، لكل عصر ومصر" يتميز بأسلوبه الرائع، وبمفرداته المعدودات، وجُمله المختصرات الدالات على كثير من الحقائق الكونية.

وما أكثر الآيات التي تقف أمامها "خاشعاً في محراب جلالها وجمالها، متأمِّلاً دقّة بنائِها وإحكامها، وروعةَ أسلوبها وسحرها، ومتدبِّرًا دِلالاتها ومعانيها، ومتفكرًا في علومها وعجائبها ومعجزاتها" فوسط دعوات أعداء الإسلام للتشكيك في القرآن الكريم. تتجلى الآيات الكونية لتثبت -لهم ولغيرهم- صدق كلام الله تعالى، المُنزل على رسوله الخاتم ﷺ فهي وسيلة للتقرب إلي الله تعالى، وزيادة اليقين به، وسبيل للدعوة إليه. فأجمل لحظة يعيشها المؤمن عندما يتّخذ من العلم طريقًا للإيمان بالله تعالى، واليقين بعظمة كتابه الخالد، وبهذا يجني المرء الإيمان، ويدحض الشبهات، كما يفهم الكون والمادة و"سُننهما"، وقوانينهما، فيتطور حضاريًا وماديًا.

تضرع قلم

تكلَّمْ يا قلَم
واصرخ يا مداد:
"يا مَن بالقلم أقسَمْتَ!
أعوذ بك أن تلمسني يَدٌ جافية،
ويستخدمني عقل غبيّ،
وروح ضال...
وهَبْني -يا ربُّ- إلى مَن إليك يكتب،
وعليك يدُلّ.."[١٤].

الذائقة الجمالية في "النور الخالد"

كما تذوق العلامة المُجدد فتح الله كولن من أطايب ثمار القرآن الكريم نجده قد تخرج في مدرسة النبوة والرسالة. ومقوم الجمال والإحسان والذائقة الجمالية الإنسانية ركيزة من ركائز هذه المدرسة ونورها الرسالي فالسيرة عند مؤلف كتاب النور الخالد "حضور جمالي دائم لا يغيب، يعايش أحداثها المباركة في فكره وقلبه ووجدانه، ويمتلئ بها حسُّه وشعوره وإعماله، إنها نبض القلب، وخفق الجنان، إنها تشكل عقله، وتنظم فكره، وتروي وجدانه، فتنعكس عنه سلوكـًا محمديَّ البصمة، وسننًا تشكل واقعه وواقع الناس والإنسانية جمعاء[١٥]. ويتجلي هذا في سفره "النور الخالد.. محمد صلي الله عليه وسلم، مفخرة الإنسانية"[١٦].

فهذا الكتاب المتميز الذي كتب "بقلم أديب، وريشة فنان، ولهجة عاشق، وتلمح فيه حبًّا للرسول الخاتم، رحمة للعالمين، حباً ليس عن عاطفة مجردة منفصلة عن الأسباب، بل هي عاطفة لها ما يبررها". ومن ذلك أن الرسول ﷺ قام بتربية المؤمنين الذين اتبعوه تربية عالية، وكان حريصًا على السمو بنفوسهم إلى المعالي، ودعوه المسلمين إلى الحركة والعمل، ودفعهم لخوض مجالات التجارة والزراعة بالتوازي مع الجهاد، لهذا فقد حصلت البشرية على يده ﷺ على أفضل رجال الإدارة والاقتصاد، فقد كان ﷺ أكثر المربّين تأثيرًا في طول التاريخ وعرضه

يقول الأستاذ كولن "ومن أمعن وعمَّق ودَقَّق النظر في القرآن رأى فيه تناغمًا وانسجامًا يستحيل أن تأتي به قرائح البشر".

nesemat.com نسمات nesemat.com

وأكثرهم مصداقية".

الفرسان

هؤلاء السالكون، فرسان سائحون
وبالطريق هائمون، قلبوهم بالإيمان مترعة
ونواصيهم بالفكر مشرقة..
إلى السماء يمدون يدًا، وإلى الأرض يدًا..
من هنا مرّوا، وآثارًا لهم تركوا
والآفاق نوروا، والطمأنينة نشروا![١٧].

ثنائية "البلبل والوردة"

إن النورسي، وكولن كلاهما يولي اهتمامًا ملحوظًا بتذوق روضة الملامح والتشكيلات والقيم والمعاملات والمفردات الفنية والجمالية في الكتاب المسطور، وسيرة "النور الخالد"، الكون المنظور، ورمزية الروضة عند النورسي عبارة عن الجمال أو الحسن المجرد يلبسه الشعراء والبلغاء صوتًا "الحسن المجرد هو الروضة لأزاهير البلاغة التي تسمى لطائف ومزايا.. وتلك الجنة المزهرة هي التي تتجول وتتنزه فيها البلابل المسماة بالبلغاء وعشاق الفطرة، وأولئك البلابل نغماتهم الحلوة اللطيفة إنما تتولد من تقطيع الصدى الروحاني

انطلاقًا من رمزية الثنائي "البلبل، الوردة" وهما مظهران لمفهومي الحب والجمال، يؤكد "النورسي" على أن الحب مرتبط بالجمال ارتباط المعلول بالعلة.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

المنتشر من أنابيب نظم المعاني"[١٨].

وانطلاقًا من رمزية الثنائي "البلبل، الوردة" -وهما مظهران ماديان لمفهومين مجردين: الحب والجمال- يؤكد النورسي على أن "الحب مرتبط بالجمال ارتباط المعلول بالعلة"، ويجد هو وكولن أن الجمال يمثل أحد المصادر الرئيسة واللانهائية للحب "أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه، وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن، فإن كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال؛ لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها، ولا تظنن أن حب الصور الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فإن قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لأجلها وإدراك نفس الجمال أيضًا لذيذ فيجوز أن يكون محبوبًا لذاته"[١٩].

ولعل هذه الفكرة قد تبلورت من هذا الحديث النبوي الشريف: قال النبي ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقالُ ذرة من كِبْر قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة قال إن اللّٰه جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس"[٢٠].

فالخالق ﷻ وضع في كل كائناته شيئًا من الجمال كما غرس في ذات كل كائن بذرة حب الجمال "وقس على البلبل؛ بلابل النحل والعنكبوت والنمل والهوام والحيوانات الصغيرة. فلكل منها غايات كثيرة في أعماله، أدرج فيها ذوق خاص، ولذة مخصوصة، كمرتّب وكمكافئة جزئية، فهي تخدم غايات جليلة لصنعة ربانية بذلك الذوق. فكما إن لعامل بسيط في سفينة السلطان مرتّبهُ الجزئي، كذلك لهذه الحيوانات التي تخدم الخدمات السبحانية مرتّبها الجزئي"[٢١].

ولاشك من تتعدد مظاهر الجمال الزاخر، وجمال سُنن الله في الآفاق، والإبداع المبثوث في الكون المادي. ويؤكد "أينشتين" على أنه "لا علم من غير الاعتقاد بوجود تناسق وتناغم داخلي في الكون.. تناسق الأجزاء مع بعضها البعض ومع الكل الجامع"[٢٢].

المبنى والمعنى

المجزءات، الفكر يجمع بينها..
والناشزات، في النغم الواحد تتعاشق...
والفراغات، يملؤها الخيال،
ويترعها الذهن بالمعني...
فالميزان عدل، والكتاب دستور، وللقاضي مطرقة..
والكل في النظر العميق عالم موزون ومطلوب..[٢٣].

ولا يفوت الحديث عن الجمال والفن في الرؤية النهضوية للنورسي، وكولن؛ الإشارة إلى الذوق الرفيع، والحس والأدبي المرهف، والجمال الأخاذ، واللغة

الشاعرية الرقيقة التي تصبغ كتاباتهما، وهي وإن وصلت إلينا مترجمة، إلا أن معانيها المتضمنة، تستنفر في داخل كل ذواق وفنان وشاعر تلك القيمة الكبيرة التي تميزهما.

وفي هذا السياق يقول كولن "ولا بد من الاعتراف أن الأدب جمال وفن، ذلك أن الأديب كالفنّان، يبحث دومًا في ألوان الكون وخطوطه وأشكاله عن نفسه، وفي اللحظة التي يجد فيها ما يبحث ويعبّر عنه، يكسر قلمه ويرمي بفرشاته ويغيب بذهول وإعجاب عن نفسه.. والأدباء والشعراء "يدندنون" بالجمال الخفي والجلي، أي الجمال في الأنفس وفي الآفاق، يشبهون عازفي الناي".

ألوان وظلال في مرايا الوجدان

ثمة علاقة وثيقة بين الصورةُ والنصَّ المرافق؛ فالصورة تجسيدًا للنص، والتصوير والرسم يجسد ما يقوله النص، وبدون ذلك فإنها تصبح صورة ملتبسة المعاني، غائمة المباني.

ولقد طبق هذا العلامة كولن -ببصيرته الفذة- ورأى أن هناك عناصر أخرى مساندة للغة المنطوقة؛ كالألوان والصور والرسوم.. تساعد هذه اللغة غير المنطوقة على التصوير بشكل دقيق وواضح وتمثل وعاء أخر الفكر، وتتيح للإنسان التفكير من خلال الأشكال والإشارات والأصوات والألوان.

وللرجل "الثمانيني" لطف الحضور وجمال الحيوية مما يجعله -على كثرة بكائه- من مصادر

nesemat.com نسيمات nesemat.com

إن فتح الله كولن ينتصر للمحتوى على حساب الشكل، بغرض الدفاع عن حقيقة الوجود، وعن الإيمان برب الوجود.

فرح العقول، وبهجة النفوس ولما لا فقد دأب على إطالة النظر فيما تقع عليه عيناه من صور ورسوم ولوحات.. ومن ثم يسبر غورها ويكشف خباياها ويصوغ -بشمولية وحيوية- أفكارها ومعانيها من جديد بالعبارات والكلمات. ويمكن مطالعة كتابه اللطيف "ألوان وظلال في مرايا الوجدان" لتقف على هذا المعنى وتستوضح "جدلية الصورة والمعني".

الإنسان والجمال

أمعن -يا إنسان- النظر،
ومن سجن نفسك تحرر،
ولمحات الجمال تشرب..
ودع قلبك يطر فرحًا،
وروحك يرقص طربًا..
واستشرف جمال "الجميل" في كل جمال
تطمئن نفسك،
ويزدد إيمانك،
وإلى ربك تعد إنسانًا
خالصًا في إنسانيتك.

ولعل التجسيد الفني يتيح للعمليات العقلية المعرفية القيام بدورها في استقبال الرسالة الاتصالية وفهمها، فعند مشاهدة أو قراءة مضمون لفظي

إن الأديب كالفنّان، يبحث دومًا في ألوان الكون وخطوطه وأشكاله عن نفسه، وفي اللحظة التي يجد فيها ما يبحث ويعبّر عنه، يكسر قلمه ويرمي بفرشاته ويغيب بذهول وإعجاب عن نفسه.

nesemat.com نسمات nesemat.com

تسانده الألوان أو الأضواء أو الرسوم، سيتم تذكر خبرات سابقة، وتخيل صورًا جديدة مركبة، فيكون الإدراك والفهم أكثر دقة.

ويجب أن نتذكر أن انتقاء الكلمة والعبارة والرسالة والإشارة لا يعني مجرد اختيار مفردات، وصياغة علاقات، بحيث تصب في فكرة ينحاز إليها المربي، أو يرجحها وينتظرها من طلابه ومريديه، لكن الفن والجمال إكسير الأدب، و"العنصر الأساس في الأدب هو المعنى لذا يجب أن تكون الكلمات المذكورة قليلة وقصيرة وغنية بالمعاني".

من هنا نجد كولن ينتصر للمحتوى على حساب الشكل، بغرض الدفاع عن حقيقة الوجود، وعن الإيمان برب الوجود، فالأدب لا يبحث عنه عند الأدباء واللغويين، بقدر ما يطلب عند المفكرين من ذوي القلوب الملهمة التي تحيط بالوجود، وتعرف كيف تتسع قلوبها للوجود كله.. وذوي الخيال الواسع الذين نجحوا في رؤية الدنيا والآخرة، وجهين لحقيقة واحدة.. والذين يملكون إيمانًا عميقًا، وفكرًا تركيبيًّا قويًّا.. أي إن مصدر الأدب، هو الرؤية الكونية الشاملة المتزنة، الكاملة المعاني والمعالم، اسمع له يقول:

حمامة الغيوب

بشرى.. بشرى..

يا آتية من سماء الغيب!

يا خفاقة الجناحين!

بالآمال تخفقين

مع خفق جناحيك

تخفق القلوب وتطري الأرواح

فيا للبشرى التي جئت تبشرين

ويا للرسالة التي إلينا تحملين..[٢٥].

ولعل بحث الأستاذ الدائم عن الجمال ونشدانه وتذوقه بمثابة "الظل الذي يأوي إليه المكدود في وقت الظهيرة، وقطرة الماء التي ترطب جوف اللاهث الظمآن. إنه المسحة على رأس اليتيم، ولمسة الوفاء لمن أسدى إلينا معروفًا".

و"كشدو عندليب" يترنم الأستاذ كولن دومًا بتأكيده على حشد كل الجهود التربوية لتنمية الوعي الجمالي بتوثيق صلته بعلم الجمال وفلسفة الفن، وإكسابه القيم الجمالية في الحياة، والتعويد على الترقي بالرؤى التشكيلية والمواهب الإبداعية والمشاعر الإنسانية، ولعل كولن "بكّاء الصالحين في العصر الحديث" وما بكى إلا ليسعد أهل الزمان، فهو "بكاء السعداء"، والمصباح الذي يحترق كي ينير دروب التائهين، والأمل الذي ينمو كي يعيد مجد الأمة الثمين، وذلك من خلال السعي وراء إحياء لغة أرواحنا قصد معالجتها بنسمات الإيمان الذي يحقق

مفهوم الانبعاث الحضاري من جديد[٢٦].

لحزنك نحزن!

يا مكبل الروح، يا جريح الفؤاد،
يا موشحاً بالحزن والألم!
قروناً أمضيت، والمُخلص انتظرت؟؟
حتى إذا المخلص جاء، وقيودك كسر
وروحك أطلق، وفؤادك ضمّد
عدت لسود أيامك، ولأوجاع أوصالك..
فإذا أنينك يعلو، وصراخك يشجو ودموعك تنهل
وأرواحنا لبكائك تبكي، ومع أناتك تئن..[٢٧].

إحياء لغة الروح وجمالها

يُعد تشكيل "الوعي الجمالي" هدفًا تربويًّا أساسيًّا ويمر هذا التشكيل عبر الأسرة والمنابر الدعوية والثقافية والتعليمية والإعلامية التي عليها ترسيخ القيم الجمالية، كطاقة تدفع الملكات للعمل متناغمة ومتجددة دائمًا. يقول كولن "عندما لا يحترق القلب شوقًا، والروح عذابًا، والذهن همًّا، فلا تتكلم، وإلا فلن تجد أحدًا يصغي إليك" حيث ارتباط التغيير والإصلاح والنهوض والتواصل الكوني عامة، بالروح من حيث الإرادة والصبر والمشاعر.

ولقد غاص الأستاذ بذائقته الجمالية ليستشرف "التصويرُ النفسيّ في القرآن الكريم"، ويعرض لأهم المميزات التي تَلفت الأنظار في تحليل القرآن (النفسي) للأفراد والجماعات، ومراعاة البيان القرآني لخلجات الأنفس، ودوافعها وأشواقها وسلبياتها،

يترنم الأستاذ "كولن" دومًا بالتأكيد على حشد كل الجهود التربوية لتنمية الوعي الجمالي بتوثيق صلة الإنسان بعلم الجمال وفلسفة الفن، وإكسابه القيم الجمالية في الحياة.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

ومصالحها الفردية والاجتماعية، والتجرد والبعد عن "الشخصانية"، مع مراعاة مبدأ الإيجاز بأقصى قدْر ممكن، والتعبير عن القضايا بأساليب بناءة ومختصرة وبليغة، يقول كولن:

"ومن خصائص الأسلوب القرآني أنه حينما يُصوِّر القضايا ويعرضها يستخدم أسلوبًا يبعث في نفس المتلقي رغبة فيها أو رهبة منها، فإذا ذكر الذنوب مثلًا حمل النفس على أن تَعَافَها؛ فالسيئات والشرور في التعبير القرآني مستهجنات تَنفر منها النفوسُ وتَعافُها الأرواح"[٢٨].

سُلّم الروح

علوّا تريد، وسموًّا! تروم
سلالم الأرض كلها لن تسعفك،
فاستنهض سلم الروح، وتشبث بأسباب السماء
تفتح لك الأبواب، وتتمه ذلك السبل..[٢٩].

لذا يحرص الأستاذ عبر تذوقه القرآن الكريم، وفي كافة مناشطه وكتاباته ودروسه إلى بعث "لغة الروح"[٣٠] التي تلامس شغاف الوجدان، وتروي القلوب العطشى، فتنمي الوعي الجمالي. كما يؤكد دومًا على أهمية "بناء صرح الروح قبل صرح الحضارة"، فهل

nesemat.com نسمات nesemat.com

يحث النورسي الإنسان المسلم على الانضباط بالضوابط الشرعية في التمتع بالجمال، لتتكامل لذته وتنفتح أمامه آفاق ملونة رحبة للحسن، ولتأمن لذته من ألم التكدير وألم خوف الزوال.

تتكون "أبجديات لغة الروح"، و"لَبنات" بنائها إلا من الجمال وتذوقه، ونشر فلسفته، والارتواء منه؟

والروح التي يسعى إلى بعثها، هي الروح الفياضة المعطاءة، الوارفة الظلال، والدانية الثمار.. هي الروح التي تعني سمو القيم الأخلاقية وصفاء الأعماق الباطنية للإنسان، ورغبة القلب والروح في بلوغ مدارك الإنسانية الحقيقية، لتجاوز الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

هي الروح التي تعلن الهجرة لخالقها فتترك حياة الراحة والرفاهية، والخمول والكسل، لتسبح في فلك الوجود متأملة آيات الخالق ومتأثرة بمعاناة المستضعفين، وهذا منطلق تكوين التجربة الروحية التي لغتها التواضع وشراعها البحث وغايتها الهجرة والأنين؛ هجرة ما تذل له القلوب وهو متاع الحياة الدنيا وزينتها، للإقبال على ما يسمو بالأنفس إلى مراتب العفة ودرجات التعبد ومراتب الجزاء[٣١].

وكما يحث النورسي "الإنسان المسلم على الانضباط بالضوابط الشرعية في التمتع بالجمال، لتتكامل لذته وتنفتح أمامه آفاق ملونة رحبة للحسن، ولتأمن لذته من ألم التكدير وألم خوف الزوال"[٣٢].

كولن وذائقة الجمال الكوني

هل يرجع تذوق عمل فني ما، وما يصاحب ذلك من شعور بالمتعة والدهشة، إلى أسباب موضوعية يتحلى بها ذلك العمل؟ وهل الشيء الجميل سيكون جميلاً دائمًا عند جميع المتلقين في كل زمان ومكان؟ أم يرجع إلى أسباب ذاتية تخص المتلقي حين يضفي مشاعره وانطباعه الشخصي على العمل الفني، وفق مقولة "كن جميلاً ترى الوجود جميلاً"؟

في محاولة الإجابة عن الأسئلة السابقة انقسم المختصون والدارسون إلى فريقين، فحيث رأت المدرسة العلمية القديمة (من ألمع روادها نيوتن، وديكارت، ودارون) ومبناها "مادي" خالص حيث المادة أساسية، والعقل ثانوي، وهكذا فعدم الاعتراف بعنصر الجمال/الإبداع كمبدأ أساس من مبادئ العلوم وفلسفتها. فالجَمال ـ برأيها ـ لا يمكن قياسه أو وزنه أو اختباره، ولا يدل الجميل، ولا المُبهج على أكثر من موقفنا العقلي، أو تأثرنا الغريزي من الحكم على الشيء ذاته.

وهذا (الجمال) ليس إلا انعكاسًا من الشخص المراقب للظاهرة أو الشيء موضوع البحث، وليس صفة من صفاته الكامنة فيه. وأكدت نظرتهم على إنكار "مبدأ الغائية" فيه، فالكون ليس سوى "مادة"، و"الإحساس" ليس سوى تغير مادي، لذا فليس في الأشياء الطبيعية ثمة "هدف غائي" مقصود، بل هو تصرف بضرورات ميكانيكية داخلية فقط وبالتالي

يلزم التفسيرات العلمية الاقتصار على تلك الأسباب المادية والميكانيكية فحسب[٣٣].

لكن المدرسة العلمية الحديثة مطلع القرن العشرين وبعد مباحثها المذهلة في علوم الفيزياء والدماغ والأعصاب والوراثة وعلم النفس ومن روادها: "أينشتين"، و"هايزنبيرغ"، و"بور"، و"شرنجتون"، و"أكلس"، و"سبرى" أكدت على أن "الكون بما يمثله وما نلمسه، هو وحدة كلية واحدة، وأن المادة ليست أزلية، والكون في تمدد وتغير مستمرين. وهنا يبرز الجمال كوسيلة هادية لاكتشاف الحقيقة العلمية، ويعتبر مقياسًا لها"[٣٤].

وتؤكد هذه الرؤية العلمية على أن الكون بمجموعه "حدث" قد وقع في وقت واحد، وله بداية محددة، لذلك فلابد له من مُوجد، كما تؤكد أن هناك سمات "موضوعية" وليست من قبيل "الصدفة" تكمن وراء هذا الجمال والإبداع الكوني المتنوع، وليس "انعكاسًا في عين الناظر المراقب له"، ويشير الفيزيائي لويس دي بروي (١٨٩٢-١٩٨٧): "كان الإحساس بالجمال في كل عصر من تاريخ العلوم دليلاً يهدي العلماء في أبحاثهم"، أما الفيزيائي ريتشارد فينمان (١٩١٨–١٩٨٨) والحائز على جائزة "نوبل" عام ١٩٦٥ فيقول "إن المرء يمكن أن يستبين الحقيقة بفضل جمالها، وبساطتها وروعتها، ففي الطبيعة بساطة ومن ثم جمال عظيم"، ويؤكد رائد "ميكانيكا الكم" العالم الفيزيائي الألماني "فيرنر كارل هايزنبيرغ (١٩٠١–١٩٧٦) والحائز على جائزة "نوبل"

لقد كانت رؤية النورسي للعالم والأشياء والكلمات، رؤية مهندس يلمح ببصيرة ثاقبة وخبرة عميقة عناصر التوازن والتناظر في معمار الكون الكبير.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

(١٩٣٢) أن "النظرية مقنعة بفضل كمالها، وجمالها التجريدي.. وأن الفيزياء الذرية المعاصرة قد نأت بالعلم عما كان يتسم به من اتجاه مادي خالص في القرن التاسع عشر"[٣٥].

ولعل النورسي وكولن يميلان إلى هذه الرؤية العلمية الأخيرة، فلقد كانت رؤية "النورسي" للعالم والأشياء والكلمات، رؤية "مهندس" يلمح ببصيرة ثاقبة وخبرة عميقة عناصر التوازن والتناظر في معمار الكون الكبير. كما نشاهد الأستاذ كولن وهو يدعو إلى إتباع النهج القرآني بضوابطه في النظر والتأمل في الآيات الكونية، فهي وسيلة من وسائل إظهار عظمة القرآن الكريم وأنه كتاب الله تعالى المُنزل على النبي "الأمي" محمد ﷺ. وأنه يحوي جميع العلوم، مما يثمر عن زيادة الإيمان وترسيخه لدى المؤمن، وسبيل لتوسيع مداركه وزيادة معرفته العلمية، وهو وسيلة ناجعة وناجحة للدعوة إلى الله تعالى، فالتوافق بين العلم والقرآن هو دليل وبرهان مادي ملموس في عصر العلم على أن القرآن لم يُحرّف، وأن الله ﷻ قد تعهد بحفظه حيث يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر:٩).

إن الأستاذ كولن يدعو إلي إتباع النهج القرآني بضوابطه في نظر وتأمل الآيات الكونية، ويراها وسيلة من وسائل إظهار عظمة القرآن الكريم المُنزل على النبي الأمي محمد ﷺ.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

في مهرجان الألوان والصور

في السماء زرقة، وفي الأرض خضرة،
وفي الآفاق تتواثب الألوان وتتراقص،
وتتماوج الصور، ويتعالي الخيال،
وترتسم الرؤى،
والقلب المبتهج إلى السمو يصبو،
وإلى العلا يثب،
وإلى نداء السماء يصغي،
وعلى التراب جبين يتمرغ،
وخدّ بالأرض لاصق..[٣٦].

الذائقة الجمالية في المعلم والمتعلم

هل فعالية القلب ونور البصيرة في استشعار حقيقة الفن وتذوق سحر الجمال مرتبطان بالكسبي أم بالتربوي والتوجيهي؟ يجيب كولن بأن الأمر كسبي جهادي تربوي، إذ "لا بد أن تكون التربية التي تسمو به من درجة إنسان بالقوّة إلى إنسان بالفعل، تربية ذات أفق لاهوتي ومحور وهبي. ولكي يكون الإنسان إنسانًا فهذا أمر مرتبط بخضوعه لأوامر قلبه واستماعه إلى روحه، فعلى الإنسان النظر إلى كل شيء وكل أحد بعين القلب، لأن البناء القلبي والرحابة الروحية للفرد، وتحول إيمانه ومعتقداته إلى جزء من طبيعته، هو الأنموذج المعول عليه في البناء والتشييد، وهو أنموذج للنظام والرقي"ويؤكد الأستاذ في البيان الخالد "لم يمكن إلى يومنا هذا تنشئةُ فرد كامل، وأسرة متماسكة، ومجتمع منضبط إلا في ظل إرشاد القرآن الكريم، ولذلك فليس من الممكن أن تكون كلمات هذا القرآن الكريم المعجز البيان الذي أرشد إلى تربية الفرد الكامل والأسرة والمجتمع المنضبطين، صادرةً من قريحة شخص نشأ في مجتمع أمي؛ فليس القرآن إلا كلام الله فقط"[٣٨].

ولذلك ينبغي أن تتغذى "ثقافتنا الذاتية" بورود حدائقنا وعصارات جذور معانينا وأرواحنا، حتى نبلغ مبتغانا من الفن والذوق الرفيع في كل شأن من شؤون حياتنا، وهذه الحقيقة الهامة كفيلة بدعم ذاتيتنا وخصوصيتنا الدينية والاجتماعية والثقافية، وبخاصة أن الفن لا يستورد مع البضائع والأفكار، وإنما هو ذاتي ملّي، والمصدر الوحيد للفن في هذا النموذج هو مخافة الله تعالى، والنظر إلى بديع صنعه".

ونجد الأستاذ كولن ينبه إلى ضرورة تلمس طرائق الفن والجمال إذ "ليست الحياة بعدد السنين بل بعدد المشاعر الجميلة، لأن الحياة ليست شيئًا آخر سوي شعور الإنسان بها" ولقد اعتبر أن أبرز صفات "ورثة الأرض" تتمثل في وعيهم بـ"الفكر الفني" فالفن والجمال في تعاليمه من أهم الطرق المؤدية إلى سمو الروح والمشاعر، ومفتاح سحري

يفتح الكنوز "فوراء الأبواب التي يفتحها تكتسي الأفكار صورها، وتكتسب الخيالات أجسامها"، ويريد الرجل من تلامذته أن يكونوا "سفراء إيمان، ومعرفة، ورسالة، وجمال" يجمعون بين الهوية الذاتية والمقومات الحضارية، كي تختفي الثنائية المُصطنعة (المادة/ الروح) وتعود المادة لوزنها بجوار النفس، ويوضع العقل والأخلاق في المادة، وتتناغم الروح مع الجسد، وتفعل سُبل التناسق والتناغم مع الكون، لفائدة الإنسان والإنسانية.

ويريد المفكر الألمعي فتح الله كولن صياغة جيدة وجديدة للفن وإبداعاته، وللثقافة وسبلها حيث إن "وارثو الأرض، مثاليو الفكر والعمل، ونافذو البصر والبصيرة، متوقدو العزائم، ومفورو المكارم"، أو كما يعبر عنهم المرحوم فريد الأنصاري "رجال ولا كأي رجال" يمارسون وظائفهم الأساسية العبادة والإعمار والإنقاذ والتعارف "يقيموا صروح الروح لعلنا نبعث من جديد"[٣٩].

ونراه يغرس في نفوس تلامذة "الخدمة" حب تذوق الجمال المعنوي والمادي، الشعري والفني... فقد ترسخ لديه أهمية البناء الجمالي والفني للفرد والمجتمع والأمة والحضارة، ولا ريب أن الاهتمام بالبشر أفرادًا ومجتمعات، وتغذية قلوبهم وعقولهم على قيم وأفكار وفعال جميلة، لا بد سيؤتي ثماره بإحسان -والإحسان صورة نفسية من صور الجمال- في رسالتهم وأخلاقهم وأعمالهم وحضارتهم. ويلخص رؤيته لفلسفة الحياة التي يريدها بقوله "والحال أن

ينبغي أن تتغذى ثقافتنا الذاتية بورود حدائقنا وعصارات جذور معانينا وأرواحنا، حتى نبلغ مبتغانا من الفن والذوق الرفيع في كل شأن من شؤون حياتنا.

nesemat.com نسمات nesemat.com

نظام الفكر وفلسفة الحياة عندنا رحيبة، تتناول عوالم الوجود، وما عدا الوجود، وما قبل الوجود، فتقيّم الأشياء وما عدا الأشياء في كلية، وتعيّن معالم نمط الحياة في تكامل وإحاطة، فهو نظام يحقق العدالة الكونية المرتقبة في الأرض كلها بتحويل السلوك الأخلاقي إلى حال السيولة في المجتمع وأجزائه الأفراد، ويستجيب للمتطلبات الإنسانية، فيصل المجتمع في ظل ذلك إلى القدرة على تجديد نفسه ذاتيًا بالتربية على الروح والأخلاق والفضيلة والتفكر. ثم يكون فكرنا الحضاري وغنانا الثقافي كسلعة رائجة في كل أقطار الأرض، فنغدو اليد المعطاء التي تقدم في ارتياح هبات فكرنا الإنساني وفلسفتنا الأخلاقية وفهمنا للفضيلة، وبفضل هذا الوضع والمستوى أيضًا تنبجس المنهجيات الإدارية والأصول الاجتماعية والاقتصادية من الروح الذاتية للأمة"[٤٠].

ولقد شهد رجال مشروع الخدمة، أن كولن "لم يدع إلى الجمال والفن بقلمه وحبره فقط، بل عاشه في كل نبرة، ومع كل زفرة، وعند كل نظرة.. حتى إنه غالبًا ما أرهقهم برهافة حسه، وأورثهم شعورًا متوتّرًا تجاه كل كلمة ينطق بها، أو سكتة يسكتها، أو يومئ بها.. ولا يزال هؤلاء الشباب يذكرون يوم

الأستاذ كولن ينبه إلى ضرورة تلمس طرائق الفن والجمال إذ "الحياة ليست بعدد السنين بل بعدد المشاعر الجميلة، لأن الحياة ليست سوي شعور الإنسان بها".

nesemat.com نسيمات nesemat.com

اقترحوا على الأستاذ -وهو في أمريكا- تغيير أثاث صالون الاستقبال، فقبل الأستاذ المقترح على مضض، لكن أمارات الحزن بدت في تقاسيم وجهه، فلما سئل عن السبب، قال: ألفتُ هذا الأثاث، وإني معترف له بخدمة كبيرة، ويحزنني أن يغادرني أو أستبدل به غيره، بيني وبينه إلف وحب، وحظ من الذوق والجمال لا ينكر".

ولهذه الحال أمثلة كثيرة لا تعلن إلا على حقيقة واحدة، هي أن الفن والجمال إكسير الحياة[٤١]، ومفتاح سحري، وطائر فكري، لا غنى عنه في مشروع، أو فكرة، أو حركة؛ وهو في "البراديم كولن" كما عبر عنه بابا عمي، سبب من أسباب الرشد والنضج الفكري والحضاري والحركي.

ولعل الهدف الأساس من غرس "التذوق الجمالي" وتنميته هو مواجهة آفة "الأمية الجمالية" التي تحول دون وعي الفرد وإحساسه بالجانب الجمالي، المادي والمعنوي، وإن لم يسع المعلمون والمربون والمصلحون والمهتمون إلى محو هذه "الأمية" فستفتقد المجتمعات قيمة هامة من قيم بنائها القيمي والمعرفي والحضاري، ولابد أن ينال كل فرد نصيبه المعقول من "الثقافة الجمالية" بشتى أشكالها من خلال التدريب والممارسة، مما يكسبه "الخبرة الجمالية" التي تكونه تكوينًا "ذوقيًا" يستطيع من خلاله تفسير وترجمة ما يحيط به ترجمة فنية ليكون "أعدل" مع البيئة والمجتمع الذي ينتمي إليه، كما يُحسن استثمار ما سخره الله تعالي في الكون.

والمجتمعات التي ضيعت الذائقة الفنية والجمالية، لا يمكن -بحال من الأحوال- أن تنعم بحضور وشهود متكامل؛ ويقول "الذين ضيعوا فرصة استعمال هذا الطريق من أصحاب القابليات والحظ السيئ، يعيشون طول حياتهم كأشخاص أصابهم الشلل النصفي" بل يرى أن الإنسان المجرد من الحس الفني والشعور بقيمة الجمال يستوي في ميزان الإنسانية وجوده وعدمه، ذلك أنه لا يستطيع أن ينفع نفسه ولا أن ينفع أمته فالأرواح الخالية من الفن والمنغلقة دونه، يستوي وجودهم وعدم وجودهم، لأنهم ليسوا إلا أفرادًا لا يستطيعون تقديم أي نفع لا لأنفسهم ولا لعوائلهم ولا لأمتهم، بل قد يكونون ضارّين أيضًا".

تأمل واعتبر..!

شجرة تبدو هنا في ركوع وسجود،
وزهرة تبدو هناك في ضراعة وخشوع..
والكون إبداع وإعجاز كل ما فيه:
عجبًا يثير، وفكرًا يستثير،
عيوننا في الألفة غارقة، لا ترى غير الغريب،
ولا تفكر إلا في الشاذ العجيب،
فورثنا كسلاً وهمودًا، وذهنًا خمودًا[٤٢].

وتبقي الإشارة إلى أن "هذا الكون الباهر الجميل الرائع لا يسير وحده ميكانيكًا، ولا يقوم بذاته فيستغني عن إله" كما يدعي الماديون، بل إن الله تعالى بقيوميته، وجلاله، وجماله، وكماله يفعل ما يشاء بقوله كن فيكون. يقول الفيزيائي الفرنسي "لوانكازي" (١٨٥٤ـ١٩١٢م) "اكتشفنا بعضًا من أسرار الطبيعة، وسنكتشف أخرى كل يوم، ونحن لا نطالب الطبيعة بمخالفة قوانينها، فهي لا تستطيع ذلك، وليس بمقدورها ذلك، بل نخضع ونرضخ لها ولقوانينها بكل رضا، ويمكننا أن نتعامل مع الطبيعة بالرضوخ لقوانينها الجميلة"[٤٣].

نحن مأمورون ألا نقف عند جمال الظاهر، بل نغوص -عميقاً- لنتفكر، ونتدبر، ونتذوق ما وراء الظاهر، فما أجمل الغوص، وما أبهى التفكر، وما أجلّ التدبر، وما أشهى التذوق لـ"وَحْدة العلاقات الشّكليّة بين الأشياء التي تدركها حواسّنا"، كذلك مأمورون بالترحال عبر آفاق الكون امتثالاً لأمره تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(العنكبوت:٢٠) وهذا الترحال الذي يحث عليه القران الكريم، ويؤكده العلم الحديث يُثري نعمة الذائقة الجمالية التي وهبنا الله تعالى إياها ووجدت "مادتها" في "وحدة وتنوعات الكون الجميلة"، بل يُزيد الإيمان بما يثمره من معرفة بتجليات اسمه تعالى "البديع" يقول تعالي: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

إن الهدف الأساس من غرس التذوق الجمالي وتنميته، هو مواجهة آفة الأمية الجمالية التي تحول دون وعي الفرد وإحساسه بالجانب الجمالي المادي والمعنوي.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(الأنعام:١٠١) ويقول ﷺ "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطرُ الحق وغمطُ الناس"[٤٤] والجَمال والإبداع صفتان متلازمتان.

ولقد عُنيّ الإسلام كثيرًا بالتربية الروحية وتنمية "الإحساس الجمالي" لدى المسلم، ليلتفت بنظره إلى نواحي الجمال والإبداع الإلهي في خلق هذا الكون وما فيه من منافع مادية وجمالية تُوصله إلى الحياة الإنسانية الصحيحة، حياة لا تقوم فقط بتلبية المنافع والماديات من مأكل ومشرب وملبس بل تتعداه إلى ما هو أسمى بتنمية الناحية الوجدانية التي تحقق للحياة سموها الإنساني، يقول تعالي: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۞ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۞ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(النحل:٥-٨).

ولعل منهجية الأستاذ كولن دعت لتحقيق الأهداف الجمالية عبر:

أولاً: أن يكون لكل فرد "المعيار الجمالي" المُساعد في التفريق بين "الجميل والقبيح" من الأقوال والأفعال والأشياء، وهذا لا يكون إلّا من خلال تكثيف

لقد عُنيّ الإسلام كثيرًا بالتربية الروحية وتنمية "الإحساس الجمالي" لدى المسلم، ليلتفت بنظره إلى نواحي الجمال والإبداع الإلهي في خلق هذا الكون وما فيه من منافع مادية وجمالية تُوصله إلى الحياة الإنسانية الصحيحة.

nesemat.com نسمات nesemat.com

الاهتمام بالنشأة الجمالية للفرد والسعي إلى إيجاد الظروف الملائمة لذلك، ولكي يكون ذلك فلابد من أن نخطو عدة خطوات أولها تنمية الإحساس الجمالي من خلال إيجاد البيئة الجمالية التي يترعرع فيها النشء ليتفاعل معها ثم يكبر ليتعرف على مسببات جمالها الذي لازمه منذ الصغر وهناك سيصبح الفرد أحد رواد البيئة الجمالية وتصبح عينه لا ترى إلّا الجمال ولا يدرك عقله غيره.

ثانيًا: التعامل مع الجمال تعاملاً مباشرًا وجعله منهاجًا وجزءًا من الكيان والعقل والوجدان والروح وسمة عامة من سمات شخصية المسلم، مما ينعكس على سلوكه وتعامله مع الآخر، وكي يتحول الجمال إلى سلوك إنساني عام يستمد ثوابته من كتاب الله والدعوة إليه في آياته الكريمة.

ثالثًا: التأمل والتفكر والتدبر في مظاهر الجمال التي أبدعها الله ﷻ في الكون تأمّلاً إيمانيًا واعيًا لمحاولة الوقوف على سر ذلك الجمال، وما يتجلى في الكون صغيره وكبيره من تكوين محكم وتنسيق بديع يسر الحواس وتبهج له النفوس.

ويجمل محمد باباعمي[٤٥] "شيفرات" الفن التي تجسدت في أفكار فتح الله كولن فيقول: "لقد تتبعت أوصاف الفنّ في هذه اللوحات والرسائل المشفّرة، فاكتمل عندي عقد به صدف، أنتقي منها أمثلة، وهي:

- الفن من أهم الطرق المؤدية إلى سمو الروح والمشاعر.
- الفن مثل مفتاح سحريّ، يفتح الكنوز السرية المكتشفة.
- الفن طائر فكري يأخذ الإنسان في سياحة إلى فسيح بديع خلق الله ﷻ.
- الفن هو من أهم العوامل التي تحافظ على المشاعر الإنسانية.
- الفن هو الذي جعل الأرض معبدًا للجمال الإلهي.
- يُظهر العمل الحقيقي نفسه بالفن.
- من لا فن له شبه حي، وشبه ميت.
- الأرواح الخالية من الفن والمنغلقة دونه يستوي وجودها وعدمه.

ويؤكد كولن دومًا على أن الانطلاقة الحضارية تبدأ من إيجاد الرؤية الكونية الصحيحة المتكاملة لتحقيق مهمة خلافة الله تعالى في الأرض، وهي الرؤية الغائبة إلى الآن في العالم الإسلامي بسبب غياب النظرة التكاملية والفهم الصحيح للإسلام وحقيقة الوجود في كل أبعاده[٤٦]. ■

الهوامش

(١) رؤية فلسفية لفنون إسلامية، بركات محمد مراد، مكتبة

مدبولي ٢٠٠٩.

(٢) انظر: المعجم الفلسفي، تأليف "مراد وهبة"، مكتبة الأسرة ٢٠١٦، ص: ٢٧٨.

(٣) المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ١٩٩٢، ص:٤٥٧-٤٥٩.

(٤) القرآن الكريم "البيان الخالد" لسان الغيب في عالم الشهادة، محمد فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٧.

(٥) المصدر السابق، ص: ٢٧.

(٦) التنوير برسائل النور وصاحبها بديع الزمان سعيد النورسي، ناصر أحمد سنه، عدة مواقع على الشبكة الدولية للمعلومات.

(٧) الكلمات رؤية جمالية، عماد الدين خليل، المجلد الخاص ببحوث الندوة العالمية الثانية حول فكر النورسي، إستانبول، دار سوزلر ١٩٩٣.

(٨) الأستاذ النورْسيّ والبعد الجمالي في أسلوبيات القرآن الكريم، عماد الدين خليل، مجلة حراء، العدد ٩.

(٩) البيان الخالد، مصدر سابق، ص:٩٠.

(١٠) البيان الخالد، الفصل الثاني: الإعجاز الأسلوبي في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص:٩٣.

(١١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، ٢٢٣.

(١٢) البيان الخالد، مصدر سابق، ص:٤٧.

(١٣) ألوان وظلال في مرايا الوجدان، فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر ٢٠١٠، ص: ٩٠.

(١٤) ألوان وظلال، المصدر السابق، ص:١٠.

(١٥) أسس تشكيل الوعي الجمعي في ضوء النور الخالد، محمد جكيب إصدارة نسمات ٥، ص: ١١-٣٤.

(١٦) النور الخالد.. محمد صلي الله عليه وسلم، مفخرة الإنسانية، محمد فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة، ٢٠١٣.

(١٧) ألوان وظلال، مرجع سابق، ص:٢٢.

(١٨) الثنائي البلبل والوردة تعبيراً عن الحب القائم بين الخالق والمخلوقات في كتابات النورسي، جورج غرغوري، موقع النور للدراسات الحضارية والفكرية.

(١٩) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا، سماراغ، المجلد الرابع ص:٢٥٠

(٢٠) صحيح مسلم.

(٢١) الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ١٩٩٢، القاهرة، ص:٤٠٧.

(٢٢) العلم في منظوره الجديد، روبرت م. أغروس، وجورج ن. بستانسيو، ضمن سلسة عالم المعرفة العدد ١٣٤، فبراير ١٩٨٩م، ص:٤٩-٥٠.

(٢٣) ألوان وظلال، مرجع سابق، ص:١٢٤.

(٢٤) ألوان وظلال، مرجع سابق، ص: ٨٤.

(٢٥) المرجع السابق، ص:٩.

(٢٦) محمد فتح الله كولن: "ونحن نقيم صرح الروح"، ترجمة: عوني عمر لطفي أوغلو، دار النيل للطباعة والنشر، ط٦، القاهرة، ٢٠١٠.

(٢٧) ألوان وظلال، مصدر سابق، ص: ٣٦.

(٢٨) البيان الخالد، مصدر سابق، الفصل الثالث، ص:١٢٢.

(٢٩) ألوان وظلال، مصدر سابق،ص:٣٠.

(٣٠) إحياء لغة الروح عند فتح الله كولن، ميمون قرمون، إصدارة نسمات الأولى، ص:٧٥-٧٩.

(٣١) ونحن نقيم صرح الروح، مصدر سابق.

(٣٢) ملامح تربوية في رسائل النور، عماد الدين رشيد، مجلة حراء، العدد ٢٠.

(٣٣) العلم في منظوره الجديد، مصدر سابق.

(٣٤) المصدر السابق، ص: ٤٦ وما بعدها.

(٣٥) المصدر السابق، ص: ٤٦ وما بعدها.

(٣٦) ألوان وظلال، مصدر سابق،ص:٣٧.

(٣٧) البيان الخالد، مصدر سابق، ص:٣٣٥، ٣٣٦.

(٣٨) البيان الخالد، مرجع سابق، الفصل الثامن ص:٤٥٩.

(٣٩) راجع مقالات، ومقولات، وكتب الأستاذ فتح الله كولن.

(٤٠) فلسفة الحياة عندنا، فتح الله كولن، الموقع الرسمي عام ٢٠١٧.

(٤١) الفن والإنسان، عز الدين إسماعيل، مكتبة الأسرة ٢٠٠٣.

(٤٢) ألوان وظلال ، مرجع سابق، ص:٣٨.

(٤٣) مسيرة الفيزياء على الحبل المشدود بين النظرية والتجربة، محمد على العمر، ص ٢٩-١٢٨.

(٤٤) رواه مسلم.

(٤٥) فتح الله كولن ومشروع الخدمة على ضوء نموذج الرشد، محمد باباعمي، ط١، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١١.

(٤٦) فلسفة الفن والجمال عند فتح الله كولن، محمد البشير بن طبة، مجلة حراء، العدد ٥٢.

الإصلاح التربوي عند كولن مؤسسة الأسرة نموذجًا

ميمون قرمون

باحث ومهتم بالقضايا الفكرية، والكاتب الإقليمي لنقابة الجامعة الوطنية لموظفي التعليم بإقليم اليوسفية، جهة مراكش آسفي. ورئيس جمعية المصلى للتنمية الاجتماعية والثقافية بدبدو إقليم تاوريرت. مسجل بسلك الدكتوراه بكلية الآداب، جامعة شعيب الدكالي بالجديدة عن وحدة (فكر الإصلاح والتغيير في المغرب والعالم الإسلامي).

إن صناعة إنسان الحضارة ليست بالإمر السهل أو الهين فهي صناعة من الطراز الثقيل وتحتاج إلى مقومات ودعائم عديدة، من خلال هذه الدراسة القيمة سيأخذنا الباحث في جولة فكرية عميقة عن بناء الإنسان ودور الأسرة والمجتمع في بنائه في فكر الأستاذ كولن.

يرى الأستاذ ميمون قرمون أن بيت الزوجية حسب التصور الفكري لكولن يعد النواة الأولى لبناء المجتمع، فصلاحها يؤثر على المجتمع، مثلما سيؤثر فسادها عليه بالسلب في حالة إذا انحرفت الأهداف وغابت المقاصد. ويرى كولن أيضًا أن مسؤولية اختيار رفيقة الحياة أمر مهم من أجل بناء إدارة قوية منسجمة، كثيرة الإنتاج ورفيعة الجودة. كما يثني كثيرًا على دور المرأة الصالحة داخل بيت الزوجية، لإدراكه لوظيفتها المهمة التي تجمع بين الأم الحنون، والمربية للأجيال، والمعلمة للمناهج والقيم والفضائل، وبهذا تعدو المرأة عقلاً جامعًا لمجموعة من المهام، كلما أدتها متكاملة ساعد ذلك على تحقق السعادة، وتربية الأطفال تربية بنائة صالحة.

من دعائم صناعة الإنسان عند كولن

إن صناعة الإنسان عند فتح الله كولن، تتم عبر دعامتين أساسيتين: تتعلق الأولى بدور الأسرة في تحقيق التربية الحسنة المنشودة، باعتبارها تعد النواة الأولى للإنسان في مرحلة طفولته الأولى، وهذه التربية الأسرية الجديدة في المكان والقديمة في الزمن، يؤطرها كولن بروح القرآن وعطر السنة النبوية، وذلك عندما ينفتح على مدرسة التربية الأسرية عند النبي محمد ﷺ في تربيته لأبنائه وزوجاته، وتأثر أصحابه بسلوكه التربوي.

فكولن من خلال زمن عصر النبوة يحاول إحياء معالم تلك التربية الأخلاقية التي استطاعت أن تصنع أجيالا لا يخشون إلا الله عز وجل، وهذا المناخ التربوي الخاص، هو نفسه ما يسعى كولن إلى إحيائه بوسائل حديثة تساير العصر ومقام المخاطبين.

المنهج الإسلامي الذي سلكه كولن يحرص دائمًا على تكوين البيئة الصالحة للإنسان وذلك من خلال الاهتمام بمؤسسة الزواج وتوجيهها لخدمة أهداف الأمة الكبرى من قبل إعمار الأرض، وتطوير العقل، وترسيخ معالم الحضارة الإسلامية، واهتمامه هذا ينبثق من تأثره بالعقيدة الإسلامية، حيث اهتم الدين الإسلامي بالأسرة وأناط بها مهمة تربية الأبناء، وحملها مهمة غرس الإيمان في نفوسهم، وأشار إلى أن أول ما يمكن أن يسمعه الطفل هو ذكر الله والدعوة إلى الصلاة والفلاح.

كما يحرص الإسلام كثيرًا على توفير البيئة المناسبة التي يجب أن يولد فيها الإنسان، وعنايته به لا تبدأ منذ ولادته، بل تنطلق منذ مرحلة التفكير في الزواج والبحث عن الشريك الثاني، لذا يحث المقبلين على الزواج، على اختيار الزوجة الصالحة والزوج الصالح كذلك، وهذا يظهر في قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:"تنكح المرأة لأربع: لحسبها ومالها، وجمالها ولدينها، فاظفرْ بذاتِ الدِّين تربِتْ يداك"[1].

معالم البيئة الأسرية

إن هذه البيئة الإسلامية الداخلية من معالمها بناء أسرة على هدى من الله، ذات نفس إيماني، وأبعاد أخلاقية متينة، يربط أفرادها الحب في الله، وتلفهم المودة والرحمة، حيث يوجه الزوج فيها إلى التحري في اختيار زوجته مع مراعاة شرط ذات الدين، وجعل هذا الأخير من أولويات الشروط المبحوث عنها أثناء الزواج، كما يوجه الإسلام الزوجة كذلك لاختيار الزوج على أساس الإيمان والتقوى، لا على أساس المظاهر، وفي سياق هذا التوجيه العام لتأسيس مؤسسة الزواج وفق رؤية شرعية إسلامية، الأمر الذي كان له بالغ الأثر في صياغة كولن لتصوره الفكري ومشروعه التربوي الحضاري الخاص بمؤسسة الزواج.

يتحدث كولن قائلاً:"يجب ألا يكون هم المقبلين على الزواج المظهر الخارجي لرفيق العمر أو ملابسه وقيافته أو ثروته أو جماله الخارجي. ففي هذا الأمر الجدي والخطير يجب أن يتم اتخاذ القرار على أساس من الفهم

nesemat.com نسيمات nesemat.com

إن تركيز كولن على البعد الأخلاقي عند الزوجين، يكشف عن مدى أهمية هذا الركن ودوره في تغذية بيت الزوجية، وتعطير أجوائه على مستوى علاقة الزوجين وتربية الأبناء.

لجمال الروح والفضيلة والأخلاق والسلوك العالي"[٢].

من هنا يظهر مدى تأثره بتوجيه السنة النبوية في حرصها على تأسيس زواج ناجح من أعمدته وجود الدين أولاً، إذ لا يقتنع كولن بزواج المظاهر المؤسس على جمال الجسد والوظيفة والثروة، والجاه والنسب وغير ذالك، ولا مانع لديه في توفر الزوج أو الزوجة على خاصة من هذه الخصائص بشرط توفر الدين، وهو أميل كل الميل إلى البحث عن جمال الروح قبل جمال المظهر عند مباشرة عملية اختيار الطرف الآخر، لأنه يعلم أن البقاء للقيم والأخلاق، وليس للمظاهر المتغيرة بتغير الزمن والظروف، فكم من جمال خارجي تحول إلى قبح، وكم من ثروة أصبحت زائلة، ونفس الأمر يتحقق مع باقي المظاهر الخارجية.

فتركيز كولن على البعد الأخلاقي عند الزوجين، يكشف عن مدى أهمية هذا الركن ودوره في تغذية بيت الزوجية، وتعطير أجوائه على مستوى علاقة الزوجين وتربية الأبناء. لذا فكولن في تأثره بالدين الإسلامي، يدعو المجتمع عامة إلى تكوين أسر تتميز ببيئة مهيأة لنمو الشخصية المستقيمة إلى أقصى الحدود، فكلما توفرت ظروف التغذية السليمة في المنزل الذي أقامه الزوجان على هدى من الله، من خلال النصح والتوجيه وتغذية اللاشعور خلال المراحل الأولى من الطفولة، إلا وأنتجت تلك الأجواء النورانية سلوكًا قويًا لا تهده العواصف.

دور المرأة في التكوين والتأطير

إن الأسرة وفق منهج التربية الإسلامية تتطلب مناخا مناسبا للزرع والإنتاج البشري، وقد حدد الإسلام شروطه باختيار الزوجة الصالحة أولا، لأن المرأة تشكل نصف المجتمع في عملية الإصلاح والبناء الاجتماعي، وعن هذه المكانة يعبر كولن بقوله :"المرأة هي المعلمة الأولى لمدرسة الإنسانية. فهي التي تقوم بتعليم الأطفال وتربيتهم وبتأمين النظام والسعادة والتفاهم في البيت"[٣].

إنها جوهر العملية التربوية الأسرية الاجتماعية، الموجهة للأجيال والمربية للأبناء، لها دور مركزي في تفرع المجتمع وامتداداته، وهي من يسن نظام الأخوة الدموية والدينية، وتحقيق السعادة المحلية والعالمية داخل الأسرة وخارجها، لذا يصفها كولن بالمعلمة الأولى لمدرسة الإنسانية، لما تقوم به من أدوار طلائعية في تربية النشء، ولما تكابده من جهد في صناعة الإنسان. فنجاح المنزل هو من نجاح المرأة في التكوين والتأطير، والتسيير والتدبير، وهذا النجاح في ضبط المنزل يعتبره كولن مرحلة أولية للنجاح في الحياة العامة، لكن هذا النجاح يكون مرهونًا بالزواج القائم على أسس سليمة مستمدة من عمق الشريعة الإسلامية.

السعادة الأسرية عند ابن سينا

أما السعادة الأسرية التي يربطها كولن بالأخلاق، فقد أشار إليها فلاسفة الإسلام في بيانهم لدور التربية والتعليم في صناعتها، ومن بين هؤلاء نذكر: "ابن سينا" الذي جعل هدف التربية والتعليم هو تنمية القوة المدركة ملفتا النظر إلى أهمية الحكمة وربطها "بأخلاق المرء وأعماله حتى تكون حياته الأولى والأخرى سعيدة ثم ما يتعلق بتدبير المرء لمنزله المشترك بينه وبين زوجته وولده ومملوكه حتى تكون حاله مؤدية إلى كسب السعادة"[٤].

فلا تتحقق السعادة عند ابن سينا، إلا من خلال شرط الأخلاق، هذه الأخيرة تساعد الإنسان على بناء حياة سليمة داخل بيته، كما تؤهله للاستعداد للآخرة.

لا تتحقق السعادة عند ابن سينا، إلا من خلال شرط الأخلاق فهي تساعد الإنسان على بناء حياة سليمة داخل بيته، كما تؤهله للاستعداد للآخرة.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

الزواج تخطيط إستراتيجي

وفي مقام حديث كولن عن الأسرة والزواج، واختيار الزوجة، وبناء البدايات الأولى للبنات المجتمع، يشير إلى أن الأسرة "ليست مصنعا لتوليد الأطفال، وليست آلة للتفريخ أو لإشباع الرغبات الجسمانية، إنما هي النواة الأولى للأمة وأهم جزء في المجتمع، وهي مؤسسة مقدسة أبرز معالمها النكاح، والنكاح ميثاق له هدف وغاية"[٥].

هنا يفصح كولن عن الوظائف الأساسية للزواج، كما يضع الأسس الحقيقية لبناء الأسرة بناء قويًا، فالزواج في تصوره التربوي ليس كما يعتقده الكثير، أي زواج بين اثنين من أجل إشباع الرغبات والحصول على اللذة، أو قضاء أشغال البيت، أو الانتفاع من ممتلكات الغير، بل الزواج عنده هو تخطيط استراتيجي جاء به الإسلام من أجل إعمار الأرض وتكثير النسل وفق منهج تربوي واضح المعالم في البناء والمخرجات، ينطلق من فكرة تشكيل أسرة ذات نظام داخلي محكم بقانون التربية الأخلاقية الإسلامية وبهدف بقاء الأمة ودوامها.

وبيت الزوجية حسب التصور الفكري لكولن، ليس مصنعًا لرفع الإنتاج دون مراعاة الجودة، وإنما هو خلية اجتماعية مهمة تعد النواة الأولى لبناء المجتمع، ومن ثم فصلاحها يؤثر على المجتمع، مثلما سيؤثر فسادها عليه بالسلب في حالة إذا انحرفت الأهداف وغابت المقاصد.

لذا يعد كولن الاقتران بالنكاح المشروع ركنًا وأساسًا وقاعدة للأمة الصالحة، من خلاله ينشأ جيل يرتضيه الله تعالى، وبه يتم إنقاذ أحاسيس الفرد وأفكاره من التشتت، لأن غاية الزواج حسب كولن قد تكون واحدة بالنسبة للفرد لكنها متعددة بالنسبة للأمة، لهذا كل زواج غير مخطط له تكون أضراره جسيمة وعديدة على الفرد والمجتمع، وكل زواج فاشل يشبهه كولن بالكوليرا الذي ينخر في جسد الأمة.

وبهذا يكون الزواج الهادف على حد تعبيره هو

بيت الزوجية حسب التصور الفكري لكولن، النواة الأولى لبناء المجتمع، فصلاحها يؤثر على المجتمع، مثلما سيؤثر فسادها عليه بالسلب إذا انحرفت الأهداف وغابت المقاصد.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

الذي يقوم على "العقل والمنطق إلى جانب الحس والعاطفة، فإن ارتبط الزواج بغاية وهدف عمت الأسرة الطمأنينة والسكينة، أما إن لم يراع الهدف في الزواج فلا جرم أن النتيجة هي وقوع الكثير من المشاكل، وسيادة القلق والاضطراب الدائم على أفراد الأسرة"[٦].

شروط مؤسسة الزواج الناجح

يحرص كولن في مؤسسة الزواج على تحقيق شرطين: (الأول) يتعلق بمراعاة التوازن بين العقل والقلب، و(الثاني) يرتبط برسم الهدف والغاية من الزواج.

ويؤكد على أن الطمأنينة والسكينة لا يمكنها أن تشمل الأسر خارج الشرطين السابقين؛ لأن الله عز وجل شرع الزواج لهدف نبيل وغاية سامية، وليس من العبث أن يحصر في عالم الغرائز فقط، لكون الإنسان يسمو على الحيوان بالعقل الذي يسمو عن حياة الشهوات، التي يتميز بها عالم الحيوان، لذا يتساءل كولن عن واقع من ينشد من زواجه إشباع رغباته الجسمانية فقط، فهل ينتظر منه أن يهب المجتمع ولدًا صالحًا أو أسرة نافعة؟ أكيد الجواب هنا بالنفي، لذا فالتشبث بالغاية وتنظيم الحياة وفن التخطيط كلها طرق من اختصاص الإنسان العاقل من أجل تحقيقه النجاح في حياته الأسرية.

بينما "أي زواج لا يتم بتفكير وتمحيص لا يخلف وراءه سوى أزواج بعيون دامعة وأطفال في ملاجئ الأيتام وجرائم تفتت القلوب والأكباد"[٧].

فبعدما أشار كولن إلى النتائج الإيجابية للزواج القائم على توازن العقل والقلب، يشير هنا إلى النتائج الكارثية لكل زواج لا يتأسس على بعد التفكير وعمق التمحيص، فالأول يحقق السعادة والطمأنينة داخل الأسرة، ويجعلها ممتدة العطاء اجتماعيًّا، بينما الثاني يخلف عيونًا دامعة، وقلوبًا جريحة، وأطفالاً بدون هوية، مما يعود بالسلب على حياة الفرد وبناء المجتمع.

فمن أجل تأمين البيوت وحفظ الأسر من الشتات والخراب، وإنقاذ الأجيال من الضياع، يعتبر الدين البحث عن المرأة الصالحة شرطًا أساسيًّا ضمن شروط الزواج الناجح والبناء الأسري القوي، لما للمرأة من أهمية قصوى داخل بيتها، من حيث التنظيم والتسيير والتدبير، فهي تشكل بمفردها إدارة داخلية تصهر على تسييرها، وتكون مسؤولة بدرجة أكبر على طبيعة مخرجات بيتها، فإما أن تكون المخرجات صالحة تقوي بنية المجتمع وتشد من عضده، أو فاسدة تساهم في هدم المجتمع وتشتته وخرابه. وهذا ما يدفع كولن إلى تشبيه البيت بالأمة الصغيرة، بينما الأمة هي بيت كبير يتكون من مجموعة من الأسر،

النجاح في إدارة البيت

وعن نجاح إدارة البيت وعلاقة ذلك بنجاح الإنسان في باقي مسؤولياته يقول كولن: "والشخص الذي

ينجح في إدارة بيت- كبيرًا كان أم صغيرًا- إدارة صحيحة ويرتفع بأفراد ذلك البيت إلى المستوى الإنساني اللائق ويستطيع ببذل جهد صغير القيام بإدارة أكبر المؤسسات إدارة ناجحة"[٨].

فالنجاح بوجه عام عبارة عن تربية لا تتحقق إلا بالتدرج، ولا يمكن للإنسان أن ينجح في مهامه الخارجية إذا لم يكن ناجحا في إدارة بيته، فالنجاح بناء وتكوين وتدرج، يبدأ مع أصغر مؤسسة وهي البيت ثم يتطور ليشمل مؤسسات أخرى، لذا يرى كولن أن مسؤولية اختيار رفيقة الحياة أمر مهم من أجل بناء إدارة قوية منسجمة، كثيرة الإنتاج ورفيعة الجودة، وهذه المسؤولية ملقاة على عاتق كل شخص معني بالزواج، والذي عليه أن يحسن الاختيار من صنف المسلمات المؤمنات، القانتات الصادقات، الصابرات والخاشعات وفق الوصف القرآني للمرأة الصالحة.

يرى كولن أن مسؤولية اختيار رفيقة الحياة أمر مهم من أجل بناء إدارة قوية منسجمة، كثيرة الإنتاج ورفيعة الجودة.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

صفات الزوجة الصالحة

أما عن مواصفات الزوجة الصالحة، والمرأة الإدارية الناجحة يقول كولن:"فمن أهم أركان السعادة الدنيوية والأخروية أن تكون رفيقة الحياة معلمة فاضلة ومربية كريمة، يشاطرها الرجل كل شؤون حياته. أجل، لا بد أن تكون ذات عقل وقلب، حتى تفهم مشاعر زوجها الدنيوية والأخروية إذا ما حدثها عنها، فإن كل طفل ينشأ في هذا البيت سينمو ويترعرع تحت رعاية هذه المربية والمعلمة الفاضلة"[٩].

فهنا يعرض كولن لبعض مواصفات الزوجة الصالحة، والتي منها: المعلمة، والفاضلة، والمربية، والعاقلة، والمحبة، وبتوفر هذه العناصر في الزوجة تستطيع بذلك بث السعادة في بيتها، وقلبها كله نشاط وحيوية مفعم بروح الإيمان المؤمن لقيمة السعادة الدنيوية الأخروية، والطفل الذي يولد في هذه البيئة الأسرية السوية والمناسبة للتربية، سينمو وبدون شك نموًا سليمًا من حيث ملكاته الذهنية، وقدراته الفكرية، وطاقاته الجسدية.

وهنا يظهر الدور الفعال للمرأة الفاضلة التي يتحدث عنها كولن، والتي من وظائفها الأساسية توفير البيئة المناسبة لعش الزوجية، ومنحها هذا البيت طعم السكينة، ولذة العيش، والإحساس بنعمة الأسرة.

فكولن يثني كثيرًا على دور المرأة الصالحة داخل بيت الزوجية، وثناؤه عليها يأتي من خلال إدراكه لوظيفتها المهمة التي تجمع بين الأم الحنون، والمربية للأجيال، والمعلمة للمناهج والقيم والفضائل، وبهذا تعدو المرأة عقلاً جامعًا لمجموعة من المهام، كلما أدتها متكاملة ساعد ذلك على تحقق السعادة، وتربية الأطفال تربية بانية صالحة. فهي نموذج بشري يجمع بين عاطفة القلب ورجاحة العقل، مما يسعفها هذا التوازن في أداء وظيفتها على أحسن وجه.

فالمرأة الفاضلة الحكيمة ذات الخلق الحسن

المرأة مصنع ينتج ويربي، والمجتمع شركة عملاقة تستقبل وتوزع إنتاج المرأة المديرة لبيتها، ومن ثم هناك علاقة قوية بين معامل الإنتاج ومحطات التسويق.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

والقيم الرفيعة، هي من يتحدث عنها كولن ويهدف إلى إحياء صورتها في المجتمع الإسلامي الحديث، بعد أن فقدت معانيها السامية، وتخلت عن مكانتها القرآنية، وأصبحت عاشقة لحياة الفوضى والضياع.

وهذا الحرص على المرأة هو من أجل أن ينشأ الطفل نشأة صالحة على مبادئ الدين والخلق القويم، وأن يساهم في بناء مجتمع قوي.

فالزواج هو النواة الأولى للمجتمع، وصلاح الأسرة يساهم مباشرة في صلاح المجتمع، يقول كولن: "المرأة عندنا أساس متين في شرف الأمة ونجابتها، وحصتها في إنشاء تاريخ أمتنا المجيدة لا تقل بحال عن حصة المجاهدين الذين قاتلوا الأعداء وفتحوا البلدان"[١٠].

فدور المرأة في التربية وصناعة الأجيال، لا يقل أهمية عن دور المجاهدين المرابطين في الثغور والمدافعين عن وحدة الوطن، وكلاهما يسهم في صناعة تاريخ الأمة، كل من موقعه وحسب المهام الموكول إليه، ولولا تشبع مجاهدي الأمة بقيم حب الوطن والدفاع عنه أيام تلقيهم التربية البانية لكل من الأسرة والمدرسة، لما سمح لهم غرورهم وكبرياءهم اليوم بحمل البندقية وتعريض أنفسهم للموت في سبيل الشهادة، فالمرأة مصنع ينتج ويربي، والمجتمع شركة عملاقة تستقبل وتوزع إنتاج المرأة المديرة لبيتها، ومن ثم هناك علاقة قوية بين معامل الإنتاج ومحطات التسويق.

فتاريخ الأمة تساهم فيه المرأة بشكل كبير مثلما يساهم فيه الرجل أيضًا، ويشبه كولن تربيتها للأجيال بدور المجاهدين في فتح البلدان وقتال الأعداء، وهذا التشبيه دليل قوي على الدور الذي ينبغي أن تؤديه المرأة في صناعة الأجيال. لأن نهضة الأمم وشموخها رهين بتركيبة أسرها، فالتدبير الإداري الناجح داخل البيت، خاصة ذلك المشترك بين الزوجين، يكون له بالغ الأثر على مؤسسة الأسرة أولاً، وتركيبة المجتمع ثانيًا.

الإتقان في التربية

وعن المهارة الجيدة في أداء وظيفة التربية يقول كولن: "فإن توليتم وظيفة في مؤسسة تعليمية صغيرة أو كبيرة أو في وحدة أنيط بكم إدارتها فلا بد أن تعلموا أنكم أنتم منبع النظام والانتظام، فإن انحرفتم تبدى على الفور كل ما في الهيئة من انحرافات وزلل، ولكن إن سلكتم طريق الاستقامة ما وجد الانحراف طريقه إلى النظام أو الجماعة التابعة لكم، وإن حدث فهو ضئيل"[١١].

إن استمرارية البيت وحفاظه على وظائفه الأساسية باعتباره مؤسسة صغرى، مرتبط بنوعية النظام السائد فيه، فكلما عاشت الأسرة على إيقاع النظام والانتظام حققت أهدافها المسطرة سابقًا.

وهذا النظام لا يمكن أن يباع أو يشترى، وإنما يكتسب بالتعلم والتربية بعد مصاحبة آيات القرآن

الكريم، والسفر إلى عصر النبوة، ومجالسة الصحابة بدار الأرقم بن أبي الأرقم، وتعرف حياة الرسول صلى الله عليه وسلم داخل بيته، مرورًا بروضات العلماء من أمثال: جلال الدين الرومي وسعيد النورسي وغيرهم، وبهذا السفر البعيد في الزمن يمكن للإنسان أن يتوج بشهادة النظام والانتظام، وحينها يستطيع تدبير بيته، وتجارته، ووظيفته، وعلاقاته بنوع من النظام التام، الذي لا يعرف الانحراف إلا استثناء، والفوضى إلا نادرًا. ففتح الله كولن يرى أن الزواج كلما تأسس على العقل والمنطق إلى جانب الحس والعاطفة، عمت الطمأنينة داخل الأسرة وتحقق مقصد تربية الأطفال وفق القيم الأخلاقية، وكلما خرج عن هذه الشروط كانت النتيجة تمزق عروة الأسرة، وشتاتها، ووجدت الأمة نفسها أمام انهيار واضح للنواة الأساسية في تكوين فئة الشاب التي تعتبر دعامة المجتمع ورأس ماله البشري.

الأسرة DNA المجتمع

إن الأسرة حسب كولن، هي أهم عنصر في المجتمع، لذا ينصح بعدم التنقيص من أهمية الزواج أو اعتباره أمرًا بسيطًا يتعلق بالرغبات الجسمانية للفرد، فالزواج عنده مسألة عامة، وقضية وطنية، ودينية تتحكم في سعادة الأمة أو شقائها، بل تؤثر على الإنسانية جمعاء من حيث توازنها أو فوضويتها.

ويرى أن كل زواج يقوم على العجلة والسرعة وفي غياب تام للعقل، سيؤثر سلبًا على حياة الأطفال الذين لن يتمكنوا من نيل حظهم من التربية

فتح الله كولن يرى أن الزواج كلما تأسس على العقل والمنطق إلى جانب الحس والعاطفة، عمت الطمأنينة داخل الأسرة وتحقق مقصد تربية الأطفال وفق القيم الأخلاقية.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

اللازمة، إذ سينشؤون كاليتامى رغم وجود الأب والأم، وقد يصبحون أعداء لآبائهم، وللمجتمع عامة، لأنهم يفتقدون إلى الإحساس والشعور بدفء الأسرة وحب الوطن.

وبالمقابل يرى كولن أن من "ينجح في إقامة عش للزوجية فقد نجح في إحراز ما هو في غاية الأهمية، فمثل هذا العش يؤدي أحيانًا وظيفة المسجد وأحيانًا وظيفة المدرسة، وينفث روح الانبعاث في الأمة بأسرها، كما أن مثل هذا العش الذي يخضع للضوابط التي وضعها الله عز وجل يعتبر الحمض النووي(DNA) للمجتمع بأسره"[١٢].

فكولن يرى أن الأسر الناجحة في بيت الزوجية يمكن أن تؤدي وظائف شبيهة بالمسجد من حيث التربية وإسداء النصيحة والتوجيه، وزرع القيم في نفوس الأطفال، وحثهم على الانضباط والنظام، كما قد تؤدي وظائف المدرسة عند ممارستها عملية تلقين القواعد واحترام الوقت، والتربية على الأخلاق، وصناعة النجاح الأسري، من خلال زرع روح المنافسة الشريفة بين الأبناء في حفظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والمحفوظات الهادفة، والأقوال والحكم ذات الفائدة والعبرة، وغيرها من

إن الطفولة تمثل البراءة، وصفاء النفس، واستعدادها لقبول كل شيء يعرض أمامها، مما يجعل مسألة تربيتها أمر يسير خلال المراحل الأولى إذا كان المنهج المعتمد في ذلك صحيحًا ومستمدًا من روح الشرع الإسلامي.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

الأعمال اليدوية وفن الرسم والرياضات، ويشبه كولن دور الأسرة النموذجية في صناعة المجتمع بالحمض النووي الذي يحمل المعلومات الوراثية للمجتمع وتفرعاته، وبناء على هذا الدور الأساسي للأسرة ومكانتها الاجتماعية، فإن للأم دورًا كبيرًا في هذه الإدارة الصغيرة.

وكما قال كولن سابقًا: "فهي مربية ومعلمة في بيتها، يمكن لها في وقت فراغها من أشغال البيت، بل عليها أن تخصص وقتًا ضمن أعمالها اليومية لمجالسة أطفالها، ومحاورتهم، واللعب معهم وتحريك مشاعرهم واختبار أفكارهم، كم بإمكانها أن تحول المنزل إلى مدرسة، وغُرفه إلى حجرات درس، وذلك عندما تكون هي المربية وتنظم فصلها بالشرح والدرس، موجهة أبناءها إلى فعل أفعال وأشياء مع شرح منافعها قصد الإقناع بالأخذ والعمل، ومانعة إياهم من أفعال أخرى مع ذكرها لأسباب المنع بنوع من التفصيل المرفق بالأمثلة من أرض الواقع، بهدف إقناعهم، فمن طبيعة الأطفال الإقبال على كل ما يعرض أمام أعينهم من لعب اللهو، ومأكولات ومشروبات وحلويات وغيرها، والاستماع إلى ما يمر بأذهانهم من كلام ساقط دون التمييز بين النافع والضار.

لهذا لا بد من توجيههم منذ الصغر وإطلاعهم على الفرق بين الصالح والطالح، مع تحمل الصبر على توجيههم في كل وقت وحين، فمثلاً الطفل يصعب منعه من أكل ما يضره مما هو معروض أمامه في الأسواق والمحلات التجارية، ولا يمكن إقناعه بتركه مطلوبه حينها، إلا إذا كان مزودًا بمصل تربوي سابق أخذه ضمن ما تلقاه من دروس التوجيه في مدرسة البيت.

فموضوع الطفولة يعرف اهتمامًا كبيرًا من قبل فتح الله كولن، ومن خلال حاضر التربية الحسنة الملقنة للأطفال يعقد آمال بناء المستقبل ونهضة الأمة من جديد، لذا يشبه الطفل بالبذرة التي تنمو وتتطور وتتفرع وتثمر فيشمل خيرها البشرية جمعاء،

الطفل كالبذرة للنبات

عن هذه المقارنة يقول الأستاذ كولن: "يمثل الطفل بالنسبة لنسل الإنسان ما تمثله البذرة بالنسبة لاستمرار نوع ونسل الشجرة. والأمم التي تهمل أطفالها محكوم عليها بالانقراض. والأمم التي تدع أطفالها في أيدي الأجانب وتحت تأثير الثقافات الأجنبية سرعان ما تفقد هويتها"[١٣].

فطبيعة الطفولة هي دليل استمرار الإنسانية، وهي شبيهة بالبذرة، فإذا حسنت رعايتها تكون نتائجها طيبة، وحينها يمكن الحديث عن خلف لخير سلف، أما إذا شملها الإهمال والتقصير والتأثر بالثقافات الأجنبية، فذلك سيسهم في انقراض الأمة

وتآكلها. كما تمثل الطفولة البراءة، وصفاء النفس، واستعدادها لقبول كل شيء يعرض أمامها، مما يجعل مسألة تربيتها أمر يسير خلال المراحل الأولى إذا كان المنهج المعتمد في ذلك صحيحًا ومستمدًا من روح الشرع الإسلامي. وعن هذه القابلية يقول الإمام الغزالي: "إن قلب الطفل فارغ، صاف، له ميل فطري لتلقي كل شيء، والميل إلى كل شيء"(١٤).

فالطفل في بداياته الأولى يتميز بفراغ القلب وصفاء الروح، ويكون كالإناء الفارغ الذي يمكن ملؤه بأي شيء، فلا بد من الاستفادة من هذا الفراغ في أوله وملئه بما يخدم الإنسانية، وكلما تأخرت عملية تزويد الطفل بالتربية المناسبة، فذلك ليس في صالح بناء الجيل المثالي الذي يتحدث عنه كولن، لأن الواقع يعج بأنواع التربية الهادمة، والتي سيتقبلها الطفل إذا لم يكن محصنًا سابقًا بلقاح التربية المضادة لشتى أنواع الضياع والانحراف وسوء الأخلاق.

تقسيم الأعمال بين الزوجين

هذا النجاح في التوجيه والتربية يرتبط بطبيعة الزوجين من حيث تربيتهما أولاً، و تقسيم العمل والأدوار بينهما ثانيًا، ولا يستقيم العرف القائل بأن الزوج هو وزير للخارجية مسؤول عن جلب الطعام والشراب وباقي حاجيات البيت، بينما الزوجة مهمتها هي بمثابة منصب وزيرة الداخلية مسؤولة عما يجري داخل البيت من أشغال وأطفال، فهذا التقسيم جائر في حق الأسر التي تعمل به، لأن بيت الزوجية عش متكامل لا تكتمل وظائفه إلا من

من نجح في إقامة عش للزوجية فقد نجح في إحراز ما هو في غاية الأهمية، فمثل هذا العش يؤدي أحيانًا وظيفة المسجد وأحيانًا وظيفة المدرسة، وينفث روح الانبعاث في الأمة بأسرها.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

خلال تعاون كل من الزوج والزوجة.

وبالطبع فإن كلاً منهما له مواهبه الفطرية كالرضاع والحضانة، الخاصة بالمرأة، وتميزها بالعواطف المساعدة كالرحمة والحنان، لينشأ الطفل نشأة صالحة تعينه على النمو المستمر في وسط جو عائلي يحيطه بالرعاية والحب، كما للرجل قدراته البدنية في كسب الرزق وتحمل المعاناة، لكن هذا لا يمنع من تعاونهما في تسيير إدارة البيت، خاصة إذا تعلق الأمر بمشروع كبير وضخم هو مشروع التربية وبناء الأجيال.

حفظ النظام الإداري للبيت

وعن حفظ النظام الإداري للبيت يقول كولن:" يجب ألا يخلو البيت من الإدارة، فإن خلا من إدارة تحفظ التناغم والتوازن فيه سادت هذا البيت الفوضى الإدارية، وما تمكن الأطفال من التخلص من الازدواجية"(١٥).

لا شك أن النظام هو أساس الحياة، والكون كله مبني على نظام ولا يعرف العبث أبدًا، لذا فكل متعلقات هذا الكون يجب أن تتأثر بنظامه العام، ومن ذلك إدارة بيت الأسرة، التي يجب أن يكون

nesemat.com نسمات nesemat.com

يدعو كولن الزوجين إلى الانسجام والترابط بدلاً من الصراع والخلاف، لأن مفهوم الأسرة المسلمة والجامعة بين حياة القلب وعالم الروح، لا يمكن لها أن تتنفس إلا في بيت مغمور بالسعادة المرتبطة بمفهوم التربية الإسلامية.

لها نظامها الخاص في التربية من حيث الانضباط وسمو الأخلاق، وكلما افتقدت لهذا النظام فمن البديهي أن تغرق في يم الفوضى والعبث، مما يؤثر سلبًا على مقاصدها وأهدافها الكبرى المتعلقة بمهمة صناعة الإنسان. ومن المعلوم أن مسؤولية ضبط نظام البيت التي يحرص عليها كولن، هي من الأفعال التي يحب الطفل أن يجدها في أسرته، لأن الإحساس بالمسؤولية يكسب إحساسًا بالأمان ويقوي الشخصية وينقش خصلة الأب المسؤول في ذهن الطفل، كما يجعله يتربى على حس النظام بدل العبث والفوضى، فلابد للرجل أن يكون مسؤولاً في بيته على حفظ نظامه الداخلي، كما للزوجة دور كبير في تحمل مسؤولية التربية داخل هذا البيت، وكلما اختل نظام هذه المؤسسة الصغيرة من خلال نشوب صراع في الأفكار والآراء بين الزوجين، أثر ذلك على تنشئة الطفل وساهم في تشتيت أفكاره وقد يؤدي به إلى الانحراف والضياع.

ففي حديث كولن عن البناء الأسري الصحيح، ومن خلال جل مؤلفاته الخاصة بالتربية، يظهر حرصه الشديد على ضرورة تحقق فعل التكامل بين الزوجين، إذ يرى أن المرأة بدون رجل ناقصة، ونفس الأمر بالنسبة للرجل، ويستشهد على هذا الترابط بين الجنسين ببداية خلق الإنسان، فالله ﷻ بعدما خلق آدم خلق له حواء ليفيد بذلك معاني التكامل والتقارب والأنس بين الرجل والمرأة، وحاجة بعضهما إلى البعض في تسيير شؤون البيت الداخلية والخارجية.

فإذا كان الرجل حسب الفطرة قد تكلف بالعمل وتحمل مسؤولية النفقة، فإن المرأة قد وكلت لها مهمة التربية عندما خصها الإسلام بوظيفة الرضاع والحضانة، وهيأها الله ﷻ لذلك، لطبيعة وجدانها واتصافها بالرحمة والحنان.

ومن خلال هذا التنظيم الفطري والكوني لأدوارهما، فمن الضروري أن تتأسس علاقة الترابط والتكامل بينهما، فكلاهما يكمل الطرف الآخر، فعلى حد تعبير كولن" إذا كان الرجل في مرتبة الدماغ، كانت المرأة في مرتبة القلب، أي هناك رابطة وثيقة بينهما، فالقلب يضخ الدم ليعيش الدماغ، وإذا حدث نزيف في الدماغ مات القلب نظرًا لتداخل وترابط حياة العضوين، ونفس الأمر بالنسبة للزوجين فكلاهما يشكلان نواة إدارة البيت، التي عليها أن تتميز بجودة التسيير وحسن التدبير، ورسم أفضل الغايات من خلال أنسب الخطط، وفي حالة إخلال أحدهما بوظيفته، فسيؤثر ذلك النقص على حياة الطرف الآخر وعلى الجو الأسري عامة، لهذا يبدو كولن واضحًا في دعوته الزوجين إلى الانسجام والترابط بدل الصراع والخلاف، لأن مفهوم الأسرة

المسلمة المتوازنة، والجامعة بين حياة القلب وعالم الروح لا يمكن لها أن تتنفس إلا في بيت مغمور بالسعادة المرتبطة بمفهوم التربية الإسلامية.

ختام

ارتباطًا بما سبق، يعد استقرار الأسرة وتجانسها وغناها في القيم الإسلامية من النتائج الإيجابية لتحقق توازنها، مما سيسهم بشكل كبير في إبعاد الطفل عن الرذائل وقرناء السوء، وحفظه مِن الآثار التي تترتب على الإهمال والتفريط ولهذه الغاية الكبرى احتلت مسألة الزواج وتربية الطفل وفق التربية الدينية، مكانة مهمة في تصور المشروع التربوي لكولن. ■

كلما اختل نظام مؤسسة الأسرة الصغيرة عبر الصراع في الأفكار والآراء بين الزوجين، أثر ذلك على تنشئة الطفل وساهم في تشتيت أفكاره وقد يؤدي به إلى الانحراف والضياع.

الهوامش

(١) صحيح البخاري،.٥٠٩٠.

(٢) الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط التاسعة ٢٠١٣م،ص ١٤٥.

(٣) الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط ٢٠١٣/٩م، ص ١٣٧.

(٤) مجلة حراء، مقاصد التربية في الفكر الإسلامي وقدرتها على التكيف مع حاجات المجتمع، خالد الصمدي، العدد السادس/ ٢٠٠٧، ص٩.

(٥) من البذرة إلى الثمرة (تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة)، محمد فتح الله كولن، ترجمة عبد الله محمد عنتر، دار النيل، الطبعة الثانية ٢٠١٥، ص ٤١.

(٦) من البذرة إلى الثمرة (تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة)، محمد فتح الله كولن، ترجمة عبد الله محمد عنتر، دار النيل، الطبعة الثانية ٢٠١٥، ص٤١.

(٧) الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط ٢٠١٣/٩ م، ص ١٤٦.

(٨) الموازين أو أضواء على الطريق ، فتح الله كولن، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط التاسعة ٢٠١٣م، ص ١٤٧.

(٩) من البذرة إلى الثمرة (تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة)، محمد فتح الله كولن، ترجمة عبد الله محمد عنتر، دار النيل،الطبعة الثانية ٢٠١٥،ص٧٧.

(١٠) الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط التاسعة ٢٠١٣م،ص١٤٠.

(١١) من البذرة إلى الثمرة(تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة)، محمد فتح الله كولن، ترجمة عبد الله محمد عنتر، دار النيل، الطبعة الثانية ٢٠١٥، ص١٣٧.

(١٢) من البذرة إلى الثمرة (تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة)، محمد فتح الله كولن، ترجمة عبد الله محمد عنتر، دار النيل، الطبعة الثانية ٢٠١٥، ص ٤٨.

(١٣) الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط التاسعة ٢٠١٣م، ص ٨٢.

(١٤) مجلة حراء، كيف نكون الحس الديني لدى الأطفال، صدر الدين أيدر، العدد الأول، ٢٠٠٥م، ص ١٥.

(١٥) من البذرة إلى الثمرة(تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة)، محمد فتح الله كولن، ترجمة عبد الله محمد عنتر، دار النيل، ط الثانية ٢٠١٥، ص٩٨.

الخدمة
من فقه الأزمة إلى فقه العمل

محمد ياسين

محمد ياسين عبد الحميد أحمد من مواليد الجيزة -مصر، بكالوريوس الهندسة المدنية، جامعة الأزهر ٢٠٠٤م، وليسانس أصول الدين والدعوة، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة الأزهر ٢٠٠٨م. وماجستير في الدعوة الإسلامية عام ٢٠١٧م عن أطروحة بعنوان "تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية دراسة نموذج لنهضة المجتمع والأمة من خلال العمل الدعوى". خطيبٌ ومحاضرٌ حرٌّ في مجال الفكر الإسلامي، ومدرب حر في مجال التطوير والتنمية الذاتية والإدارية، وباحث في فكر النهضة من منطلق قرآني وإنساني.

حوار هذا العدد مع الأكاديمي والباحث المصري الأستاذ محمد يس، يحدثنا فيه عن عن قرائته لمشروع الخدمة فكريا وحضاريًّا وإنسانيًّا، بعدما عمل لسنوات عدة في دراسة أفكار الأستاذ كولن، كما أنه شاهد على مؤسسات الخدمة داخل مصر وخارجها، سيحدثنا خلال الحوار عن رؤيته للوضع الراهن في تركيا وما تتعرض له الخدمة هناك.

يرى الأستاذ محمد يس أن الأستاذ فتح الله كولن يمتاز بأنه رجل هذا العصر وأنه مجّدد هذا الزمان، مضيفًا أن الخدمة قدمت للفكر الاسلامى بعدًا جديدًا من أبعاده بحيث أضفَت على مفاهيم قديمة معاني جديدة، بمعنى أنها استطاعت أن تبعث الروح في هذه المفاهيم التي كادت أن تكون "مستهلكة" من كثرة استخدامها في معاني ثابتة، ودلالتها على تطبيقات محددة لاتتجاوزها.

ما هي الانطباعات التي اعترتك في الوهلة الأولى من رؤيتك لنشاطات الخدمة ومؤسساتها المختلفة؟

-أستطيع أن أصف هذا الشعور الأولي بأنه – كما وصفه بعض الباحثين– "صدمة الاكتشاف" فقد ظللتُ قرابة أربع سنوات أقرأ ماكتبه الأستاذ فتح الله كولن –مما تمّت ترجمته إلى العربية طبعًا– وأقرأ ماكُتِب عن الأستاذ وعن الخدمة، وظللتُ أكتب حتى انتهيت من الرسالة ولم أكن قد عاينتُ ماكتبت، حتى كانت زيارتي إلى نيجيريا عام ٢٠١٧م.

فرأيتُ هناك ما تضاءل بجانبه كتاباتُ الكاتبين ومدح المادحين، رأيتُ مهاجري الخدمة يجوبون آفاق البلاد طولاً وعرضًا في ظروف صعبة وبلاد وعرة، يُنشِئون المؤسسات التعليمية والتثقيفية، لايحول بينهم وبين رسالتهم اختلاف اللغة ولا تباين الثقافة ولا صعوبة العيش في أماكن نائية، رأيتُ مدارس على أعلى مستوى من التقنية الحديثة ومن أساليب التربية ومن جودة التعليم، وذهبنا ذات مرة إلى مدرسة تسمى "التلال الزمردية"، فإذا بها تقام على أرض زراعية في وسط قرية من قرى إحدى الولايات النيجيرية، وفي طريقنا رأيت أطفالاً في كتاتيب مبانيها متهالكة لدرجة تجعلك ترى من بداخلها، ورأيتهم يكتبون على ما يشبه الألواح الخشبية قديمًا، قرية فقيرة معدمة وأناس بسطاء، كيف جاء أبناء الخدمة إلى هنا؟! ما الذي أغراهم بالوصول إلى هذه الأماكن القاحلة؟! في

لو شاهدت الأستاذ كولن وهو يتحدث في دروسه، ولو لم تفهم التركية، فستشعر أن هذا الرجل مهموم، وأن همّه كبير، كبير جدًا بحجم أمة كاملة، لدرجة تجعله يبكى حين يفيض همه عن قدرته على التحمل.

nesemat.com نسمات nesemat.com

مكان كهذا وجدتُ مدرسة التلال الزمردية شاهدة على عظمة الفكرة وروعة التطبيق، وحين قابلتُ الطلاب من أبناء نيجيريا وجلست بينهم لم أتمالك حينها دموعي من البكاء، فقد كان مارأيت مدهشًا ومثيرًا أكثر مما كنت أتوقع.

سَقَوني وقالوا لا تغنِّ ولو سقَوا
جبالَ سُلَيمى ما سُقِيتُ لغنَّتِ

ما هي الإضافة التي قدمتها الخدمة للفكر الإسلامي والإنساني نظريًّا وتطبيقيًّا؟

-"الخدمة" في الأساس إطارٌ نظري، لكنه تحوَّل بفعل ما نُفث فيه من طاقة روحية وحركية وفكرية وثقافية إلى واقع فعلي متميز؛ فالخدمة فكرة تحولت إلى مشروع انبعاث حضاري هدفه أن يحرك الأمة بكاملها.

أعتقد أنه من الناحية النظرية والتطبيقية معًا، فقد أضافت الخدمة للفكر الإسلامي بعدًا جديدًا من أبعاده بحيث أضفَت على مفاهيم قديمة معاني جديدة، بمعنى أنها استطاعت أن تبعث الروح في هذه المفاهيم التي كادت أن تكون "مستهلكة" من كثرة استخدامها في معاني ثابتة، ودلالتها على

"الخدمة" في الأساس إطارٌ نظري، لكنه تحوَّل بفعل ما نُفث فيه من طاقة إلى واقع حركي متميز؛ فالخدمة فكرة تحولت إلى مشروع انبعاث حضاري هدفه أن يحرك الأمة بكاملها.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

تطبيقات محددة لاتتجاوزها.

فمثلاً إذا نظرنا إلى مفهوم الهجرة سنجد أن: الهجرة مفهوم عظيم ومعنى نبوي جليل، لكنه تحول إلى مفهوم تقليدي فأصبح قاصرًا على معنى تاريخي محدّد، أو ضرورة يلجأ إليها الفارُّون بدينهم من الفتن، فإذا بها تتحوّل بفعل دعوة الأستاذ كولن وبفعل الخدمة ذاتها إلى معنى متجدد، فأصبحت الهجرة "قَراراً" لا "فِراراً"، أصبحت تعني التغرُّب لخدمة الناس في بلدان أخرى، وأضحت هذه هي السمة الأبرز من الناحية المرئية في حركة الخدمة.ونفس الأمر سنجده في كثير من المفاهيم الهامة مثل:

- مفهوم الجهاد أو التضحية والفداء.
- مفهوم الإنفاق أوالصدقة.
- مفهوم الوقف أو العمل الخيرى.
- مفهوم التعليم والتربية.
- مفهوم الإنسانية أو الحوار مع الآخر

والله يا أخي، أنا أدعو الباحثين والمصلحين لدراسة هذا التجديد في هذه المفاهيم وأمثالها، لا ليقفوا عندها بل ليحذوا حذوها وينسجوا على منوالها، وهو تجديدٌ أخشى أن أظلمه لو تناولتُ بعضه في هذا الحوار.

لكن، تستطيع أن تأخذ مثلاً قضية "التعليم"، لترى كيف اجتمعت فيها هذه المعاني في صورة حيوية وفاعلة ومتجددة، ولترى أيضًا ما هى الإضافة التي قدمتها الخدمة للفكر الإسلامى، في قضية "التعليم" وتطبيقاتها عند الخدمة حيث تجتمع مفاهيم التضحية والإنفاق والوقف الخيرى والعمل التربوي والحوار مع الآخر وشمول الرسالة الإسلامية بمعناها القِيَمى والحضارى لكافة المخاطبين.

ولو أخذت نموذج لمدرسة واحدة من مدارس الخدمة في أى قطر من الأقطار بداية من جمع المال اللازم لإنشائها وانتهاء بالتنوع الثقافي والديني لطلاب هذه المدارس وطرق التدريس داخلها، لكان في هذا النموذج دليلاً واضحًا على ماقدّمته الخدمة نظريًّا وتطبيقيًّا إلى الفكر الاسلامي، والله أعلم.

ما هي السمات التي تميز الخدمة عن غيرها من الحركات الإصلاحية الأخرى من وجهة نظركم؟

-الحقيقة -وبعيدًا عن الأُطُر الأكاديمية- اعتقادي الشخصي بعد دراسة تجربة الخدمة وفكر الأستاذ، وبعد التطواف في أفكار ورؤى الكثير من الحركات الإصلاحية أن أهم ما يميز الخدمة شيئان:

١-تحويل الفكرة الإسلامية إلى واقع إنساني: لا أشك لحظة أن فكرة الخدمة إسلامية صرفة من حيث المنطلقات والغايات، إلا أن خطاب الخدمة يعد خطابًا إنسانيًّا بامتياز، وأعني بالخطاب هنا:

القول والفعل على حد سواء، الخطاب الإنساني والعمل الإنساني، والإسلام بطبيعته دين الفطرة، يتجاوب معها وتتجاوب معه دائمًا، وعبقرية الفكرة التى تدعو إليها الخدمة وتسعى لتطبيقها فكرة إسلامية في صميمها إنسانية في طريقة عرضها وتطبيقاتها، وهذا هو مايفتح الباب للخدمة كي تنتشر مكانًا وزمانًا، فهي تنتشر في أصقاع الأرض المترامية، وهى تسير بخطى ثابتة نحو المستقبل، لأنها تخاطب العالم بخطاب المستقبل لا بخطاب الماضي ولا بفرضيات وسلبيات الحاضر، وهذا يقودنا إلى السمة الثانية.

٢-تجاوز فقه الأزمة إلى فقه العمل والكدح والأمل: وهو يتمثل في الانتقال بالأمة من سؤال"لماذا" إلى سؤال "إذن ماذا "، فقد استطاعت الخدمة -من وجهة نظري- الانتقال من دائرة البكاء على أطلال الماضي إلى دائرة النظر بعين ثاقبة إلى الماضي بإيجابياته وسلبياته، والواقع بأحزانه وآلامه، ثم الانطلاق بكل هذه التركة الثقيلة إلى المستقبل المبشِّر بالخير لهذه الأمة، الخدمة لا تعرف سوى طريق واحد، هو طريق العمل الدؤوب في كل الظروف وفي شتى المحن، وهذا – على وجه التحديد- ماتفتقده الحركات الإصلاحية في العالم الاسلامي، فخطابها -في أحسن الأحوال- خطاب تقليدي يقوم على فكرة وجود تهديد وخطر ينبغى التصدى له، وهو مايحفز دائمًا قواعد هذه الحركات نحو العمل، بحيث يكون المحفز

إن مفهوم الهجرة تحول بفعل دعوة الأستاذ كولن وبفعل الخدمة ذاتها إلى معنى متجدد، فأصبحت الهجرة "قَراراً" لا "فِراراً"، وأصبحت تعني التغرُّب لخدمة الناس في بلدان أخرى.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

الأساس هو وجود تهديد وليس تبنّي مشروع. بينما الخدمة لديها مشروع حقيقي لنهضة الأمة وخير الانسانية، لا شعارات ولا بيع أوهام ولا تجارة بأحلام الناس، خدمة حقيقة تُقدَّم للناس في صمت وهدوء بابتسامة رقيقة وإنسانية راقية.

رأيتم تركيا والخدمة في ازدهار، والآن تم إغلاق كل مؤسسات الخدمة، وتتعرض الخدمة الآن لممارسات ظالمة، ما هو الأفق الذي ترونه لتركيا بدون الخدمة؟

-الحقيقة، وعلى المستوى الشخصي أنا أحب تركيا كبلد على الرغم من أني لم أزرها من قبل، وأحب الأتراك كشعب حتى قبل تعرفي على الخدمة ودراستي لفكر الأستاذ كولن، فلما تعرفت عليهم ازددتُ لهم حبًّا وتقديرًا، لكن حين اخترت فكر الأستاذ وحركة الخدمة كميدان لدراستي كان هذا في عام ٢٠١٣م، قبل وقوع أية أحداث من شأنها أن تعكّر صفو دراستي، حتى وقعت أحداث ديسمبر ٢٠١٣م، حينها راجعتُ نفسي ووقفت أتأمل ما حدث ويحدث، وأخذت أقرأ كل ما يكتب عن الخدمة وما يقال عنها في وسائل الإعلام التركية الرسمية ووسائل الاعلام العربية المؤيدة لوجهة نظر

الخدمة لديها مشروع حقيقي لنهضة الأمة وخير الانسانية، لا شعارات ولا بيع أوهام ولا تجارة بأحلام الناس، خدمة حقيقة تُقدَّم للناس في صمت وهدوء بابتسامة رقيقة وإنسانية راقية.

nesemat.com نسمات nesemat.com

الحكومة والمضادة لها.

وكنتُ أمام خيارين: الطريق السهل وهو تبني وجهة نظر العدالة والتنمية والعدول عن الموضوع برمته –لا سيما ونموذج التجربة السياسية كان ملهمًا للكثير من شباب العالم العربى– أو سلوك الطريق الأكثر وعورة وهو طريق التفكير الحر بعيدًا عن الأيديولوجيات السابقة والأفكار الجاهزة، واخترتُ أن أكون مع "الأمة" لا مع "الدولة" مع "الفكر" لا مع "السياسة"، واختياري هذا مبنىّ على قناعة أن نهضة الأمة لايصنعها السياسيون وإن علَو، بل تصنعها الأمة بمجموعها والسياسيون جزء منها، النهضة منتج حضارى يتكوّن أول مايتكوّن في عالم الأفكار، بينما تريد السياسة أن ندور في عالم الأشخاص قدحًا ومدحًا.

ماحدث في تركيا هو تغوّل "عالم الأشخاص" على "عالَم الأفكار"، هو تعدّي "الحكومة" بما تملكه من قوة على "الأمة" وما تمثله من مجتمع مدني قوي وحاضر، نعم... أبهرتنا التجربة التركية ردحًا من الزمن، لكن قوتها الحقيقية كانت تكمن في وجود مجتمع مدني قوي وفاعل ومؤثر متمثلاً في "الخدمة"، وبهذا صُنِعت التجربة التركية الرائدة، أما حين تغوّلت الحزبية الفجّة على مؤسسات اقتصادية وجمعيات أهلية ومدارس وجامعات، بل على ما هو أهم من ذلك وأعظم؛ حرية الناس وأرزاقهم، حين يحدث هذا فهو بلا شك بداية النهاية، فالظلم مؤذنٌ بخراب العمران.

هل فكرة الجيل الذهبي والسلام العالمي الذي يسعى الأستاذ فتح الله كولن إلى بنائه أمر ممكن أم ضرب من الخيال؟

-كلُّ الحقائق اليوم كانت بالأمس القريب أو البعيد أحلامًا وخيالات، الأفكار التى يطرحها الأستاذ كولن حول الجيل الذهبي أو الإنسان المثالي أو ورثة الأرض، وحول السلام العالمي هي بمقاييس الواقع الحالي الذي نراه ونشاهده ضربٌ من الخيال، لكن بالنظر إلى التاريخ واستقرائه والوعي بحقائقه هي أمور حتمية، والحقيقة أن الأستاذ كولن حين يطرح أفكاره يطرحها طرح عالم بالتاريخ ودوراته، والواقع ومآلاته، والمستقبل واحتمالاته، فهو لا يتركنا في فراغ الأحلام حتى يرسم لنا خريطة محددة الملامح حول طريقة وآلية تنفيذ هذه الأفكار وتحويلها إلى واقع ملموس، مع فتح الباب واسعًا للاجتهاد والتجديد والإبداع.

ثم هو يقدّم قبل ذلك وبعده النماذج الحيّة على إمكانية تطبيق هذه الأفكار المثالية التي تبدو عند البعض حالمة أو خيالية، وإن كنت في شك مما أقول فانظر إلى الخدمة ومؤسساتها، تجد

الأفكار واقعًا يتحرك.

كيف تقرأون الرؤية المقاصدية عند الأستاذ محمد فتح الله كولن؟

-أحتاج إلى القراءة أكثر في فقه المقاصد حتى أستطيع النظر إلى فكر الأستاذ كولن من خلاله.

لماذا يهتم الأستاذ فتح الله كولن بالتربية إلى هذا الحد -قد نفهم ذلك داخل تركيا- لكن في كل أنحاء العالم كيف نفهمه؟

-لكل مفكر ومصلح فكرة محورية يدور حولها بحيث تنبثق منها كل أفكاره، والفكرة المحورية عند الأستاذ كولن هي "تربية الإنسان وإعادة صياغته من جديد".

يدرك الأستاذ جيدًا أنه إذا وُجد الإنسان الصالح وُجدت معه كل أسباب النجاح، ولذا فإن تربية الانسان عنده أولى الأولويات، الإنسان في كل مكان من أرض الله حتى لو لم يكن مسلمًا.

الإنسان المعاصر تم تشويهه ومصادرة حريته وإنسانيته، تم تحويله إلى كائن مستهلك ونفعي وأناني، إلى آلة صمّاء تدور في ماكينة ضخمة ذات تروس حديدية صلبة يديرها رأسمالي فظ غليظ القلب سميك الجلد لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلاً، ونحن لن نستطيع فهم كتابات الأستاذ كولن على عمومها إلا إذا قرأناها من هذه الزاوية، زاوية إعادة بناء ذات الإنسان وكيانه ووعيه بنفسه.

الأستاذ فتح الله كولن يعتبر أول خطوة في أي إصلاح منشود هو "إنتاج الإنسان"، الإنسان الذي

لكل مفكر ومصلح فكرة محورية يدور حولها وتنبثق منها كل أفكاره، والفكرة المحورية عند الأستاذ كولن هي تربية الإنسان وإعادة صياغته من جديد.

nesemat.com نسمات nesemat.com

فني عن نفسه بقضايا أمته، وتعلق قلبه بالآخرة لا بالدنيا، والأستاذ يرى أن هذه هي مهمته السامية، وهي وظيفة الخدمة الأولى.

من خلال قراءتكم لأدبيات الأستاذ فتح الله كولن واطلاعكم على نشاطات الخدمة، هل تصدقون بأن يكون للأستاذ فتح الله كولن يد في ذلك الانقلاب، بالرغم من أن تقارير المخابرات العالمية تنفي ضلوعه في تلك المحاولة الانقلابية؟

-من خلال قراءتي لأفكار الأستاذ كولن واطلاعي على نشاطات الخدمة، نعم.. أنا أصدّق أن الأستاذ كولن صاحب أكبر انقلاب في التاريخ المعاصر، انقلابٌ في القيم والمعايير جعل خريجي أكبر جامعات تركيا يذهبون إلى مجاهل إفريقيا ينشرون العلم ويغرسون بذور الأمل، انقلابٌ في المقاييس المادية لهذا العالم المتناحر جعل أصحاب رؤوس الأموال يضعون أموالهم الطائلة في مشاريع تربوية وتعليمية، ثم يتركونها ويرحلون، انقلابٌ في عالم الأفكار حين انتقل بها من عالم الرؤى والنظريات إلى عالم التطبيق والمؤسسات، انقلابٌ في أشكال التدين التقليدية جعلت التدين فعلاً لا قولاً، عملاً وسلوكًا لا لباسًا وهيئة، وهذا غيضٌ من فيض.

الأستاذ كولن يطرح أفكاره طرح عالم بالتاريخ ودوراته، والواقع ومآلاته، والمستقبل واحتمالاته، لا يتركنا في فراغ الأحلام بل يرسم خريطة محددة الملامح حول طريقة وآلية تنفيذ هذه الأفكار وتحويلها إلى واقع ملموس.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

أما ما تقصدونه من انقلاب مزعوم اتُّهم الأستاذ بالوقوف وراءه، فلا حاجة لنا بتقارير مخابراتية تنفي ضلوع الأستاذ في تلك المحاولات الانقلابية، المسألة عند من لديه أدنى مقومات التفكير لا تحتاج إلى دليل لانتفاء مثل هذه الاتهامات المبتذلة عن الأستاذ والخدمة.

قد أفهم أن يقف وراء الانقلاب رجل سياسة مشغول بالدولة وسلطانها، أو حتى رجل دين يرى في السياسة وسيلة لإقامة فكرته، أما أن يُقال هذا عن رجلٍ قضى حياته مشغولاً بنشر رسالة سامية ليس في تركيا وحدها، بل في كل أنحاء العالم، فالأمر مستبعدًا منطقيًّا.

من المعلوم أن نشاط الأستاذ كولن التربوي والدعوي يسبق النشاط السياسي لتيار الإسلام السياسي في تركيا، ولو كان الأستاذ رجل سياسة يريدها لنفسه أو لتلاميذه لدعاهم إلى إنشاء أحزاب سياسية لا إلى إنشاء مدارس ودور طلبة.

ولستُ أدرى أيّ نوعٍ من الناس هؤلاء الذين يقفون وراء انقلاب على مستوى قيادة أركان الجيش التركي، ثم لايقومون بمظاهرة واحدة أو احتجاج واحد ضد أقسى ممارسات القمع والتنكيل ضدهم!؟ ويا تُرى متى اكتشفت الحكومة التركية أن الخدمة حركة إرهابية؟؟ أحدث ذلك فجأة؟ وأين أسلحتهم الفتّاكة؟؟ أهي مخزّنة في المدارس والجامعات؟ أم في دور الطلبة وجمعيات الإغاثة الخيرية؟

لقد دعا الأستاذ إلى الديمقراطية، وقال إنها لا تتعارض مع الإسلام، ووقفت ضده حينها الحركات الإسلامية التركية التي كانت ترى الديمقراطية كفرًا، واليوم هذه الحركات تتهمه بأنه يريد الانقلاب على الديمقراطية!

لماذا استهداف الأستاذ محمد فتح الله كولن وحركة الخدمة في تركيا، ومن المستفيد من القضاء على فكرة الخدمة؟

-الفائدة الوحيدة من إبادة فكرة "خدمة الناس" هو لصالح من يريد أن "يخدمه الناس"، وإذا كانت الخدمة تعمل في مصلحة "الأمة"، فإبادتها ليست إلا خدمة لمصالح "أعداء الأمة" أو الراغبون في تركيعها وإذلالها.

الخدمة تتبنى "الديمقراطية"، فالمستفيد من القضاء عليها هم "المستبدون"، والخدمة تتبنى "الحرية" فالمستفيدون من القضاء عليها هم "المستكبرون"، والخدمة تتبنى "قيم السلام" فالمستفيدون من القضاء عليها هم "مسعِّروا الحرب"، والخدمة تتبنى "القضاء على الجهل" فالمستفيدون من القضاء عليها هم

أصحاب المصلحة في بقاء الإنسان جاهلاً، والخدمة تتبنى "الحوار مع الآخر" فالمستفيدون من القضاء عليها هم الذين يستمدون شرعية وجودهم وسبب بقائهم من عداوة الآخرين.

على أن "الخدمة" فكرة، والأفكار -ياسيدي- لايمكن القضاء عليها، فكيف إذا كانت فكرة تتجاوب مع فطرة الإنسان وتتسق مع إنسانيته؟!

ما هي النصيحة التي يمكن أن تقدمها للشباب أو لغيرهم من المتابعين في الطريقة والكيفية التي يمكن أن نحكم من خلالها على الخدمة حكمًا عادلاً بعيدًا عن التشويه الإعلامي والبرجماتية السياسية؟

-الإعلام -بطبيعته- ليس وسيلة معرفية محايدة، ولاينبغى لإنسان يحترم عقله أن يجعل من الإعلام أداة لتكوين وجهة نظره تجاه الأحداث المتباينة، لا سيما في عصرنا الحالي، فالإعلام ليس محايدًا على الإطلاق بطبيعته، وغاية المراد منه فقط أن يكون موضوعيًّا، لكن هذا عزيز جدًا.

ولذا فإني أنصح نفسي وإخواني ممن يريدون تكوين رؤية صحيحة بالآتي:-

أولاً: أن لا يحكم على الأمور وفق أيديولوجية مسبقة؛ فالأيديولوجية المسبقة هي أكبر العوائق ضد الرؤية الصحيحة.

ثانيًا: أن يُعمل عقله وفكره؛ فلا يتبنى وجهة نظر وفقًا لسيكولوجية الجماهير بل يعلم أنه مسؤول عن كل فكرة يتبناها.

ثالثًا: أن يبحث عن المصادر الحقيقة؛ فحين

الخدمة تتبنى "قيم السلام" و"الحوار مع الآخر" لذلك فالمستفيدون من القضاء عليها هم "مسعِّروا الحرب"، والذين يستمدون شرعية وجودهم وسبب بقائهم من عداوة الآخرين.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

يكون الأستاذ كولن في موضع اتهام فلابد أن أقرأ ماكتب هذا الرجل، وأتتبع مسيرة حياته، وحين تكون الخدمة متهمة ينبغي أن أنظر في آثارها وأقابل رجالها وأبحث عنهم لأصدر في النهاية حكمًا لهم أو عليهم.

برأيكم كيف تكون العلاقة بين الدولة الحديثة والمجتمع المدني كما يرى الأستاذ كولن؟

-في الحقيقة وعلى المستوى الفكري، فقد أحدثت أفكارُ الأستاذ كولن عن الدولة والمجتمع تغييرًا جذريًّا في فكري من هذه الزاوية؛ الأستاذ يرى أن الأمة هي الأصل وأن الحكومات هي التابعة في الحقيق.

أذكر أنه يقول: قبل أن تقول الحكومة عن أمتها "ها هي أمتى" فمن الأفضل والأهم أن تبادر الأمة قبلها وتقول عنها "ها هي حكومتي". وهو يرى أن قيام "دولة إسلامية" ليس بضرورة دينية ما دام هناك مجتمع يحافظ على الحقوق والحريات، ويستطيع محاسبة الحكومات وإقالتها بالوسائل الديمقراطية إن أراد، فإن هذا المناخ -مناخ الحرية- هو أنسب مناخ لنموّ روح الإسلام؛

nesemat.com نسيمات nesemat.com

إن الأستاذ فتح الله كولن رجل هذا العصر ومجّدد هذا الزمان، ولو كان الرومىُّ في زماننا لقال هذا، ولو امتدّ الزمان بالنورسي لفعل هذا، فهو روميّ عصره ونورسيّ زمانه.

فإذا كان المسلمون في بلد ما يمارسون شعائرهم الدينية بحرية، ويتمكنون من إنشاء مؤسساتهم الدينية بلا عوائق، ويستطيعون أن يلقنوا قيمهم الدينية لأبنائهم ولمن يرغب في تعلمها، ولديهم الحرية الكاملة في التعبير عنها في النقاشات العامة، ويعلنون عن مطالبهم الدينية في إطار القانون والديمقراطية، فإن حاجتهم إلى إقامة دولة "دينية" أو "إسلامية" لم تعد ضرورية وهذا نص كلام الأستاذ، وأنا أفهم منه أن قيام مجتمع مدني يعبر عن الأمة وهويتها أهم من رفع شعارات قد لا يستطاع تحقيق بعضها أو شيء منها، والحقيقة أن الواقع المشاهد يثبت مصداقية هذا الطرح بل وعبقريته أيضًا.

ظهر في العالم الإسلامي على مر التاريخ العديد من رواد الإصلاح ودعاة التجديد، ما الذي يميز الأستاذ فتح الله كولن عنهم؟

-الأستاذ كولن هو امتدادٌ مبارك للأئمة الأعلام في تاريخنا قديمًا وحديثًا، وقد استطاع الرجل بعبقرية فذّة أن يمدّ خط الإصلاح والتجديد الإسلامي على استقامته، وأن يستفيد من جميع الذين سبقوه، ويزيد عليهم ماتفرضه عليه تحديات عصره ومتطلبات زمانه، وقد عقدتُ بابًا في دراستى عن "تجربة الأستاذ كولن كنموذج لنهضة الأمة" لأوضح هذا المعنى، وأخذتُ نماذج من أئمة التجديد والإصلاح قديمًا وحديثًا، كحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، ومولانا جلال الدين الرومى، والإمام عبد القادر الجيلاني، والأستاذ الإمام محمد عبده، والأستاذ بديع الزمان النورسى، وبيّنتُ كيف أن الأستاذ كولن جزءٌ لايتجزّأ من هذه المدرسة الإصلاحية التجديدية استفاد منها وبنى عليها، ثم زاد من روحه وعمله في هذه المدرسة المباركة تطبيقًا وفعلاً، وفلسفة وفكرًا

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ

غرفًا من البحر أو رشفًا من الدِّيَم

وليست القضية هي، هل يمتاز أحدهم عن الآخر؟ بقدر ماهي قضية، هل عمله وتجديده موافق لما يقتضيه العصر ويتطلبه الزمان؟ هل هو رجل العصر المناسب؟ هل الرؤية الاصلاحية التى يطرحها هى واجب الوقت وعنوان المرحلة ؟

وهنا يجب القول أن الأستاذ فتح الله كولن يمتاز بأنه رجل هذا العصر وأنه مجدد هذا الزمان، بمعنى أنك تستطيع أن تقول: لو كان الرومي في زماننا لقال هذا، ولو امتدّ الزمان بالنورسي لفعل هذا، فهو رومي عصره ونورسي زمانه.

هل يمكن أن تحدثنا من خلال قراءتك لكتب الأستاذ عن مكانة القرآن وموقعه لدى الأستاذ فتح الله كولن؟

-في الحقيقة، هذا السؤال يثير لديّ مشاعر كثيرة، فأنا ممن يعتقدون أن أي نهضة أو فكرة إصلاحية تتجاوز الخطاب القرآني أو لا تعتمد عليه فهي نهضة ميتة في مهدها وفكرة محكوم عليها بالإخفاق سلفًا. ولذا فقد كنتُ ولازلتُ حريصًا عند قراءة فكر الأستاذ وكتاباته أن أتلمّس فيها موقع القرآن منها، لكن أغرب ما واجهنى في كتابات الأستاذ كولن –وأعني الكتابات التي يخطها بيديه على التحديد– هو أنك قد تقرأ المقال المطوّل من مقالاته ولاتجد فيه آيةً واحدة من القرآن الكريم، بينما المقال ذاته دائرٌ في فلك القرآن الكريم لا يتجاوزه قيد أنملة، في حين قد تجد كاتبًا يتحدث في موضوع من الموضوعات فيريد أن يَجبَه مخالفه، فيواجهه بنص مقدّس حتى لايترك له مجالاً للأخذ والرد حول الفكرة التي يطرحها. وعندما وجدت الأستاذ ينتهج ذلك، قلتُ في نفسى: لعل الأستاذ يريد أن ينزّه النص القرآني عن كونه مجرد تأكيد لأفكار نطرحها مهما كانت درجة اقتناعنا بها، والله أعلم طبعًا

لكن أهم ماتبيّنتُ ملامحه عن مكانة القرآن في كتابات الأستاذ مايلي:-

- الأستاذ كولن يتعامل مع القرآن لا باعتباره كتابًا مقدّسًا فحسب، بل باعتباره وحيًا متجددًا كان ولايزال قادرًا على إحياء هذه الأمة وبعثها من جديد، بل على إحياء الإنسانية في نفس كل إنسان فالخطاب القرآني فوق الزمان والمكان، وليس مجرد

الأستاذ كولن يتعامل مع القرآن باعتباره وحيًا متجددًا كان ولايزال قادرًا على إحياء هذه الأمة وبعثها من جديد، وإحياء الإنسانية في نفس كل إنسان.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

مصحف يُتبرّك به، ويُعتنَى بجوانب الزخرفة فيه.

- لا يقف الأستاذ عند مستوى التدبر للخطاب القرآني بل يتجاوزه إلى ما يمكن تسميته "التمثيل لقيم الوحي" بمعنى أن يتشخَّص الوحي الإلهي ليكون نماذج بشرية تسعى بين الناس بقيم هذا الوحي الإلهي.
- إذا كان القرآن قد غيَّر وجه العالم منذ أربعة عشر قرنًا، فإن الأستاذ فتح الله كولن يعتقد بأن القرآن سيقول كلمته في القرن الحالي، وهو على يقين بأن القرن الواحد والعشرين سيكون عصر القرآن.

تجاوز الأستاذ فتح الله كولن منظور إثارة مشاعر مخاطبيه بكمالات النبوة إلى منظور إحياء منهج النبوة سلوكًا وعقلاً كيف ترون ذلك؟

-كلما مرّت علينا مناسبة ذكرى مولد النبي الهادي –صلوات الله وسلامه عليه– وسمعنا قصائد في المدح عظيمة، وابتهالات حزينة، وأغاني رائعة، ومدائح جميلة، وتحدث الخطباء على المنابر، وامتلأت البرامج الإذاعية والتلفزيونية بالأحاديث عن الرسول وعظمته... هذا كله جيد وجميل، لكن تُرى هل ترك هذا كله فينا أثرًا؟ أم أن حبنا لرسول

لا يقف الأستاذ عند مستوى التدبر للخطاب القرآني بل يتجاوزه إلى ما يمكن تسميته "التمثيل لقيم الوحي" بمعنى أن يتشخَّص الوحي الإلهي ليكون نماذج بشرية تسعى بين الناس بقيم هذا الوحي الإلهي.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

أنه يقف عند حدود المشاعر الطيبة وكفى.

لو أنك شاهدت الأستاذ كولن وهو يتحدث في درس من الدروس، حتى ولو كنت مثلي لا تفهم التركية، فلا شكّ أنك ستشعر أن هذا الرجل مهموم، وأن همّه كبير، كبير جدًا بحجم أمة كاملة، لدرجة تجعله يبكي حين يفيض همه عن قدرته على التحمل، وحين يتحدّث عن الكمال النبوي، ويتغنى بكمالات النبوة، تجده يكاد يذوب عشقًا وحياء وحبًا، لكنه ليس من نوع "الحب السلبي" إنه حبٌّ من ذلك النوع الفاعل المتحرك الذي ينشئ فعلاً ويترك أثرًا، إنه يدعو تلاميذه أن يرفعوا "الاسم المحمدي الجليل" في كل مكان، وأن يبنوا في كل مكان يذهبون إليه "مدينة منوَرة" حتى يستطيعوا يوم القيامة أن يواجهوا صاحب "المدينة المنورة" صلى الله عليه وسلم.

شكرًا جزيلاً أستاذي كان حوارًا دسمًا وعميقًا وطيبًا، ومثل تلك الحوارات لا يريد لها الإنسان أن تنتهي في الحقيقة، وبالطبع فالكلام ذو شجون. فإلى أن نلقاكم في حوارات أخرى نستودعكم الله تعالى. ■

برقيات

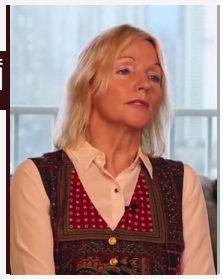

أ.د. تمارا ألبرتيني

قسم الفلسفة بجامعة هاواي
الولايات المتحدة الأمريكية

إن قصة تعرفي بالخدمة بدأت عندما كنت في المطار بألمانيا ورأيت مجلة دير شبيجل الشهيرة قد خصصت عددًا خاصًا عن فتح الله كولن، حينها اندهشت أن المجلة كلها تتحدث عن هذا الشخص، لذلك اشتريتها وظللت أقرأ فيها طوال الرحلة إلى هاواي، وهذه هي المرة الأولى التي تنبهت فيها لازدهار هذه الحركة الفريدة من نوعها، وتضاعفت معرفتي بالحركة على مر السنوات، واكتشفت العمل الجيد الذي تقوم به المجموعة التي يطلق عليها الخدمة اليوم.

إن الخدمة نموذج ممتاز، فهي لم تصمم خصيصًا لتركيا فقط، بلد النشأة، وليست أمرًا عمله منحصر في النطاق الإسلامي، وأعتقد أن هذا إنجاز باهر، لحركة شابة مثل الخدمة، أن تفهم مبكرًا أن عليها تبنّي الطرق والأساليب الحديثة، وبناء مشاريع وفقًا لها، هذا عمل مدهش، ولست متأكدة من وجود الكثير من الحركات التي يمكنها أن تقوم بمثل بهذا العمل.

أنفاس القلب
قراءة في أعماق النفس البشرية

عبد العزيز معروف

باحث مشارك في أبحاث اللجنة العلمية بمجمع البحوث الإسلامية عام ٢٠١٨.
شارك كباحث في سلسلة البيان. وكذلك في مشروع جامع السنة النبوية.
له العديد من الأبحاث المتعلقة بالتصوف.
أعد أبحاثا متعلقة بالتغيرات المعاصرة وأثرها على الأسرة ، وكذلك الحداثة وأثرها على الواقع المعاصر.
وشارك كباحث في دراسة إشكالية الحاكمية عند جماعات التطرف.

أنفاس القلب ليس لها حروف ولا كلمات، لم تلهج بها الألسنة بعد، ولم تطرق الأسماع، ولم تتعرف عليها أسنان الأقلام ولا مفاتيح الآلات الكاتبات، ولكنها فوق كل هذه السبل التي تعبر بها عن نفسها، لها لغة بهية راقية؛ بحيث إن أصحاب هذه الأنفاس لا يجدون حاجة إلى الكتابة أو الإلقاء، ولا إلى ممارسة فنون الخطابة والإقناع، ومن يفهمون لغتها لا يضطرون إلى البحث عن بيان أبلغ وأوقع منها.

يقدم الباحث في تلك قرائته الخاصة وتجربته مع الكتاب وسنعيش معه ليعبر لنا عن لمحات من كتاب أنفاس القلب للأستاذ فتح الله كولن حيث يغوص بنا في أعماق النفس البشرية، وورطاتها ورحلتها للصعود والارتقاء والتصفي، ويحلق بنا في أفق القلب مفصحًا عن بعض أسراره الواردة في طيات هذا السفر القيم.

يعيش الإنسان حياته بين مشاهدة منن الله ﷻ عليه ومطالعة عيب النفس والعمل، ولا يزال يبحث في قرارة ذاته عن الحل الأمثل لكي يصل إلى معراج النفس، فيرتقي وتصير روحه صفية نقية، وهذه الروح الصافية يلقب صاحبها بالطاهر الذي يصفه الأستاذ كولن بأنه "على صلة دائمة مع ربه، تشع منه أنوار تقذفها نظراتهم، أما ملامحهم فتعكس معاني يسحر بها على الفور من يشاهدهم"، كأنهم طاقة حب تشع نورًا تضيء لمن حولهم، فتنتشلهم من ظلمات التيه إلى نور الرشاد، ولما لا وهم ورثة النور المحمدي، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا ما هو إلا طاقة نور كتبها الأستاذ من قلب طاهر بكلمات تحولت من مجرد كلمات إلى طاقة حب تشع نورًا، لكي تأخذ بأيدينا جميعًا إلى نور الرشاد.

الطريق بدايته من القلب

المراد بالقلب هنا "اللطيفة الروحانية الإلهية" التي هي منبع الأسرار ووعاء الخير، ومن ينبوع القلب يتفجر ماء الحياة، ولكن لتفجر هذا الماء قاعدة أساسية، وهي"تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتحليته بالذكر".

وهذا هو الطريق الصحيح طريق يبدأ بالطهارة، فتخلية القلب عن غير الله هي أن يتطهر القلب عن السوى، ولا يرى إلا هو. ومفتاح هذا هو استغراق القلب بالكلية بذكر الله، ولكن هذا الطريق يحتاج إلى شرط أساسي يطلق عليه الأستاذ كولن "الصبر الفعال"، ولكن كيف أطهر قلبي عن غير الله، يجاوبنا الأستاذ بـأن "الحب هو أساس الطريق"

قال بعض العارفين: اغرس بذرة المحبة في قلبك واسقها بماء الإخلاص وراعها بالرفق والسماحة تنبت شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء. وهذا التشبيه يجعل قلب الإنسان كالأرض التي إن وضعت فيها بذرة صالحة وروعيت أنبتت نباتًا حسنًا يعطي الخير لكل ما حوله، ولهذا عبر الأستاذ بأن "المحبة هي التي تجعل النفوس نضرة نابضة بالحياة" وأن "محبة الله هي رأس كل شيء، وهي المنبع الأصفى والأنقى لكل أنواع المودة".

وكأس المحبة لا يرتوي من شرب منه، بل سيظل ظمآنًا، وهذا الشراب لا ينفذ، وقد كتب يحيي بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي، ههنا من شرب كأسًا من المحبة لم يظمأ بعده، فكتب إليْه أبو يزيد، عجبت من ضعف حالك ها هنا من يحتسي بحار الكون وهو فاغر فاه يتزيد.

وقد أنشد أحد المحبين:

شربت الحب كأسًا بعد كأس

فما نفد الشراب ولا رويت

فقلب المحب لا يفتر عن ذكر محبوبه، فهو به يعيش، ولو غاب عنه لحظة هلك، يعيش بالأنس، وقد قال أحد العارفين: عجبت لمن يَقُول ذكرت ربي، فهل أنسى فأذكر مَا نسيت؟.

وهذا أمر واقع "فعشاق الحق تبارك وتعالى مخلصون، يضعون رؤوسهم على أعتابه تعالى،

يسخرون أيديهم وأرجلهم، وأعينهم وآذانهم، وألسنتهم وشفاهم لأمره"، فهم يهيمون بحبه متعلقون به تعالى، فيشربون من كاسات القرب، وهذه الكاسات تبدو من الغيب ولا تدار إلا على أسرار معتقة، وأرواح عن رقة الأشياء محررة، فيحدث عندهم ما يسميه أهل العرفان بالمحو والإثبات، فيمحو من قلوبهم غيره، ويثبت على ألسنتهم ذكره، وفي هذه الحالة يتحول كل الكون أمامهم إلى "قصيدة المحبة والكرة الأرضية قافية تلك القصيدة" ويبدأ بوضع يديه على المشكلة الحقيقية.

مشكلة الأنا

"إن الإنسان ما دام مربوطًا بأنانيته الشخصية، ومتعلقًا بذاته، فلن يتخلص من كونه ذرة أو قطرة أو لا شيء، وهذه الأنا تذوب إذا صار الإنسان من أبطال القلب، هؤلاء الأبطال الذين "يخلو كلامهم من الحروف والكلمات، فهم يتحاورون فيما بينهم، يتبادلون الحديث بلا ألسنة ولا شفاه، تضمحل الأنا عندهم، فلا تجد أحدهم يقول شمعتي أنا، أو مشعلي أنا، فهم قوم علموا حقيقة أنفسهم، وأنهم فانون لا بقاء لهم، وإنما أجسادهم خيالات ستفنى لا محالة، وأن بقاءهم الحقيقي مع بارئهم وحبيبهم، وينطق قلبهم "لا أريد الغير، بل أريد الحبيب الباقي"

وحل هذه المعضلة الكبرى لخصه الأستاذ في أن يعرف الإنسان موقعه وموقفه تجاه الحق، فموقع الإنسان أنه حامل الأمانة ولا بد لحامل الأمانة أن يكون أمينًا صادقًا عفيفًا، وأن يحقق ماهيته، وهذا

هذا الكتاب الذي بين أيدينا طاقة نور كتبها الأستاذ من قلب طاهر بكلمات تحولت من مجرد كلمات إلى طاقة حب تشع نورًا، تأخذ بأيدينا جميعًا إلى نور الرشاد.

nesemat.com نسمات nesemat.com

لا بد للإنسان فيه من أن يفتح باب الفقر، وحقيقته عند أهل العرفان أن لا يستغني إلا بالله، وقد سئل يحى بن معاذ: ما الفقر؟ قال: خوف الفقر، قيل: فما الغنى؟ قال: الأمن بالله ﷻ.

وقد عبر عن هذا الأستاذ كولن بتعبير غاية في الروعة، وهو يهمس في أذني وأذنك همس الناصح الأمين أنك لا بد أن توقف نفسك ماثلاً أمام عظمة الله وكبريائه قائلًا: "هذا مقتضى وضعي وموقعي أمام الله" ففي هذه اللحظة ستخر ساجدًا أمام من العظمة ردائه والكبرياء إزاره، ولكن السجود هنا ليس سجود الأعضاء، بل هو سجود القلب الذي تكلم عنه أهل العرفان. فللقلب سجدة إذا سجدها، لم يقم من بعدها أبدًا، وفي هذه الحالة سيعد الإنسان نفسه فردًا من الناس لا يمتاز عنهم بأي شيء، وسيرى أن خدمة الإنسانية كلها أمر متحتم عليه، وهو أساس الأمانة التي حملها، وهذا المقام سيورثه مقامًا آخر، وهو مقام الشفقة.

الشفقة

مقام الشفقة ناتج عن المحبة إذ لا يشفق إلا من أحب، فبالحب تمحى الكراهية، وتولد الشفقة، فالشفقة عناية مختلطة بخوف؛ لأن المشفق يحب

للأستاذ كولن عبارة تبين قمة التفكير الروحي لديه، حيث يقول "والذين غلبوا في عالم الأمل سيغلبون في واقع حياتهم أيضًا".

nesemat.com نسيمات nesemat.com

المشفق عليه، وهي في أصل مادتها اللغوية تدل على رقة في الشيء، فهي نوع من أنواع التجلي للأخلاق الإلهية.

وقد وصفها الأستاذ بوصف دقيق فقال هي: الشعور بالمحبة والعلاقة تجاه الآخرين دون مقابل، ومجابهة أنواع المعاناة التي يتعرض لها المظلومون، والتحنن عليهم بشكل بالغ مثل تحْنان الأمهات، فهو وصف لها باعتبار أثرها، ولم يكتف فقط بكون الشفقة شعورًا بمحبة، بل أضاف إليها قيدًا في غاية الأهمية "دون مقابل".

فالحب الحقيقي الذي يورث الشفقة الحقيقية هو الذي لا يكون متعلقًا بسبب بل هو بلا مقابل، وهذا النوع هو الدائم أن تحب المرء لا تحبه إلا لله، وكذا لا تشفق عليه إلا لله، ومن هنا ينطلق المعنى الآخر الذي أشار إليه الأستاذ، وهو أن تحمل هم المظلوم أيًّا كان، فمعاملتك من قبيل الحب لكل الإنسانية، وهذا الحب يحمل معنى تتجلى فيها المعاني الحقيقية للإنسانية، تحنن بشكل بالغ عليهم مثل تحنن الأمهات، وهذا التحنن لا يكون إلا إذا وضع المحب نفسه مكان المحبوب "فمن سُعد بحمل هذا الشعور بين جوانحه فسيمد يد الشفقة إلى كل من يحتاج".

فالشفقة أكسير يداوي أي آفة للعداوة، ويؤسس لنا إيجابية وهي مجابهة الآلام المحققة للذين هم في ميحطنا القريب أو البعيد، وذلك بأن نزيلها ونقطع الطريق أمام المصاعب المحتملة، وأن نقيم مقامها الفرح والسرور، وإن كان هذا النوع هو مواجهة إيجابية لمشكلات المجتمع فهو يربي في الناس التضامن الاجتماعي، ويصدق على المجتمع مسمى مجتمع الرحمة، وأفراده يسمون بأهل الرقة والرحمة.

لكنه لا يهمل المجابهة الحقيقية للمشكلة، فكما قلنا إن المشفق محب، فالمحب يحاول أن يُقوَّمَ مشكلات محبوبه، ويضع لها أطر العلاج ويحاول جاهدًا أن يرشده، فهو ينظر بنظرات الرحمة ويحتضن المظلوم والمغدور به، واحتضانه للمظلوم يكون بالإحسان إليه وتنبيهه على ظلمه وألا يعينه على إيقاع الظلم، وهذا معنى قول سيدنا رسول الله ﷺ "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" (رواه البخاري).

فأمام القلب المشفق الناس سواسية كأسنان المشط، وإذا استحضر الإنسان هذا المعنى سيتنفس دائمًا بالشفقة وستتحول نظرته للكون إلى مرحمة ورفق، وبهذا يتحول إلى إنسان المرحمة.

المرحمة

إن المرحمة هي الخميرة الأولى للكون والوجود، وكل شيء بدونها مزيج من الفوضى، بهذه الكلمات المعبرة افتتح الأستاذ مقالة المرحمة، وهي وصف

وصف به الله تعالى عباده الصالحين الناجين، فقال ﷻ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾(البلد:١٧).

والمرحمة بها صلاح الإنسانية، وهذا هو معنى قول الأستاذ بأنها الخميرة الأولى للكون والوجود؛ فبها وجد كل شيء، وبها يواصل وجوده، وإذا حلق الإنسان في حياته بأجنحة المرحمة، تغيرت نظرته للكون من حوله، وتفتحت عين البصيرة عنده، وبهذه العين يرى حقيقة الأشياء، يرى الكون من حوله نسيج جميل من خلق الله فيورث هذا في قلبه إكبارًا وإجلالاً لكل شيء، فيتعامل مع الكائنات كلها على أنها خلق لله، لا فرق عنده بين مخلوق وآخر، فيرحم الضعيف ويحنو على القاسي، ويتقبل الآخر، ويتكاتف مع من حوله من أجل إعمار هذا الكون الذي هو مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية، وهذه المرحمة لا تكون ذلاً ولا هوانًا، بل هي مرحمة مبنية على عزة وحسن توجيه، فهو يرحم الظالم بأن يبين له وجه ظلمه ويرشده للخير؛ ولذا عبر الله تعالى في الآية السابقة بالتواصي بالمرحمة، ومعنى التواصي بالمرحمة هو أن يحث بعضهم بعضًا على أن يرحم المظلوم أو الفقير، وإذا تحقق الإنسان بالمرحمة أورث ذلك في قلبه أملاً تجاه كل ما حوله، وتحول إلى "إنسان الأمل".

إنسان الأمل

إذا تحققت الرحمة في قلب الإنسان، وتفتحت عين البصيرة أمامه وانبعث الأمل في قلبه، وتحول

إذا تحققت الرحمة في قلب الإنسان، وتفتحت عين البصيرة أمامه وانبعث الأمل في قلبه، تحول إلى إنسان منتج، فالأمل ينتج من الشوق، ومن شوق ظهرت آثار اسمه الرحيم ﷻ في الكون.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

إلى إنسان منتج.

والأمل ينتج من الشوق الذي ظهرت منه آثار اسمه الرحيم في الكون كله، وهذا شوق إلى الله ﷻ زرْعه الحب الذي يتأتي من مشاهدة آثار رحمة الله، فيتعلق القلب بصفاته المقدسة فيشتاق إلى معاينة لطائف كرمه وآيات بره وأعلام فضله، ويورثه هذا طاقة نافذة تحاول أن تستخرج من كل ما حولها مشاهد الجمال والجلال الإلهي، فلا ينظر للكون من حوله إلى مجرد مورد استهلاكي، بل ينظر إليه نظرة المستكشف، ويستخرج خباياه، ويفتش عن مكنون أسراره، فيحمل بيده مشعل الأمل "فبالأمل قد استكشف روحه، وعلم ما فيها من القوة والقدرة الكامنة، وبهذا الاستكشاف يؤسس علاقة روحية مع صاحب القدرة المطلقة، فبذلك يحرز قوة تكفى لكل شيء".

وللأستاذ عبارة تبين لنا قمة التفكير الروحي لديه، حيث يقول "والذين غلبوا في عالم الأمل سيغلبون في واقع حياتهم أيضًا" نعم من غلب في عالم الأمل كيف له أن يعيش في واقع الحياة، فهو إنسان عابث لا يبحث عن أية حقيقة، وكل ما

على قدر ما في قلب الإنسان من نور يكون بيانه نورًا، فمن الناس من يتكلم ببيان كأنه خرزات اللؤلؤ يبادر باللقط إذ يلفظ، ومن الناس من يكون بيانه حصى يتحاشاه الناس، ويلغى فلا يحفظ.

nesemat.com نسمات nesemat.com

يبحث عنه هو إرضاء شهواته وميولاته، وما الأزمة التي نعيش فيها في واقعنا إلا لافتقاد الأمل، فهذا الإنسان يعيش في فوضى، ليله كنهاره لا هدف أمامه، فيتحول إلى كائن مادي انفصمت روحه عن جسده، فيكون وسيلة لاستهلاك موارد الحياة، وهذا اختزال للإنسان وخروج به عن طبيعته، ويجعله خاضع لحتميات المادة محصور في قوانينها، ليس له كيان مستقل يتجاوز كل هذا، ويكون كائنًا أحاديًا، وهذا اختزال وخروج عن حقيقة الإنسان، وكل هذا يخالف طبيعة الإنسان، فهو يملك وعيًا بنفسه وبما يدور حوله، له كيانه المستقل الخاص به، والإنسان عالم محفوف بالأسرار.

وقد وضح الأستاذ خطورة هذا النوع من الاختزال، وأنه يؤدي إلى وضع مخزي، فمن تعلقت روحه بالثروات والمناصب، سيجد نفسه قد أتلف وقته، وسينتهي به الأمر إلى الإحباط والضياع.

أما إنسان الأمل، فهو من يعشق مِن الألوان ما لا يبهت ومن الأنوار ما لا ينطفىء، فنور ليله مشرق مثل فلق الصبح، ونهاره زاه بالألوان، وهو إنسان مكون من جسد وروح، مؤمن بالشهادة والغيب، غير مختزل في روحية أو مادية، فهو يتعامل مع كلا المفردين، وهو كائن حضاري يساعد في تكوين الحضارة وبناءها، وهو ما يسمى بالإنسان الرباني، وآفاق هذا النوع لا تعرف الظلمات، صاحب قلب متعلق بالأبدية، لا تفرق قلوبهم بين الربيع والصيف تؤتي أكلها كل حين، وتقدم ثمارها بكل سخاء، وهذه القلوب يمن الله ﷻ بمنحة إلهية ألا وهي منحة البيان.

البيان

إن أكبر نعمة منحها الله لعباده هي منحة البيان، قال تعالى:﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ ۞ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾(الرحمن:٣-٤) فالبيان أول قطرة حبر سالت من رأس قلم القدرة نحو عالم الفناء، هكذا عبر الأستاذ عن البيان، ويا له من تعبير. نعم قال كن فكان، أمر بخلق القلم فَخُلِقَ، وقال له اكتب فكتب، وسال الحبر، ولما علم آدم الأسماء أعطاه القدرة على التعبير، فعبر ولذا سجدت الملائكة.

فالبيان منحة إلهية يمتاز بها الإنسان عن العجموات، وعلى قدر ما في قلب الإنسان من نور يكون بيانه نورًا، فمن الناس من يتكلم ببيان كأنه خرزات اللؤلؤ يبادر باللقط إذ يلفظ، ومن الناس من يكون بيانه حصى يتحاشاه الناس، ويلغى فلا يحفظ.

فالبيان هو المعبر عن الروح، وهو المعترف بالحق، ولذا كلم الله عباده بكلامه النفسي القديم، وأنزل الكتاب المعجز على خاتم النبيين، فأعلمهم في هذا الكتاب "قدر الطاقة البشرية في البيان، وأنها نهائية بينما هناك كلام يتجاوز نهاية الطاقة البشرية تجاوزًا

يقطع الأطماع ويقهر القوى والقدر، وأنه لا تحدث نفس صاحبها بأنه من الممكن أن يأتي بما يقاربه" وها هنا تخضع النفس لكي تتعلم البيان، الذي يخاطب الروح فتمتزج الروح بهذا الكلام فيورثها معاني جديدة، فتفح أعينها على حقائق الكون؛ لأن هذا البيان فيه طاقة النفوذ إلى القلوب بحيث لا يمكن الصمود أمامها، ويفتح آفاقًا أمام العقول، ويحثها على البحث والتفتيش عن حقائق الأشياء، فهو بيان لا يخاطب الروح وحدها ولا العقل وحده، ولا الجسد وحده، بل يتناول الإنسان بكل لطائفه المادية والمعنوية، ويخاطب كل الأمور مجتمعة معًا، فتجيش الروح وتفيض المعاني عليها، ويبدأ العقل مع الروح في رحلة التكوين والاستكشاف، فيحب العلم والبحث فيه مسائله، ولما لا وفي هذا البيان القرآني، أفلا ينظرون! وأفلا يتدبرون!.

حب العلم والمعرفة

حب العلم والمعرفة عنوان على شوق وحماس لذيد ومقدس، هكذا افتتح الأستاذ مقالته، وهكذا يجب أن تكون؛ لأن العلم من حيث ذاته أمر محبوب، ولكن إن انضاف إليه أمر حب التعرف على الذات الأقدس ﷻ تحول من الجمود إلى الحياة، وصار العلم علمًا حيًّا يبث الحياة والمعاني، ويشعر الإنسان بنسائم منه تعالى في كل ما يلاقيه من الأحياء والجمادات، ولن يتحول العلم إلى آلة للهلاك، بل سيصير أداة لفتح أفاق الكون، وتعمير الأرض وتحقيق معنى الاستخلاف في الأرض.

من غلب في عالم الأمل كيف له أن يعيش في واقع الحياة، فهو إنسان عابث لا يبحث عن أية حقيقة، وكل ما يبحث عنه هو إرضاء شهواته وميولاته.

nesemat.com نسمات nesemat.com

والإنسان إذا وجد بيانًا ربانيًّا يحدثه عن النفس وعن الروح، وعن المخلوقات في الكون، ويقرر له قواعد النظر والاستدلال العقلي، سيثور عقله وسيقف متسائلاً أمام تلك الحقيقة، وخاصة نفسه التي بين جنبيه، وتبدأ الأسئلة الكبرى: من أنا، ولماذا أتيت؟ وهل الحياة سرمدية؟ وما طبيعة الكون الذي نعيش فيه؟

وتبدأ رحلة المعرفة الكبرى، ويسعى دائمًا إلى أمور جديدة، ودائمًا تتطلع آفاقه إلى الجديد، هكذا كان المسلمون الأوائل، حيث أثار البيان القرآني في عقولهم ونفوسهم أسئلة كبرى، فأخذوا يلتمسون الهداية من هذا البيان، ومن البيان النبوي الكريم، وأعملوا عقولهم كما أمرهم القرآن الكريم.

ولما أغفل المسلمون تدبر البيان الخالد وركنوا إلى غيره، تحول الحال إلى انحطاط فكري غريب، وعندما نتأمل عبارة الأستاذ كولن يقول: "يا لها من أيام كنا فيها ذاتيين، وكانت بحوثنا بأسلوبنا نحن، وكنا نعتبر البحث والتفكير العلمي عبادة... وكنا في مجالات العلم طافحين حيوية ونشاطًا، وكأننا نتسابق فيما بيننا لحل ألغاز كتاب الكون الإلهي".

العلم من حيث ذاته أمر محبوب، ولكن إن انضاف إليه أمر حب التعرف على الذات الأقدس ﷻ، تحول من الجمود إلى الحياة، وصار العلم علمًا حيًّا يبث الحياة والمعاني.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

هذا نفس من أنفاس قلب يحمل هم الإنسانية بأسرها، فهو يعلم أن أيام كنا ذاتيين لم نسخر العلم في تدمير البشرية، ويقرر الأستاذ هذا المعنى قائلاً: "إن المسلمين الأوائل حينما كانوا يحاولون بكل ما أتوا من قوة أن ينوروا القلوب، وَيدُلُّون الناس على سبيل التفلت من شتى أنواع الاستبدادات المسيطرة في تلك الفترة..." وذكر أمثلة من كبار علماء المسلمين الذين أثروا الدنيا بعلمهم، وبثوا في الدنيا ما تحتاج إليه الإنسانية من عقلية علمية جديدة، ونمطًا في التفكير، وأسلوبا مبتكرًا في البحث العلمي، ومن أمثلتهم ابن سينا، والفارابي، والزهراوي، وجابر الكوفي، وابن رشد، وغيرهم الكثير والكثير من مئات العباقرة.

ويصور الأستاذ أن العلم عند المسلمين كان نتاج شوق وتطلع إلى المعرفة، والشوق إلى المعرفة لا يحصرها في موضوع دون آخر، بل كل ما يصلح أن يبحث فيه سيبحث فيه، فالعلم عند المسلمين ممنهج، ولذا كانت الأشكاليات الأولى التي حلها المسلمون ببراعة، هي إشكالية المنهج العلمي، وهاهو كتاب سيبويه، ورسالة الشافعي بين أيدينا، وقانون العليّة والإطراد الذي أسس له الإمام الشافعي في رسالته.

وهذا الشوق هو شوق إلى الحقيقة العلمية أنتج نتائج مهمة، كأنها ممرات الجنان تصلح لأن يرجع إليها الناس على مر العصور، فيستقون منها ما يُصلح لهم حياتهم، وكأنه ماء حياة سرمدي لا ينفذ، ولما ابتعدنا عن هذا الشوق والتوق إلى الحقيقة وقعنا في مأزق الجهالة.

الصبر الفعّال

القلب المعذب من الجهالة، هو قلب يحمل أشواق زليخا وعنائها، وآهات يعقوب وأحزانه في انتظار قدوم بشرى ترد أبصارنا، وتبث الفرح والسرور في قلوبنا.

آه من قلب معذب بالجهالة أوقع نفسه بنفسه فيها، ثم يتحسر على حاله، يحمل أشواق زليخا التي لديها كل شيء تبتغيه مثيلاتها لديها الملك والجمال، ولكنها افتقرت إلى الإخلاص والأمانة، ولما صدقت وتوجه قلبها نحو المحبوب الحقيقي كوفئت، وهكذا هو حالنا إذا صدقنا في الشوق، وأخذنا طريق "الصبر الفعال" المصحوب بعمل ممنهج واضح الخطى وصلنا إلى مرادنا.

أما آهات يعقوب، فهي آهات من موقن بتحقيق وعد الله وأن البشرى ستأتي، ولذا قال لمبشريه: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(يوسف:٩٦) وهذا هو حال المسلم الصادق الموقن بتحقيق وعد الله له.

ومرض الجهالة هو أخطر الأمراض التي تودي بحياة الإنسان، فهو مرض يمحو قيمة الإنسان الحقيقية (العلم) ويجعله شبيها بالعجماوات يقاد

مثلها لا يعرف مصلحته، "وإذا علم شيئًا لا يستطيع استثماره، نابيًا عن الحق محرومًا من فكرة الحق، قد صار كارثة في كل الحقب والأزمان، ولا بد من محو هذا المأزق من حياة المسلمين، وهذا بأن يعلن كل المربيين والمعلمين الحرب على هذا العدو ويستخدموا كل الوسائل المشروعة في هذا السبيل، ولا بد من الاعتناء بالمعلمين فهم قادة الأمة في هذه المرحلة الحرجة، وينبغي أن يعلن عن حالة من النفير العام ضد مرض الجهالة، ويجب أن يختار المعلمون بعناية شديدة، فهم فئة نذروا أنفسهم للإرشاد والتلبيغ يعيشون في حالة نفير عام، قلوبهم مشاعل من نور تضيء لكل ما حولها".

ولا بد من توجيه النظر إلى الأطفال وتنشئتهم، والعناية التامة بهم، فهم الأجيال التي ستحمل الأمانة من بعدنا، فالواجب علينا أن نولي مؤسستين حيويَّتين في مجال تربية الأطفال العناية الفائقة هما: الأسرة، والمدرسة.

حوار مع النفس

لا بد للإنسان من مصارحة نفسه، وأن يوقفها على مواطن العيوب؛ لكي يقوّم الخلل ويصلحه. وكما قلنا في أول الكلام إن الإنسان يعيش بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل، وهذا المقام يتشابك مع مقام العزم عند أهل العرفان، فهو يطالع الجناية ويقف على الخطر فيها ويشمر لتداركها، ويتخلص من رقها ويطلب النجاة بتمحيصها، فيكون لسان حاله مخاطبا نفسه: "أيتها النفس! تفلتي من

يصور الأستاذ كولن أن العلم عند المسلمين كان نتاج شوق وتطلع إلى المعرفة، ولذا كانت الأشكاليات الأولى التي حلها المسلمون ببراعة هي إشكالية المنهج العلمي.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

مشاعر الخريف، وصيري نضرة خضرة، حتى تطير في محيطك الطيور والعصافير، وكوني منبعًا للماء حتى يهرع نحوك كل محروقي الفؤاد.. وعليك أن تكوني مثل الغيوم وتحولي دون حرارة الشمس الحارقة، وأن تكوني مثل الأمطار الغريزة التي تهطل من دون تعلق بالمواسم"

"أيتها النفس ينبغي لك أن تشعري في أعماق ضميرك بهموم كل أحد بحيث لا يتوقع أحد منك فوق ذلك... أيتها النفس تصرفي دائمًا بشجاعة، واحرصي على التحلي بالمروءة... وتبسمي في وجه الجميع". أيتها النفس كوني دائمًا في افتقار إلى خالقك، فهو معينك الذي يمدك في لحظة ونفس، وليكن ندائك: إلهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري؟ إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولاً في جهلي؟ إلهي إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة عليّ وإن ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجة عليّ.

ها أنا أتوسل إليك بفقري إليك، وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك؟ أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يخفى عليك؟ أم كيف أترجم لك بمقالي وهو منك برز إليك؟ أم كيف تخيب آمالي. ■

أطفال في سجون أردوغان

نسمات
للدراسات الاجتماعية والحضارية

أعد التقرير

نسمات (nesemat.com) إصدارة ورقية بحثية متخصصة في الدراسات الاجتماعية والحضارية في إطار مجموعة من المحاور المتعلقة بمشاريع الإصلاح وقضايا التجديد وحوار الأديان والثقافات والحضارات وقيم نشر التسامح والعيش المشترك والسلام العالمي، ومشاريع التربية والتعليم والتنمية المستدامة، ونبذ العنف والتطرف والإرهاب.

في يوم بارد من أيام شهر يناير لعام ٢٠١٧ سافرت "نايجيهان جوكتشك" مع أطفالها الخمسة، لزيارة زوجها المعتقل في سجن "سينجان" بأنقرة، وبعد دخولها السجن لزيارة زوجها تم اعتقالها، وظل أبناؤها بالسيارة خارج السجن، وفي الفيديو المنشور يخرج أكبر الأبناء وهو يبكي ويقول "نحن خمسة إخوة أصبحنا بمفردنا الآن (بعد اعتقال الأبوين)، وأحد إخوتي معاق، ماذا يمكننا أن نفعل؟ أنا أفوض هؤلاء الظلمة إلى عقاب الله" وفي نهاية اليوم يأتي أحد الأقارب ويأخذ الأطفال الخمسة من موقف انتظار السجن.

يقبع داخل السجون حتى ١١ أغسطس ٢٠١٩ ٨٦٤ طفلاً، أعمارهم أقل من ٦ سنوات، محتجزون مع أمهاتهم داخل السجون التركية نتيجة لحملة الاعتقالات التي نفذتها الحكومة ضد أفراد حركة "الخدمة"، منهم ١٤٩ طفلاً رضيعًا لم يتجاوز سنة من عمره.

يسلط هذا التقرير الضوء على الانتهاكات التي تمارسها الحكومة التركية ضد آلاف من أطفال المستهدفين من قبل السلطة الحاكمة، فالتمييز الذي يسود داخل المجتمع الآن، سيؤدي إلى حرمان هؤلاء الأطفال من فرص التعليم الجيد والعيش الكريم.

وبمعنى آخر فإن هؤلاء الأطفال لن يسهموا بصورة إيجابية في بناء مجتمعهم. فالقيود غير القانونية التي تواجه هؤلاء الأطفال ليست تقنية ولا متعلقة بقلة الموارد، إنها مسألة سياسية بامتياز. إن أكبر ضحايا الحملة التي تشنها الحكومة التركية ضد من يخالفها الرأي، هم أطفال هؤلاء المستهدفين، لذلك من الضروري توحيد الجهود لإنهاء التمييز ضد المعارضين، وضمان عدم ترك مئات الآلاف من الأطفال وراءهم من غير رعاية مناسبة.

وقد أوضحت "اتفاقية حقوق الطفل" التي اعتمدتها الأمم المتحدة وأقرتها الدول الموقعة عليها -ومنها تركيا- حقوق الإنسان الأساسية التي يجب أن يتمتع بها الأطفال في أي مكان ودون تمييز، وهذه الحقوق هي: حق الطفل في البقاء، والتطور والنمو إلى أقصى حد، والحماية من التأثيرات المضرة، وسوء المعاملة والاستغلال، والمشاركة الكاملة في الأسرة وفي الحياة الثقافية والاجتماعية.

وتتلخص مبادئ الاتفاقية الأساسية الأربعة في: عدم التمييز وتضافر الجهود من أجل المصلحة المثلى للطفل، والحق في الحياة والبقاء، والحق في النمو، وحق احترام رأى الطفل.

وبموافقتها على الالتزام (بتصديقها على هذا الصك أو الانضمام إليه)، تكون الحكومات الوطنية قد ألزمت نفسها بحماية وضمان حقوق الأطفال، ووافقت على تحمل مسؤولية هذا الالتزام أمام المجتمع الدولي.

وتُلزم الاتفاقية الدول الأطراف بتطوير وتنفيذ جميع إجراءاتها وسياساتها الداخلية على ضوء المصالح المثلى للطفل.

وقد حددت هذه الاتفاقية 50 نوعًا من أنواع التمييز ضد الأطفال، منها: التمييز ضدهم بناء على هوية أبويهم كما هو الحال في تركيا اليوم، حيث يمارَس ضدهم كل أشكال التمييز، مثل تعرضهم للتمييز على أساس الإعاقة الجسدية أو العقلية، وتسجيل المواليد، ومكان الإقامة، والصحة، وأحيانًا وبشكل أكثر خطورة التمييز ضدهم لعدد من الأسباب السابقة مجتمعة.

إن أي تحليل شامل وأي تكهنات حول التأثيرات طويلة المدى لانتهاك النظام التركي المتعمد للتشريعات المحلية واتفاقية حقوق الطفل، لن يستطيع التقرير التحدث عنها بصورة مفصلة، إلا أن التقرير يؤكد على أن تجاهل الوضع المزري لمئات الأطفال في تركيا، يضر بالكرامة الإنسانية وبحقوق الإنسان وبمستقبل تركيا.

الفصل الأول

خروقات السلطة التركية لمعاهدة حقوق الأطفال

يستعرض هذا الفصل مجموعة من المواد الحقوقية

nesemat.com نسيمات nesemat.com

إن النظام التركي قد وظَّف كافة الإجراءات الاستثنائية لتقليص حقوق الإنسان والانتقاص منها؛ حيث تعرض الأفراد الذين لهم صلة بحركة الخدمة لأنواع عديدة من الانتهاكات.

التي نصت عليها اتفاقية حقوق الطفل (CRC)، وكيف انتهك النظام التركي حقوق أطفال المستهدفين في الداخل التركي، أو أطفال الجالية التركية المقيمة خارج تركيا، لا سيما بعد محاولة الانقلاب الفاشل في 15 يوليو 2016.

المادة 2 من اتفاقية حقوق الطفل: عدم التمييز

تحترم الدول الأطراف الحقوق الموضحة في هذه الاتفاقية، وتضمنها لكل طفل يخضع لولايتها دون أي نوع من أنواع التمييز، بغض النظر عن عنصر الطفل أو والديه أو الوصي القانوني عليه، أو لونه أو جنسه أو لغته أو دينه أو رأيه السياسي أو غيره، أو أصله القومي أو الإثني أو الاجتماعي، أو ثروته، أو عجزه، أو مولده، أو أي وضع آخر.

وتتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة لتكفل للطفل الحماية من جميع أشكال التمييز، أو العقاب القائم على أساس آراء والدي الطفل، أو الأوصياء القانونيين عليه، أو أعضاء الأسرة، أو أنشطتهم، أو آرائهم المعبر عنها أو معتقداتهم.

وبالنظر في الحالة التركية؛ نجد أن النظام التركي منذ أن فرض حالة الطوارئ بعد محاولة الانقلاب الفاشلة في يوليو 2016 وحتى الآن، قد وظَّف كافة الإجراءات الاستثنائية لتقليص حقوق الإنسان والانتقاص منها؛ حيث تعرض الأفراد الذين لهم صلة بحركة الخدمة لأنواع عديدة من الانتهاكات، ولا سيما فيما يتعلق بالمساواة في المشاركة السياسية، والصحة، والتعليم، والعمل، والعدالة، كما واجهت عائلات وأطفال الأسر المتعاطفة مع حركة الخدمة ألوانًا من التهميش والتمييز المباشر وغير المباشر، انعكس أيضًا على الوضع الاقتصادي لأسرهم؛ فقد تم تهميشهم من المجتمع وعوملوا بصورة عنيفة ومهينة لا سيما في الأماكن التي يُحرم فيها الأفراد من حريتهم، مثل السجون، وكذلك في مرافق الرعاية الصحية. لقد لجأ النظام التركي إلى أساليب عديدة من العنف عن قصد ضد كل الأفراد المحبّين لحركة الخدمة أو المتعاطفين معها، وعاملهم بصورة غير إنسانية داخل السجون والهيئات الحكومية، بهدف بث الرعب والهلع في قلوبهم، وإرهاب كل من يتجرأ على معارضة الحكومة.

ولتجنب أشكال التمييز والاضطهاد والتعرض المستمر للضغوط داخل المدارس أو من الجيران، اضطر كثير من أطفال هؤلاء المستهدفين إلى تغيير اسم العائلة حتى لا يعتبروا من المنتمين إلى حركة الخدمة كما حدث لآبائهم.

كما أدى هذا الضغط النفسي والمجتمعي الشديد الذي تعرض له هؤلاء الأطفال، إلى حدوث عدد من الوفيات بين هؤلاء الأطفال.

المادة 6 من اتفاقية حقوق الطفل: الحق في الحياة والتنمية

تعترف الدول الأطراف بأن لكل طفل حقًّا أصيلاً في الحياة، وعليها أن تكفل إلى أقصى حد ممكن بقاء الطفل ونموه.

وبالنظر في الحالة التركية؛ نجد أن عددًا من أعضاء الحكومة التركية قد صرح عقب محاولة الانقلاب الفاشلة، بأن كل المنتمين لحركة الخدمة ليس لهم حق الحياة، كما تمت مناقشة تفعيل عقوبة الإعدام خاصة ضد المنتمين إلى الخدمة.

وقد كان لهذه الانتهاكات القانونية التي تعرض لها أفراد الخدمة والمتعاطفون معها انعكاسًا خطيرًا على أطفالهم، سواء في المدارس أو بمؤسسات الرعاية الطبية، وفي حالات عدة كان الضغط النفسي الذي تتعرض له النساء الحوامل يؤدي إلى فقد أجنّتهم، ولم يقتصر الأمر على هذا الحد فقد ألغت الحكومة الضمان الاجتماعي لأطفال المقبوض عليهم وزوجاتهم أو أزواجهم، وأصبح رفض المراكز الطبية والمستشفيات لحالات الأطفال المقبوض على آبائهم لعلاقتهم بحركة الخدمة أمرًا عاديًّا.

الأمر الأكثر رعبًا، ما أعلنه "زيد رعد آل حسين" رئيس المفوضية العليا لحقوق الإنسان في مايو 2016 معلقًا على وضع المواطنين في شرق تركيا: "لقد وردتنا رسائل تحذر من تدهور أوضاع حقوق الإنسان في شرق تركيا، من تعرض المواطنين العزل من انتهاكات على يد السلطات والقوات الخاصة"، ثم تابع قائلاً:

أكثر ما يثير القلق والفزع ما أوردته التقارير من تعرض مائة مواطن للحرق حتى الموت في أقبية ثلاثة منازل حاصرتها القوات الخاصة

nesemat.com نسمات nesemat.com

"هناك عدم معقولية لما تقوم به السلطات هناك، فتدمير المنازل ومنشآت البنية التحتية، لا يتناسب مع ما يجب أن تقوم به السلطات من الحفاظ على المنشآت العامة والخاصة". وأنهى تعليقه بقوله: "أكثر ما يثير القلق والفزع، ما أوردته التقارير من تعرض مائة مواطن للحرق حتى الموت في أقبية ثلاثة منازل حاصرتها القوات الخاصة".

المادة 7 من اتفاقية حقوق الطفل: حق الطفل في القيد والاسم والجنسية

لكل طفل حق القيد في السجلات الرسمية باسم تعترف به الدولة، ولكل طفل الحق في الحصول على الجنسية التي من خلالها ينتمي إلى الدولة.

وبالنظر في الحالة التركية؛ نجد أن النظام التركي أصدر في يناير 2017 -بموجب حالة الطوارئ- مرسوم قانون رقم 680 جاء في المادة 75 منه ما ينص على إضافة إجراءات جديدة لنزع الجنسية التركية، خاصة عن المواطنين الأتراك المقيمين خارج البلاد، طبقًا للمادة 29 من قانون الجنسية التركي.

وطبقًا للبيانات المتوافرة، فقد ذكرت "مؤسسة عديمي الجنسية" (ISI) أن تنفيذ المرسوم 680 من شأنه أن يؤدي إلى الحرمان التعسفي من الجنسية

للمواطنين الأتراك، في انتهاك واضح وصريح للمعايير الدولية. فطبقًا لـ"ISI" هذا المرسوم لم يصدر لسبب قانوني، وتأثيره سلبي حيث يؤدي إلى الإخلال بالحقوق الفردية، ويقوض مبدأ اليقين القانوني حيث يطبق بأثر رجعي، والأكثر خطورة عدم قدرة المواطنين على اللجوء إلى القضاء للتظلم من نزع الجنسية عنهم، كما لا يوجد ما يحمي من تحول هؤلاء المواطنين إلى عديمي الجنسية.

كما أضافت (ISI) أن خطر النزع التعسفي للجنسية، سيحرم الآباء من نقل الجنسية إلى أبنائهم، وهو ما يعدّ خرقًا واضحًا للمادة السابعة من معاهدة حقوق الطفل.

هذا وقد حُرم المواطنون الأتراك الذين يعيشون في الخارج منذ محاولة الانقلاب في 15 يوليو 2016 من الخدمات القنصلية، بالإضافة إلى إلغاء ومصادرة جوازات السفر، ورفض تمديد صلاحية جوازات السفر المنتهية، ورفض تقديم بطاقات الهوية أو جوازات السفر إلى الأطفال المولودين حديثًا خارج تركيا.

إن هذا بالتأكيد مشكلة يزداد خطرها باستمرار. فقد وثّقت مؤسسة الصحافيين والكتاب 113 حالة من حالات رفض جوازات السفر، وبطاقات الهوية للمواليد الجدد في 15 بلدًا اعتبارًا من أغسطس 2017.

وفيما يلي جدول بعدد المواليد الجدد والدول التي رفضت القنصليات التركية تسجيل هؤلاء المواليد فيها:

الدول	عدد المواليد الجدد
أفغانستان	21
الجزائر	3
الدومنيك	1
مانيمار	4
نيجيريا	24
الفلبين	3
مصر	6
جورجيا	4
إندونيسيا	7
العراق	26
المغرب	3
تونس	1
فيتنام	6
الهند	1
طاجكستان	3
الإجمالي	113

ويواجه الأطفال الذين يتعرضون لهذه الانتهاكات في بعض الدول، صعوبات في الحصول على الحقوق الأساسية، مثل التعليم والرعاية الصحية وحرية التنقل، وعديد من العقبات، بالإضافة إلى ما يعانونه من إحباط وخيبات للأمل قد يؤثر عليهم طوال حياتهم.

المادة 20 من معاهدة حقوق الطفل: حق الطفل في التمتع بالدفء العائلي

الأطفال المحرومون من التنشئة في جو أسري سليم، لهم الحق في الرعاية الخاصة والمناسبة من خلال أفراد يحترمون انتماءهم العرقي، والديني، والثقافي، واللغوي.

وبالنظر في الحالة التركية؛ نجد أنه في أواخر نوفمبر 2016، صرَّح مسؤول من وزارة الأسرة

والتضامن الاجتماعي بتركيا إلى وسائل الإعلام، بأن السلطات قد تنزع الأطفال من ذويهم إذا ثبت أن أولياء أمورهم من أنصار محاولة الانقلاب. معللاً ذلك بأنه: "لن يكون من الصواب بقاء الأطفال في حضانة من يثبت أنه ذو صلة بحركة الخدمة".

لم تتمكن مؤسسة الصحافيين والكتاب من إثبات صحة المعلومات الواردة من عدة مصادر حول مدى الآثار العملية لهذا التدبير. لكن في أعقاب تبني الحكومة لهذه السياسة، اتخذت السلطات خطوات ملموسة لتنفيذها؛ فقد ورد بأن السلطات قد تنزع الأطفال من ذويهم إذا ثبت أن أولياء أمورهم من أنصار محاولة الانقلاب.

المادة 23 من معاهدة حقوق الطفل: حقوق الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة

كل طفل من ذوي الاحتياجات الخاصة له الحق في الرعاية الخاصة والدعم حتى يستطيع أن يعيش حياة كاملة مستقلة آمنة وكريمة.

وبالنظر في الحالة التركية؛ تشير تقديرات الأمم المتحدة إلى وجود حوالي 8.5 مليون شخص من ذوي الاحتياجات الخاصة في تركيا، أو ما يقرب من 13% من مجموع السكان. ويحق للأفراد ذوي الإعاقة الحصول على مخصصات العجز التي يغطيها الضمان الاجتماعي، إلى جانب تمتعه بالمزايا التي تكفلها الإدارة العامة للمؤسسات. وتتضمن هذه المزايا سداد التكاليف والنفقات إما جزئيًّا أو كليًّا، وفقًا لإدارة الضمان الاجتماعي التي تم تسجيله بها.

nesemat.com نسمات nesemat.com

وثقت مؤسسة الصحفيين والكتاب 113 حالة من حالات رفض جوازات السفر، وجوازات الهوية للمواليد الجدد في 15 بلدًا اعتبارًا من أغسطس 2017.

كما يتم توفير الدعم التعليمي الحكومي للأطفال الذين يحتاجون إلى خدمات التعليم الخاص، بعد تقديم طلب إلى مركز الدراسات التوجيهية (Rehberlik Araştırma Merkezi) التابع لها.

وتعتبر الإجراءات العقابية ضد أطفال المقبوض عليهم، أو المفصولين بسبب صلاتهم المزعومة بحركة الخدمة من بين الأمور الأكثر سوءًا في قائمة طويلة من الانتهاكات والتجاوزات في تركيا ما بعد الانقلاب. حيث تقطع السلطة الدعم المالي الذي يستحقه هؤلاء الأطفال بصورة متعمدة، وفي بعض الأحيان يتم حرمان الأطفال ذوي الإعاقة من الحق في بيئة أسرية ويُتركون دون رعاية بعد اعتقال آبائهم. ومما يزيد الأمور سوءًا، تعرض بعض من ذوي الإعاقة للاعتقال بدعوى المشاركة في محاولة الانقلاب الفاشلة. كل ذلك بخلاف الإغلاق التعسفي لعدد من مؤسسات الرعاية الصحية المتخصصة في رعاية ذوي الإعاقة بدعوى مشاركتها في الانقلاب.

المادة 24 من معاهدة حقوق الطفل: حق الطفل في الرعاية الصحية

لكل طفل الحق في رعاية صحية جيدة، وماء صالح للشرب، وطعام صحي، وبيئة نظيفة وآمنة، وتزويدهم

تعتبر الإجراءات العقابية ضد أطفال المقبوض عليهم، أو المفصولين بسبب صلاتهم المزعومة بالخدمة من بين الأمور الأكثر سوءًا في قائمة طويلة من الانتهاكات والتجاوزات في تركيا ما بعد الانقلاب.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

بالمعلومات اللازمة للحفاظ على صحتهم.

لقد أشار تقرير البنك الدولي في مايو 2016 إلى أن "التأمين الصحي الشامل (UHI) إلزامي في تركيا. "فكل شخص يجب أن يكون مُؤمّنًا عليه إما بنفسه أو تحت رعاية مؤمَّن عليه. وتشمل فوائد التأمين الشامل العلاج الطبي وعلاج الأسنان، بما في ذلك الرعاية الصحية الوقائية، والرعاية في حالات الطوارئ، والاستشارات الطبية، وإعادة التأهيل، وغيرها من الخدمات الطبية".

وبالنظر في الحالة التركية؛ نجد أنه في أعقاب محاولة الانقلاب الفاشل 15 يوليو 2016، تم تجميد الحسابات المصرفية للمفصولين من أعمالهم أو المحتجزين، وخفض رواتبهم، وإلغاء تأمينهم الصحي، وفقدوا جميع المزايا المتعلقة بعملهم الحكومي. وبعد ثلاثة أشهر من تاريخ الفصل يتوقف التأمين الصحي لهؤلاء ويُطالبون بسداد أقساط التأمين. وبحرمانهم من هذا الحق، وعجزهم عن دفع أقساط التأمين الصحي بسبب تجميد حساباتهم المصرفية وتخفيض رواتبهم، لا يتمكنون من دفع تكاليف الرعاية الصحية، وقد أجرت منظمة العفو الدولية مقابلات مع بعض هذه الحالات، وسجلت المعاناة التي تواجههم في هذا الصدد.

فقد تم وقف المزايا الاجتماعية لأزواج أو أطفال الوالدين المحتجزين والموقوفين، بسبب صلات مزعومة بحركة الخدمة. كما فرضت الحكومة مزيدًا من القيود على الوصول إلى الرعاية الصحية عن طريق إغلاق المستشفيات، وغيرها من مرافق الرعاية الصحية والعيادات والصيدليات بدعوى صلاتها بحركة الخدمة، فقد حدد مرسوم الطوارئ الأول رقم 667 إغلاق 35 عيادة ومستوصف صحي خاص. واعتبارًا من أغسطس 2017 تم فصل 6887 طبيبًا وآخرين ممن يعملون في وزارة الصحة. وخلال نفس الفترة تم فصل عديد من الأكاديميين بلغ عددهم 8573 من أخصائي الرعاية الصحية.

وحتى أكتوبر 2016 استبعدت مؤسسة الضمان الاجتماعي التركية (SGK) ما لا يقل عن 400 صيدلية من نظامها الإلكتروني الذي يمكنها من بيع الأدوية وتلقي المدفوعات من الدولة. وأفادت التقارير أن آلاف الصيدليات الأخرى قيد التحقيق بدعوى علاقتها بحركة الخدمة، وبتهمة المشاركة في "محاولة الانقلاب"، ورغم عدم وضوح كيفية مشاركة هذه الصيدليات في محاولة الانقلاب، إلا أن النظام التركي يضع هذه الذريعة لمعاقبة خصومه ومعارضيه والزج بهم في المعتقلات أو على أقل تقدير حرمانهم من حقوقهم الطبيعية.

وتطال أزمة الظروف الصحية ونقص الرعاية

الطبية 864 طفلاً من الأطفال المحتجزين في السجون مع أمهاتهم، وهو ما يمثل مصدر قلق، بسبب عدم إمكانية حصول هؤلاء الأطفال على الرعاية الطبية والجسدية اللازمة من نظافة ومياه شرب نظيفة وتدفئة وتهوية ملائمة وإضاءة مناسبة في ظل ظروف المعتقلات التي تكتظ بالمعتقلين إثر محاولة الانقلاب الفاشلة. وبينما لا تشير مواد معاهدة حقوق الطفل لعام 1989 (CRC) إلى زواج الأطفال بنص صريح، إلا أن البند الثالث من المادة 24:

ينص على ضرورة اتخاذ جميع التدابير الفعالة والملائمة بغية إلغاء الممارسات التقليدية التي تضر بصحة الأطفال. وهذا يتضمن حق الأطفال في الحماية من مثل هذه الممارسات الضارة مثل زواج الأطفال.

وبالنظر إلى الوضع التركي؛ نجد أن الجهود التي بذلت مؤخرًا لإصدار تشريع تمييزي ضد المرأة لم تقتصر على مراسيم الطوارئ فحسب؛ ففي يوليو 2016 ألغت المحكمة الدستورية التركية مواد من القانون الجنائي تصنف جميع الأفعال الجنسية مع الأطفال دون سن الخامسة عشرة على أنها اعتداء جنسي، وهي خطوة تمهد الطريق أمام الحكومة لطرح مشروع قانون الاغتصاب الخاص بالأطفال الذي يثير جدلاً كبيرًا.

وقد أثارت هذه الخطوة من قبل المحكمة، جدلاً مكثفًا حول العلاقات الجنسية مع الأطفال دون السن القانونية أو الشروع في ممارسة الجنس مع الأطفال دون سن الثانية عشرة. وهو ما أثار غضب المجتمع

تقرير لمنظمة العفو الدولية صدر بمايو 2017 يؤكد على أن طرد أكثر من 100 ألف عامل في القطاع العام التركي كان تعسفيًا وأدى إلى تأثير كارثي على حياتهم وسبل عيشهم.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

الدولي وكل المنظمات المهتمة بحقوق الأطفال، كما أدى إلى توترات دبلوماسية بين تركيا ودول الاتحاد الأوروبي وخاصة دولتي السويد والنمسا.

فقد عرض حزب العدالة والتنمية مشروع قانون اغتصاب الأطفال لاعتماده في البرلمان، وينص هذا القانون المقترح على أن يتم العفو عن المغتصبين للقصر إذا ما تزوجوا بضحاياهم. ووفقًا لنواب الحزب فهذا المشروع سيعالج المضاعفات السلبية لاغتصاب القاصرات.

وقد أثارت مسودة مشروع القانون هذا احتجاجات في كل أنحاء تركيا شاركت فيها أحزاب المعارضة قبل وبعد الموافقة عليها في القراءة الأولية بالبرلمان. وقال المنتقدون إنها ستضفي الشرعية على الاغتصاب القانوني وتشجع اتخاذ الأطفال عرائس، وأكدت الأمم المتحدة في بيان لها أن هذا القانون سيضعف قدرة الدولة التركية على مكافحة الاعتداء الجنسي وزواج الأطفال، كما أنه سيخلق تصورًا مجتمعيًّا لقبول مرتكبي انتهاكات حقوق الطفل هذه، وسيزيد من خطر تعرض مزيد من الأطفال لانتهاك حقوقهم خاصة إذا تم تزويجهم من مغتصبيهم.

في يوليو 2016 ألغت المحكمة الدستورية التركية مواد من القانون الجنائي تصنف جميع الأفعال الجنسية مع الأطفال دون سن الخامسة عشرة على أنها اعتداء جنسي.

nesemat.com نسمات nesemat.com

المادة 27 من معاهدة حقوق الأطفال: حق الطفل في مستوى معيشي لائق

لكل طفل الحق في العيش بمستوى لائق يضمن له تلبية احتياجاته البدنية والنفسية، والحكومة عليها أن تساعد العائلات والأولياء غير القادرين على توفير المعيشة اللائقة لأطفالهم، وبصورة خاصة تزويدهم بالطعام والملبس والمسكن.

وبالنظر إلى الوضع التركي؛ نجد تقرير منظمة العفو الدولية الصادر في مايو 2017 يؤكد على أن "طرد أكثر من 100 ألف عامل في القطاع العام التركي كان تعسفيًّا وأدى إلى تأثير كارثي على حياتهم وسبل عيشهم. فعشرات الآلاف من الأشخاص، بما في ذلك الأطباء وضباط الشرطة والمدرسون والأكاديميون والجنود، الذين وصفوا بأنهم "إرهابيون"، وممنوعون من الخدمة العامة، يكافحون الآن من أجل تغطية نفقات معيشتهم؛ فبالإضافة إلى عزلهم من وظائفهم تعسفيًّا لم يعودوا قادرين على إيجاد فرصة عمل مناسبة بعدما تم تشويه سمعتهم ونعتهم بـ"الإرهابيين".

والعاملون في القطاع العام الذين ارتبطت منازلهم بعملهم، كان فصلهم يعني -أيضًا- فقدانهم وأسرهم مساكنهم. هذا فضلاً عن إلغاء الحكومة لجوازات سفرهم مما أدى إلى استبعاد إمكانية عملهم في الخارج؛ أي أنهم أصبحوا عاجزين عن إيجاد العمل في وطنهم الأم، ومحرومين في الوقت نفسه من السفر للعمل بالخارج.

وقد استخدمت الحكومة أساليب غير مفهومة ولا يمكن تبريرها لتدمير حياة المواطنين؛ مثل الحرمان المتعمد من الموارد اللازمة للبقاء، كالغذاء والخدمات الطبية التي تتوفر لبقية السكان. بل لقد تمادت الحكومة في الإجحاف فحتى أولئك الذين يحاولون مساعدة هؤلاء "المنبوذين" يعانون أيضًا من العواقب. فقد تم اعتقال اثني عشر رجل أعمال في مارس 2017 في محافظة "قيصري"، لجمعهم مساعدات إنسانية للعائلات التي تضررت من جراء القمع المستمر ضد المنتمين للخدمة.

وقد كان لإجراءات الحكومة التركية تأثير مدمر على حياة ومعيشة مئات الآلاف من العائلات، وخاصة الأطفال الذين حرموا بشكل كبير من حقهم في مستوى معيشة لائق، بل حرموا من تلبية الحد الأدنى من احتياجاتهم البدنية والنفسية.

المادة 28 من معاهدة حقوق الطفل: حق الطفل في التعليم

لكل طفل الحق في التعليم الأساسي ويجب أن يتاح بصورة مجانية، كما يجب تشجيع الشباب على إكمال تعليمهم والوصول إلى أقصى مرحلة تعليمية يستطيعون الوصول إليها.

ووفقًا للدستور التركي لعام 1982 لا يمكن حرمان أي فرد من حقه في التعليم. والتعليم الابتدائي إلزامي ومجاني في المدارس العامة، ومؤسسات التعليم الابتدائي متاحة للجميع دون تمييز على أساس اللغة والعرق والجنس أو الاعتقاد الفلسفي والديني.

وبالنظر إلى الوضع التركي؛ ونجد أنه قبل محاولة الانقلاب الفاشلة 15 يوليو 2016 ومراسيم القوانين اللاحقة، استهدفت الحكومة قطاع التعليم في البلاد من خلال مجموعة من الإجراءات الضارة بالفعل. فقد تم إغلاق آلاف المؤسسات التعليمية منذ عام 2015 من خلال تدابير غير قانونية ومخالفة للدستور. واستهدفت الحكومة بشكل خاص المدارس التحضيرية، والعدد الحالي للتحقيقات والمحاكمات وعمليات الفصل والاحتجاز والحملات الموجهة ضد المعلمين والأكاديميين في جميع أنحاء البلاد، صادم. هذا بالإضافة إلى مؤسسات التعليم العالي؛ فقد تم إغلاق 2.099 مؤسسة تعليمية في جميع أنحاء تركيا، بما في ذلك مئات المدارس الخاصة (K-12)، وتمت مصادرة جميع أصولها المالية وتحويلها إلى وزارة الخزانة. كل إجراءات إغلاق الآلاف من المؤسسات أدت إلى إجبار أكثر من 128.000 طالب على إنهاء دراستهم أو الانتقال إلى مدارس أخرى.

وقد واجه الطلاب في هذه المدارس عواقب خطيرة جراء إغلاق مدارسهم، فقد تم طردهم من هذه المؤسسات بموجب مراسيم الطوارئ. وتم فصل 44.385 مدرسًا وموظفًا إداريًا آخرين من مناصبهم

استهدفت الحكومة قطاع التعليم في البلاد من خلال مجموعة من الإجراءات الضارة بالفعل. فقد تم إغلاق آلاف المؤسسات التعليمية منذ عام 2015 من خلال تدابير غير قانونية ومخالفة للدستور.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

بصورة تعسفية وغير دستورية استنادًا فقط إلى قرارات سياسية وإدارية. وقد تعرضت حياة المفصولين هؤلاء لأضرار بالغة لا سيما على الجانب الاقتصادي، وأثّر سلبًا على حياة أسرهم وأطفالهم، وأثّر على مستقبل ما يقرب من 1.5 مليون طالب، والأهم من ذلك الأثر السلبي على مستوى التعليم في تركيا.

وعلاوة على ما سبق، فإن أسماء المفصولين قد نُشرت في قوائم على الإنترنت، وهي جزء من سجل الشخص المرئي لدى كل مؤسسات الدولة، وهو ما أدى إلى ضغوط نفسية إضافية على هؤلاء الأفراد من قبل المجتمع. وقد صرحت إحدى الأمهات لمنظمة العفو الدولية بأن ابنها لم يعد يرغب في الذهاب إلى المدرسة، لأن الأطفال الآخرين يتنمرون عليه ويهاجمونه قائلين: "إن والدتك إرهابية وخائنة للوطن". وفي حادثة أخرى ذكرت سيدة أخرى لمنظمة العفو الدولية أن ابنتها عندما تقدمت للحصول على منحة دراسية في إحدى المدارس التركية، أخبرتها السلطات في أثناء المقابلة الشخصية أنها مرفوضة في المنحة لأن أمها "إرهابية".

وفي النهاية، فقد بات من الواضح للجميع أن الحزب الحاكم في تركيا ومنذ قيادته للبلاد منذ 17

إن الحزب الحاكم في تركيا ومنذ قيادته للبلاد منذ 15 عامًا، كان يسعى بصورة مستمرة ومنظمة لأدلجة التعليم، ويعد هذا التغيير في السياسات التعليمية أمرًا حاسمًا بالنسبة لحكومة أردوغان لتعزيز أجندة الإسلام السياسي.

nesemat.com نسمات nesemat.com

عامًا، كان يسعى بصورة مستمرة ومنظمة لأدلجة التعليم ومؤسساته، وهو ما أعلن عنه الرئيس أردوغان صراحة عندما أطلق على مشروعه التعليمي هذا "الأجيال المتدينة" أو الجيل الديني الملتزم، مشيرًا إلى الهوية الدينية المرتبطة بحزبه، والتي يريد تعميمها على النظام التربوي في تركيا بشكل عام. وقد انعكست بالفعل النتائج العملية لهذه الأيديولوجية على التعليم في تركيا من خلال زيادة الطلاب الملتحقين بمدارس "الأئمة والخطباء" الدينية، والتي قدرتها الإحصاءات بـ 15 ضعفًا عن مثيلاتها في الأعوام السابقة. وليس خافيًا أن الحزب الحاكم يعتبر أن طلاب هذه المدارس هي الكوادر التي سيتشكل على أساسها حزب العدالة والتنمية. ويعد هذا التغيير في السياسات التعليمية أمرًا حاسمًا بالنسبة لحكومة أردوغان لتعزيز أجندة الإسلام السياسي، وهي قاعدة خصبة للعناصر المتطرفة. والمحصلة كانت التغير السلبي في نسيج المجتمع التركي نتيجة تغيير فهم الدين وتحويله لأيديولوجية سياسية.

المادة 37 من معاهدة حقوق الأطفال: (الاحتجاز والعقاب)

لا يعرض أي طفل للتعذيب، أو لغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة.

وبالنظر إلى الوضع التركي؛ نجد أنه قُبيل محاولة الانقلاب التي جرت في 15 يوليو 2016 كانت السجون التركية بالفعل مزدحمة وكانت المحاكم تنظر قضايا متراكمة. وبعد المحاولة الانقلابية الفاشلة سرعان ما اكتظت السجون في الأيام والأسابيع الأولى التي أعقبت هذه المحاولة، وبات كثير من المعتقلين يتناوبون النوم في أماكن عامة خصصتها السلطات للاحتجاز، وغالبًا دون فراش. كما استخدمت السلطات الساحات الرياضية والخيام المؤقتة وغيرها من مرافق الاحتجاز غير الرسمية لإيواء عشرات الآلاف من الأشخاص الذين اعتقلوا فيما يتصل بمحاولة الانقلاب.

ثم قامت الحكومة التركية بحملة تصفية وعزل في أعقاب 15 يوليو 2016 تعد الأكبر في تاريخ تركيا، بلغت حتى بداية مايو 2018 -بحسب موقع Turkey Purge 151.967 حالة فصل و136,995 شخصًا معتقلين. وتستند هذه الأرقام على مراقبة مراسيم الطوارئ الحكومية والتقارير الأخرى الواردة من مصادر رسمية.

كما أعربت مؤسسة الصحافيين والكتاب عن شعورها بالقلق بشكل خاص إزاء حالة الأطفال المحتجزين في السجون التركية مع أمهاتهم والبالغ عددهم 668 دون سن السابعة وفقًا لوزارة العدل التركية في أغسطس 2017، كما أن العدد في تزايد

مستمر، حتى بلغ عدد الأطفال المحتجزين مع أمهاتهم 705 في بداية شهر مايو 2018 ، وليصل الرقم في 11 أغسطس 2019 إلى 864 طفلاً دون سن السابعة محتجزين مع أمهاتهم داخل السجون التركية.وقد تفاوتت أعمار هؤلاء الأطفال المسجونين، فوفقًا لبيانات مؤسسة الصحافيين والكتاب عن أعمار هؤلاء المسجونين من الأطفال نجد البيانات الآتية:

السن	الذكور	الإناث	الإجمالي
دون سن السنة	79	70	149 طفلاً
سنة واحدة	73	87	140 طفلاً
سنتان	67	57	124 طفلاً
ثلاث سنوات	32	55	117 طفلاً
أربع سنوات	35	42	٧٧ طفلاً
خمس سنوات	22	22	44 طفلاً
ست سنوات	3	3	6 طفلاً
غير معلوم أعمارهم	8	3	11 طفلاً
الإجمالي	344	324	668 طفلاً

الفصل الثاني

نماذج من انتهاكات حقوق الأطفال في تركيا

إن الحوادث والحالات التي سنوردها ليست سوى أمثلة على نمط أوسع بكثير من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الطفل في تركيا، وهو ما أكدته التقارير الإعلامية المختلفة بما في ذلك وسائل الإعلام الموالية للحكومة. ففي ظل حكومة حزب العدالة والتنمية تتزايد انتهاكات حقوق الإنسان يوميًّا. ويتم تجاهل المبدأ القانوني الدولي القائل بأن "المتهم برئ حتى تثبت إدانته"، وخاصة فيما يتعلق بأفراد حركة الخدمة أو المتعاطفين معها، والمحصلة أن الأمهات والأطفال والرضع يعانون في السجون دون أي سبب قانوني مشروع، حيث يتم احتجازهم بشكل تعسفي لشهور أو سنوات دون توجيه اتهام.

ووفقًا لعلماء النفس فإنه لا ينبغي احتجاز الأطفال والرضع في السجن تحت أي ظرف من الظروف، لأن النمو في بيئة غير صحية كهذه، يسبب اضطرابات شخصية طويلة الأمد في نفوس الأطفال، ومنها فوبيا الخوف من التجمعات، بالإضافة إلى مشاكل أخرى تتعلق بإدراك الطفل ووعيه.

وبسبب الأوضاع المزرية التي آلت إليها السجون في تركيا بعد محاولة الانقلاب الفاشلة في يونيو 2016، تحولت هذه الزنازين إلى أماكن غير مناسبة وغير إنسانية، وظروفها الصحية بالغة السوء بالنسبة للبالغين؛ فكيف بالأطفال والرضع المحتجزين فيها؟

إن عدم وجود مساحة شخصية تخص الطفل في أثناء نشأته، يؤدي إلى مشاكل في الثقة بالنفس، ومن ثم فإن الأطفال الذين ينشؤون مع أمهاتهم في السجن، من المحتمل جدًّا أن يصابوا بمتلازمات اضطرابية تتمثل في بعض السلوكيات العدوانية والميل إلى العنف.

وقد توافرت شهادات عديدة من معتقلين ومعتقلات داخل السجون، وآخرين وأخريات تم الإفراج عنهم، تُصور بعضًا من الظروف القاسية غير الإنسانية داخل السجون والمعتقلات التركية، ففي رسالة أرسلتها معتقلة تم الإفراج عنها مؤخرًا، إلى TR724 المستقلة، تحدثت عن أساليب التعذيب

قامت الحكومة التركية بحملة تصفية وعزل في أعقاب 15 يوليو 2016 تعد الأكبر في تاريخ تركيا، بلغت حتى بداية مايو 2018 151,967 حالة فصل، و 136,995 شخصًا معتقلين.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

المختلفة التي مارستها الشرطة ضدها، بما في ذلك الخنق بالأكياس البلاستيكية في مركز شرطة أنقرة لإرغامها على الإدلاء بشهادتها ضد حركة الخدمة.

كما وردت رسالة عن حالة أخرى كان يتم فيها تعذيب السيدة المعتقلة بحرمانها من رضيعها الذي لم يتجاوز شهرين، وعدم السماح لها بإرضاعه إلا مرة واحدة فقط طوال اليوم. وقد أجبرتها الشرطة على الاعتراف بأنها مذنبة، والتوقيع على شهادة بذلك من خلال تهديدها بتعذيب زوجها، وإبعاد رضيعها عنها نهائيًا، ووضعه في دار إيواء للأيتام. كما وصفت الرسالة أيضًا ما تعرضت له سيدة حامل من إجهاض، نتيجة لما تعرضت له من ظروف صعبة في أثناء احتجازها لستة أيام دون انقطاع.

أولاً: نماذج انتهاك المادة (6) من اتفاقية حقوق الطفل: الحق في الحياة والتنمية

حالة فرقان ديزدار:

فرقان ديزدار كان يبلغ من العمر 12 عامًا وكان مصابًا بمرض السرطان، ولم تسمح له السلطات بالسفر لتلقي العلاج، لأن أبويه ممنوعان من السفر بمرسوم طوارئ. توفي فرقان ديزدار في السابع من فبراير 2017 نتيجة لمنعه من حقه في السفر لتلقي العلاج بالخارج.

حالة طفل "أ.م" و "م.م":

اعتقل الأب "أ.م" رغم ظروفه الصحية، فهو مصاب باللوكيميا (سرطان الدم)، ويعاني من فقدان رؤية بنسبة 80% بإحدى عينيه، وبسبب المعاملة غير الإنسانية داخل السجن، وتعنت إدارة السجن ورفضها تلقيه العلاج، فقد الكثير من وزنه. أما الأم "م.م" فقد اعتقلت وهي في فترة الحمل، وفي ظل اعتقال الوالدين بدون أدلة وبدون محاكمة عادلة، بقي طفلهم ذو الثماني سنوات وحيدًا دون حنان أو رعاية أبوية.

حالة عائشة سنا:

الطفلة عائشة ذات العامين مصابة بـ "متلازمة داون"، كان والدها يعمل ضابط شرطة قبل أن يقبض عليه ويوضع بالسجن في أكتوبر 2016، ثم اعتقلت والدتها بعد شهر واحد من اعتقال والدها. أثَّر فقدُ الوالدين بسبب اعتقالهما على الحالة الصحية للطفلة بصورة سلبية؛ فظهرت عليها أعراض المرض الذهني والنفسي بالإضافة إلى ازدياد نسبة التخلف العقلي وتفاقم حالة القلب، وتدهور عام في الصحة شمل الفشل الكلوي الحاد، والفشل الحاد بالجهاز التنفسي، وحموضة الدم، والالتهاب الرئوي الجرثومي، وقصور الغدة الدرقية، وارتفاع ضغط الدم المزمن وتعفن الدم.

وقد وضعت الطفلة بالعناية المركزة بالمستشفى

دون أن يكون بجانبها أحد من والديها المحتجزين من غير مبرر أو سند قانوني، وقد تقدمت الأم مرارًا بطلبات للتواجد مع طفلتها في المستشفى لرعايتها، لكنها لم تتلق أية ردود من السلطات، وبقيت الطفلة في العناية المركزة بالمستشفى محرومة من رعاية أبويها، في هذه الأوقات العصيبة.

حالة أطفال ويسل كزيل كايا:

اعتقل ويسل كزيل كايا في مدينة "ريزا" في نوفمبر 2016 تاركًا وراءه زوجته وثلاثة أطفال يعانون اقتصاديًا لفقد عائلهم، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد عانى الأطفال من اضطرابات نفسية نتيجة فقد والدهم، فابنه ذو السبع سنوات فقد القدرة على الكلام، وابنته ظهرت عليها أعراض اضطراب الانتباه وتشتت التركيز.

حالة فاتح ومجتبى أوز:

مصطفى وأمل أوز زوجان كانا يعملان مدرسين في المدارس العامة، تم اعتقالهما تعسفيًا دون أي دليل مشروع على التوقيف. أودع السيد مصطفى في سجن مدينة "نو شهير"، بينما سجنت زوجته في سجن مدينة "مانيسا" على مدار الأشهر الماضية، تاركين وراءهم ثلاثة أطفال (فاتح، مجتبى، سامي) في رعاية جدهم البالغ 80 عامًا، ويعيش في مدينة "قيصري". تكمن المشكلة في أن فاتح ذا الـ18 عامًا، ومجتبى ذا الأربعة أعوام، كلاهما مصابان بالتوحد الشديد (نسبة التوحد لديهما 90%)، وكلاهما يحتاج إلى دواء يومي وعناية خاصة.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

وفقًا لعلماء النفس فإنه لا ينبغي احتجاز الأطفال والرضع في السجن تحت أي ظرف من الظروف، لأن النمو في بيئة غير صحية كهذه يسبب اضطرابات شخصية طويلة الأمد.

لقد كان من الصعب على الجد ذي الثمانين عامًا رعاية ثلاثة أطفال، اثنان منهم بحاجة إلى رعاية خاصة. وهو ما جعل الجد يقدم تقارير طبية إلى المحكمة لإطلاق سراح الأبوين، لكنه لم يتلق أي رد حتى الآن.

حالة حكمت أوزتورك:

أحمد أوزتورك كان يعمل قائدًا في الشرطة، قبض عليه في 22 يوليو 2014، في ذلك الوقت كانت زوجته عائشة جول أوزتورك حاملاً، كانت تنتظر أمام مركز الشرطة المحتجز فيه زوجها، وتتابع جلسات محاكمته في المحكمة، وبسبب الإجهاد والضغوط البدنية والنفسية ساءت حالتها الصحية وفقدت حملها، ثم تدهورت صحتها العقلية والبدنية بوتيرة متسارعة لتتوفى في 8 سبتمبر 2014 داخل المشفى.

وبوفاة الأم بقي طفلهما "حكمت أوزتورك" في رعاية جدته لأمه، وقد أبطلت السلطات إذن زيارة هذه الجدة مع حفيدها حكمت، لرؤية والده في معتقله، وبذلك حُرم الطفل وأبوه من حقهما في التواصل.

حالة الرضيع عاصم سنجار:

سُجن الرضيع عاصم ذو الشهرين لمدة ستة أشهر مع والدته في سجن أريغلي، وبسبب تعرض والدته

فرقان ديزدار كان يبلغ من العمر 12 عامًا وكان مصابًا بمرض السرطان، ولم تسمح له السلطات بالسفر لتلقي العلاج، توفي في السابع من فبراير 2017 نتيجة لمنعه من حقه في السفر لتلقي العلاج بالخارج.

nesemat.com نسمات nesemat.com

لصدمة نفسية جراء سجنها لم تستطع إرضاعه بصورة منتظمة، مما دعاها إلى طلب مكملات غذائية ضرورية لتغذية الرضيع، إلا أن إدارة السجن تعنتت معها ورفضت طلبها، مما كان له أثره السلبي على تغذية الرضيع ونموه.

حالة ماهر مردان:

هو واحد من 864 من الأطفال المحبوسين مع أمهاتهم في سجون تركيا المختلفة، وهو محتجز منذ ما يزيد عن سنة إلى الآن في سجن تارسوز، في زنزانة سعتها 26 سجينة، ولكن يقبع بها 70 سجينة اليوم، وفضلاً عن ذلك، فقد منع الطفل "ماهر" من حقه في التغذية السليمة، بعدما رفضت السلطات طلب الأم للمكملات الغذائية اللازمة لنمو الطفل.

ثانيًا: نماذج انتهاك المادة (23) من اتفاقية حقوق الطفل: حقوق الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة

حالة الطفلين عمر سيف الدين وطوبى جاكماك:

فصل "سيف الدين" من عمله حيث كان مدعيًا عامًا بمرسوم طوارئ، ثم ألقي القبض عليه لاحقا في 17 يوليو 2016 وأودع سجن "كوجالي"، ثم نقل إلى سجن "سيليوري" بإسطنبول، فبقيت زوجته بمفردها ترعى طفلين مصابين بإعاقة تصل نسبتها إلى 98%، وازداد الوضع سوءًا بإلغاء السلطات مزايا خدمات الرعاية الصحية التي كانت تقدم لهؤلاء الأطفال.

ولم تستطع الأسرة استعادة هذه الحقوق إلا بعد رفع دعوى أمام محكمة الاستئناف، التي قررت بطلان قرار السلطات بوقف هذه الحقوق والمزايا. ولحاجة الطفلين إلى رعاية مستمرة على مدار اليوم، وعدم قدرة الزوجة على ترك الأولاد والاتجاه إلى العمل لتأمين مصاريف هذه الرعاية الضرورية، تقدمت بطلبات عديدة إلى المحكمة لإطلاق سراح زوجها إلى حين محاكمته، إلا أن رد المحكمة كان صادمًا حيث رفضت طلبات إطلاق السراح وأوصت بإيداع الأطفال دور رعاية الأيتام فاقدي الأبوين.

ثالثًا: نماذج انتهاك المادة (24) من اتفاقية حقوق الطفل: حقوق الرعاية الصحية

حالة الطفل محمد سليم سلجوك:

اعتقلت "بتول" والدة الطفل محمد سليم سلجوك، والتي كانت تعمل مدرسة للفيزياء ومعها طفلها الذي لم يتجاوز الخمسة أشهر، كما اعتقل والده أيضًا. أصيب الطفل بمضاعفات أدت إلى احتياجه إلى إجراء عملية جراحية بإحدى عينيه نتيجة حرمانه من حقه في الرعاية الطبية، ونظرًا لأن إجراء هذه العملية يحتاج إلى موافقة الوالدين فلم يتمكن من إجرائها أيضًا، لأن الوالدين كليهما محتجزان، وتعذر الحصول على موافقتهم.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل لقد تأثر الطفل سلبًا ببقائه في السجن على المستوى النفسي والإدراكي بسبب طبيعة الجو العام بالسجن، وأبسط مثال على ذلك منع السلطات إدخال أية ألعاب يتسلى بها الطفل، ورغم مطالبات الأم المتكررة بإطلاق سراحها وطفلها نظرًا لعدم وجود أي أقارب يرعون الطفل، فإن السلطات لم تستجب لأي من هذه الطلبات واستمرت في تعنتها.

مصرع أحمد جانيك:

فاتح جانيك فصل من عمله كقاضٍ بالمحكمة الإدارية، وتم القبض عليه وحبسه لاحقًا ورغم إقامته بمحافظة "أفيون" إلا أن السلطات أودعته سجن "كهرمان مراش"، مما أجبر الأسرة على قطع مئات الكيلومترات ذهابًا وإيابًا، وفي إحدى مرات هذه الزيارة لقي طفله أحمد جانيك مصرعه وهو يعبر الطريق للذهاب إلى زيارة والده.

حالة ابنة مناب أراس:

مناب أراس كان سائقًا، في 9 سبتمبر 2016 احتُجز في إغدير بشكل تعسفي، ثم اعتقل في سجن كارس في 23 سبتمبر 2016. أصيبت ابنته بسرطان نخاع العظام، مما اضطرها إلى ترك المدرسة لتلقي العلاج. كانت الطفلة تسافر من إغدير إلى أرضروم مرتين في الأسبوع. وكانت الأسرة تعاني من مصاعب اقتصادية مما جعلها تستدين لسداد تكاليف الرعاية الطبية وشراء الدواء من الخارج. بعد اعتقال الوالد، لم تتمكن الأسرة من سداد ديونها، كما أوقفت السلطات مزايا

nesemat.com نسمات nesemat.com

بلغ عدد الأطفال المحتجزين مع أمهاتهم 705 في بداية شهر مايو 2018، وليصل الرقم في 11 أغسطس 2019 إلى 864 طفلاً دون سن السابعة محتجزين مع أمهاتهم داخل السجون التركية.

الضمان الاجتماعي. وبذلك حرمت ابنة مناب أراس -لسوء الحظ- من العلاج والرعاية الصحية.

حالة بتول أكداغ:

تم القبض على الطفلة بتول أكداغ ذات العامين والنصف مع والدتها، وتم الزج بهما في سجن مدينة بوجا في 27 أبريل 2017، كما اعتقل والد الطفلة أيضًا، وكانت الأم ملك أكداغ تعمل مدرسة في إحدى المدارس العامة، الطفلة بتول مصابة بمرض القلاع وهو عبارة عن التهاب فطري في الفم، ورغم أن من حق الطفلة الحصول على الدواء اللازم، إلا أن إدارة السجن لم توفر العلاج اللازم لها وتعنتت معها.

حالة سنا أوصلو:

اعتُقلت أويا أوصلو في مدينة كوجه إيلي في 9 أكتوبر 2016. ووجه لها اتهام لا دليل عليه، فقد اتهمت بالتطوع في معرض خيري نظمه بيت الطالبات في أثناء دراستها الجامعية بقونيا عام 2011. سُجنت أويا مع طفلتها البالغة من العمر 3 أشهر. تعاني طفلتها "سنا" من نقص حادٍّ في التغذية أدى إلى فقدانها كثيرًا من وزنها الطبيعي لدى الأطفال الرضع. تقدمت والدتها بطلبات متعددة إلى إدارة السجن

الطفل ماهر مردان منذ ما يزيد عن سنة إلى الآن في سجن تارسوز، في زنزانة يقبع بها 70 سجينة، كما منع من حقه في التغذية السليمة، بعدما رفضت السلطات طلب الأم للمكملات الغذائية اللازمة لنمو الطفل.

nesemat.com نسمات nesemat.com

لتزويدها بالمكملات الغذائية اللازمة، أو السماح لها بإدخال المكملات الغذائية على حسابها من الخارج، لكن مع رفض مسؤولي السجن هذه الطلبات المتكررة رغم أهميتها وضرورتها اللازمة لصحة الرضيعة تدهورت حالتها الصحية وازداد وضعها سوءًا.

حالة حفصة شينار:

ألقي القبض على صاديجة شينار هي ورضيعتها حفصة شينار في 15 مايو 2017، وأودعت في المعتقل بشكل تعسفي دون أي دليل أو محاكمة، ونتيجة لسوء الرعاية الصحية في السجن أصيبت طفلتها حفصة بمشاكل في الكلية، وأشارت التقارير الطبية بضرورة إجراء عملية جراحية على وجه السرعة، ورغم تقديم الأم طلبات متكررة للإفراج المشروط عنها لرعاية طفلتها والإشراف على علاجها، إلا أن مسؤولي السجن تجاهلوا طلبها، حتى تدهورت صحة طفلتها.

رابعًا: نماذج انتهاك المادة (37) من اتفاقية حقوق الطفل: الاحتجاز والعقاب

حالة جينا جينار:

اعتُقلت زينب جينار والدة الطفلة جينا جينار، ونُقلت إلى سجن شَكران مع زوجها في أكتوبر 2016. وظلت الطفلة جينا ذات الـ 12 شهرًا مع والدتها داخل السجن، ولم يكن من المسموح لها رؤية والدها إلا خلال ساعات الزيارة، ثم تقوم إدارة السجن بإعادة الطفلة إلى والدتها بعد الزيارة. وقد تقدمت الوالدة بطلبات متكررة للإفراج المشروط عنها لرعاية طفلها لكنها لم تتلق ردًّا حتى اليوم.

حالة الرضيع مراد ميجي:

أوزليم ميجي أستاذة التاريخ في إحدى المدارس الإعدادية التي أغلقت بموجب مرسوم الطوارئ بعد محاولة الانقلاب الفاشل، تم اعتقالها في 3 أكتوبر 2016 بناء على اتهامات زائفة وبدون أي دليل بزعم صلاتها بحركة كولن وعملها في مدرسة تابعة للحركة. "أوزليم" كانت حاملاً عند اعتقالها وبعد يوم واحد من الولادة في المستشفى أُعيدت "أوزليم" ومولودها "مراد" إلى السجن الذي لا يمثل بيئة صحية لطفل حديث الولادة، ولا لأمٍّ عقب حالة ولادة.

احتجاز أطفال "ب. ك" وزوجته:

جعلت حالة الطوارئ وقوانين مراسيم الطوارئ تهديد مسؤولي السجن لأطفال السجناء وأفراد أسرهم أمرًا مشروعًا. و"ب.ك" مثال مؤسف على مثل هذه التهديدات. "ب.ك" فصل من وظيفته الحكومية في كوتاهيا، وسجن لمدة سبعة أشهر. ورغم أن الفحوصات الطبية التي تسلمتها الشرطة تشير إلى أنه مصاب بمرض الانسداد الرئوي المزمن، فقد أرسله الضباط مع 24 سجينًا آخرين من الضحايا إلى سجن يستوعب ثمانية أشخاص كحد أقصى ليسجنوا

جميعًا فيه.

في 2 مارس 2017، اقتحم رجال الشرطة منزله بحثًا عن أشياء أو مستندات غير قانونية. لم تكن في المنزل أية عناصر إجرامية، إلا أن قائد الشرطة أمر الضباط باحتجاز زوجة "ب. ك" وأطفاله حتى يتمكنوا من العثور على أدلة يمكن استخدامها ضد الأسرة. كان ابن "ب. ك" طالبًا في المدرسة الثانوية، وابنته طالبة جامعية، لم تستطع إكمال مسيرتها الدراسية بسبب عجز الأسرة عن توفير النفقات اللازمة لها.

حالة عمر جليكبيلك:

تم القبض على "خديجة كبرى جليكبيلك" خلال الموجة الثانية من حملات الشرطة في مدينة "دنيزلي"، واتُهم عديد من الأشخاص بمن فيهم المدرسون وربات البيوت ورجال الأعمال الصغيرة بـ"دعم منظمة إرهابية ماليًا". وتم القبض عليها دون توجيه أي اتهام، وأُجريت محاكمتها بعد عدة أشهر. كان طفلها عمر ذو الثمانية أشهر المرافق لوالدته في السجن في وضع سيء لا يلائم الأطفال الرضع في عمره، وبعد طلبات متكررة من الأم وافقت المحكمة هذه المرة على إطلاق سراح الطفل -وحده- بسبب الظروف غير الصحية داخل السجن، وتم تسليمه لبعض الأقارب ليعهدوا بالعناية به.

الفصل الثالث

شهادة حية لأحد ضحايا سجن بكير كوي للنساء

في سياق صياغة هذا التقرير، جمعت مؤسسة

إن حالة الطوارئ وقوانين مراسيم الطوارئ جعلت تهديد مسؤولي السجن لأطفال السجناء وأفراد أسرهم أمرًا مشروعًا.

nesemat.com نسمات nesemat.com

الصحافيين والكتاب أدلة على عدة حالات يظهر من خلالها ما تعانيه الأمهات مع أطفالهن من محنة في السجون، وقد قامت المؤسسة بفحص دقيق، ووجدت أن معظم الادعاءات متسقة وذات مصداقية. تم اختيار الحالة التالية لأنها الأكثر إيضاحًا من بين تلك الحالات، وذلك لأنها مفصَّلة، والضحية ليس لديها أطفال في السجن، كما تم دعم روايتها بمعلومات من مصدر آخر. وقد حجبت مؤسسة الصحافيين والكتاب اسم الضحية والمعلومات الشخصية الخاصة بها، مثل التواريخ والأوقات ومكان الاحتجاز والمهنة، لحمايتها وحماية أسرتها من تداعيات شهادتها. وسيشار إليها هنا باسم "الضحية".

احتجزت "الضحية" في إسطنبول، وتم نقلها إلى سجن باكير كوي النسائي في أعقاب محاولة الانقلاب بتهم تتعلق بالإرهاب، تحت زعم أنها متعاطفة مع حركة الخدمة، قضت عدة أشهر في سجن باكير كوي للسيدات ووصفت ظروف الاحتجاز بأنها "مروعة". ووفقًا لما أخبرت به فإن غرف الاحتجاز كانت تستوعب من 3-5 سيدات، وجميع عنابر السجن كانت في الطابق الأرضي ولا تدخلها الشمس،

nesemat.com نسيمات nesemat.com

يقتحم رجال الشرطة المنازل بحثًا عن أشياء أو مستندات غير قانونية. وفي حال لم يجدوا شيئاً، يقوم قائد الشرطة باحتجاز الزوجة والأطفال حتى يتمكنوا من العثور على أدلة يمكن استخدامها ضد الأسرة.

فالنساء المحرومات من حرياتهن كن يعتمدن فقط على النور المتسرب إلى الزنازين من الممر. لم يُسمح للنساء بحيازة أي ممتلكات، واضطررن للاستحمام في دورات مياه يستخدمها الرجال والنساء معًا. كما اضطرت هي ونساء أخريات إلى صنع وسائد من ملابسهن الخاصة، وكانوا يستخدمون ورق الفوم المقوى أسرَّة للنوم ويجلسون عليها أثناء النهار، لأنه لم يكن في الزنزانة أي شيء آخر. كان الطعام المعلَّب المقدم للمحتجزات "بشعًا" ورائحته كريهة للغاية. وتذكر أنه في زنزانتها كانت هناك امرأة حامل وسيدة تُرضع طفلها. ونظرًا للظروف السيئة كان الجميع يدعون باستمرار من أجل إطلاق سراحهم أو نقلهم إلى سجن خيالي تكون الظروف فيه أفضل.

لم يكن في الزنزانة التي كانت محتجزة بها أطفال، لكن الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 6 سنوات كانوا "ينضمون" مؤقتًا لزيارة أمهاتهم في السجن لعدة أيام. ولكن على كل حال في نظر الكثيرين، لم يكن من الحكمة أن يقضي الأطفال أي وقت داخل السجن مع الأخذ في الاعتبار الظروف غير الإنسانية داخل السجون. كان يسمح في كل أسبوع لامرأة واحدة بإدخال طفلها معها داخل السجن ويسمح لها بطلب المزيد من التغذية الضرورية للطفل من الحليب والبيض والجبن. وقد كان للضحية نفسها صديقات ذوات أطفال معها في السجن؛ إحدى المسجونات كان لديها ولد عمره 3 سنوات، وأخرى لديها فتاة عمرها 4 سنوات، وأخرى لديها فتاة تبلغ من العمر 5 سنوات، وكان الأطفال يزورون أمهاتهن من وقت لآخر.

كان الضغط النفسي على الأطفال في السجن مدمرًا وكانوا يطرحون باستمرار السؤال تلو الآخر عن سبب إغلاق البوابات، كانوا يتساءلون عن سبب عدم السماح لأي شخص بالخروج والأبواب مغلقة طوال الوقت. وكانت الفكرة السائدة بين الأطفال هو أن المكان عبارة عن مستشفى وأن أمهاتهم مجرد مرضى، وقد تعززت هذه الفكرة لدى الأطفال برؤية بعض السجينات لديهن أدوية يتناولنها، وكانوا يعتقدون جازمين أن المكان هو مستشفى. ومع ذلك، كان هناك أطفال آخرون لا يمكنهم رؤية أمهاتهم والتحدث معهن إلا من خلف الجدار الزجاجي، وكان من الصعب للغاية شرح الموقف لهؤلاء الأطفال.

كانت الأمهات "يغذين" هذه الفكرة لدى أطفالهن ويحاولن "إقناع" أطفالهن بأن الأجنحة عبارة عن غرف للمرضى وعليهم البقاء فيها للعلاج. والعديد من ضابطات الشرطة المحتجزات كن يخبرن أطفالهن بأنهن في وظائفهن ولا يمكنهن المغادرة إلا بعد انتهاء مهمتهن. وكانت الضحية وغيرها من

المحتجزات يقمن بشراء الحلوى والفواكه من كافتيريا السجن عندما يجيء الأطفال لزيارة أمهاتهن.

كانت النساء يقمن بكل ما في وسعهن حتى لا يتذكر الأطفال السجن على أنه مكان سيء، والحقيقة أنه لم يكن بوسعهم سوى الدعاء وشراء الحلوى والفواكه، ولم يكن الأمر ينجح دائمًا وأحيانا كان يظهر على بعض الأطفال أعراضٌ نفسية خطيرة، فعلى سبيل المثال أحد أطفال صديقة للضحية عندما جاء إلى السجن لم يكن يتحدث مع أحد سوى أمه، ولم يكن يتركها ولو للحظة، كان دائمًا متشبثًا بها، يمسك بذراعها أو ساقها حتى لا تتركه. ولكن بعد قضاء أسبوع واحد أو نحو ذلك في السجن بدأ يتحدث إلى نساء أخريات.

كان الأطفال الذكور يميلون إلى أن يكونوا أكثر قربًا من أمهاتهم المحتجزات مقارنة مع الإناث حيث كن أكثر راحة وانفتاحًا مقارنة بالأطفال الذكور. لكن في النهاية، كان جميع الأطفال -من الذكور والإناث- قلقين للغاية وحريصين على عدم فقدان أمهاتهم مرة أخرى.

وهذا رابط ليفيديو تعرض فيه صحفية تركية كانت مسجونة في سجون النظام التركي، لمأساة النساء الأسيرات مع أطفالهن في هذه السجون.

النتائج والتوصيات

إن الأطفال في تركيا هم أكبر ضحايا التصفيات التعسفية التي تقوم بها الحكومة التركية ضد أفراد حركة الخدمة والمتعاطفين معها داخل تركيا وخارجها.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

الفكرة السائدة بين الأطفال المرافقين لأمهاتهم بالسجون، هو أن المكان عبارة عن مستشفى وأمهاتهم مجرد مرضى، وقد تعززت هذه الفكرة لدى الأطفال برؤية بعض السجينات لديهن أدوية يتناولنها.

فالأطفال الذين فُصل آباؤهم عن أعمالهم ثم اعتقلوا، يواجهون مشاكل خطيرة بدنيًا ونفسيًا، ويعانون من التأثيرات السلبية لقرارات الحكومة، أما الأطفال المحبوسون في السجون مع أمهاتهم فحالتهم أصعب؛ فهم محرومون من حقوقهم بلا ذنب، ولا يتمكنون من الحصول على حقوقهم الضرورية من التعليم أو الرعاية الصحية المناسبة، هذا بالإضافة إلى الضغط النفسي الذي يعاني منه الأطفال بسبب ممارسات المجتمع السلبية ضدهم التي تشحنها وسائل الإعلام الموالية للحكومة، ووصف أبويهم أو أحدهما الذي لم تثبت ضده أي اتهامات بعد بأنه إرهابي.

إن حق الأم في الصحة، من بين المحددات الرئيسية لصحة الطفل بجوار التغذية والتنمية، ويجب على الحزب الحاكم وكذلك الأحزاب الأخرى السعي الحقيقي من أجل خفض معدل وفيات الأطفال الأتراك. ولكن مع الأسف، فقد زادت وفيات الرضع في أعقاب محاولة الانقلاب بسبب الظروف القاسية المفروضة على الأمهات قبل وفي أثناء الحمل وفي فترة ما بعد الوضع مباشرة. هذا فضلاً عن العواقب السلبية الوخيمة على نمو هؤلاء الأطفال

الأطفال الذكور يميلون إلى أن يكونوا أكثر قربًا من أمهاتهم المحتجزات مقارنة مع الإناث حيث كن أكثر راحة وانفتاحًا مقارنة بالأطفال الذكور. لكن جميع الأطفال قلقين للغاية.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

الناتجة عن حبسهم مع أمهاتهم في السجن، وتأثيره الشديد على حقه الإنساني في النمو.

وبناء على المعطيات السابقة، فإنه يتوجب على الحكومة التركية -بموجب التزاماتها بالمواثيق الدولية- أن تتخذ بعض القرارات الهامة وعلى وجه السرعة ومن أهمها:

اتخاذ جميع التدابير اللازمة لإبطال جميع الإجراءات غير القانونية والإدارية وضمان عدم التمييز ضد الأطفال الذين فصل آباؤهم أو سجنوا بسبب صلات مزعومة بحركة الخدمة.

الأخذ في الاعتبار مصلحة الطفل بصورة أساسية في كل ما يتم تنفيذه من إجراءات، لا سيما الأطفال المحرومون من حقهم في الحرية والمحتجزون مع أمهاتهم.

الاسترشاد بالمعاهدات الدولية في معاملة الأطفال، كالمبادئ المنصوص عليها في معاهدة حقوق الطفل، بالإضافة إلى اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة وغيرها من المواثيق والمعاهدات الدولية ذات الصلة.

وفقًا لمبادئ القانون الدولي لحقوق الإنسان، يجب ضمان عدم حرمان أي طفل -بغض النظر عن هوية والديه- من حقه في الحصول على خدمات الرعاية الصحية. فينبغي توفير الخدمات الصحية وغيرها من الخدمات لأطفال الأفراد المفصولين أو المحرومين من حريتهم في أعقاب محاولة الانقلاب، وكذلك يجب أن يكون الوصول إلى تلك الخدمات بلا تمييز.

توفير الرعاية الصحية وضمان فوائد واستحقاقات الرعاية الاجتماعية لجميع الأطفال الذين يحتاجون إلى رعاية وقائية، وبغض النظر عن المعتقدات السياسية لآبائهم أو ما إذا كانوا ضحايا لعمليات التطهير التعسفي بعد محاولة الانقلاب الفاشل.

ينبغي إتاحة الوصول إلى الخدمات الصحية الوقائية والعلاجية لجميع الأطفال والنساء الذين لديهم أطفال يرعونهم داخل السجون، بما في ذلك رعاية مرضى السرطان والإعاقات البدنية والعقلية.

يجب منح الجنسية لجميع الأطفال المولودين لمواطنين أتراك، والذين لم يُسجلوا، وبالتالي حرموا من حقهم في الجنسية.

طبقًا لقواعد الأمم المتحدة لمعاملة السجينات والتدابير غير الاحترازية للنساء المذنبات (قواعد معاهدة بانكوك) ينبغي أن يتم إصدار أحكام غير احتجازية بحق الحوامل والنساء اللواتي لديهن أطفال يعتمدن عليهن بصورة رئيسية. ■

الهوامش

(1) Source: Implementation Handbook for the Convention on the Rights of the Child, UNICEF, 2008.

(2) اُعتمدت هذه الاتفاقية وعُرضت للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة 25/44 المؤرخ في 20 تشرين الثاني/نوفمبر 1989، وبدأ

نفاذها بتاريخ: 2 أيلول/سبتمبر 1990، وفقا للمادة 49.

(3) https://turkeypurge.com/imprisoned-journalists-children-changes-surname-amid-peer-pressure.

(4) B.N.M., a high school student committed suicide on October 24, 2016, by jumping to her death from the walls of the Boyabat Fortress (Northern Turkey) after being reportedly bullied by classmates and teachers over her father's alleged links to the Hizmet Movement.

(5) See https://turkeypurge.com/3-year-old-child-with-fever-denied-treatment-as-father-under-arrest-over-gulen-links.

(6) Office of the High Commissioner for Human Rights, Need for transparency, investigations, in light of "alarming" reports of major violations in South-East Turkey – High Commissioner Zeid, May 10, 2016.

(7) Turkish Citizenship Law, Law No. 403, 11 February 1964, available at: http://www.refworld.org/docid/4496b0604.html (unofficial translation).

(8) http://www.institutesi.org/news/Policy-brief-Turkey-arbitrary-deprivation-of-nationality_2017.php.

(9) Ibid.

(10) https://www.turkishminute.com/2016/11/28/turkish-govt-may-remove-children-families-backed-coup/.

(11) https://turkeypurge.com/turkish-govt-removes-child-from-foster-family-over-gulen-links

(12) https://turkeypurge.com/government-cuts-off-funds-for-disabled-child-over-fathers-gulen-links.

(13) See for example: https://turkeypurge.com/autistic-children-left-unattended-as-teacher-parents-under-arrest-over-alleged-coup-links. https://turkeypurge.com/mother-with-disabled-son-daughter-detained-over-alleged-coup-involvement.

(14) https://turkeypurge.com/even-disabled-son-was-arrested-in-bylock-operation-woman-decries-witch-hunt.

(15) For more see: https://turkeypurge.com/13-health-clinics-2-disability-associations-shuttered-in-new-govt-decree.

(16) World Health Organization (WHO), Strategic planning for health: a case study from Turkey, 2015, p. 2.

(17) Amnesty International, no end in sight: Purged public sector workers denied a future in Turkey, p. 15. https://www.amnesty.org/en/documents/ eur44/6272/2017/en/

(18) See https://turkeypurge.com/3-year-old-child-with-fever-denied-treatment-as-father-under-arrest-over-gulen-links.

(19) راجع تقرير نسمات السادس بعنوان: "تصفية ممنهجة للقطاع الصحي في تركيا"، يوليو 2019.

(20) Source: TurkeyPurge. https://turkeypurge.com/turkey-takes-400-pharmacies-out-of-prescription-system-over-gulen-links

(21) https://stockholmcf.org/turkish-government-put-705th-baby-behind-bars-on-childrens-day/

(22) https://www.unicef.org/media/media_93338.html.

(23) Amnesty International, No end in sight: Purged public sector workers denied a future in Turkey, https://www.amnesty.org/en/documents/eur44/6272/2017/ en/.

(24) Primary Education Law-İlk.ğretim ve Eğitim Kanunu, Article 6.

(25) Amnesty International, No end in sight: Purged public sector workers denied a future in Turkey, p. 15. https://www.amnesty.org/en/documents/eur44/6272/2017/en/.

(26) https://stockholmcf.org/turkish-government-put-705th-baby-behind-bars-on-childrens-day/

(27) https://turkeypurge.com/turkey-sends-another-kid-to-prison-with-mother-bringing-total-to-864-hdp-deputy

(28) https://www.youtube.com/watch?v=d-ANFoUgzv0&feature=youtu.be

(29) See Committee on the Elimination of Discrimination against Women, general recommendation No. 24 (1999) on women and health, Official Records of the General Assembly, Fifty-fourth Session, Supplement No. 38 (A/54/38/Rev.1), chap. I, sect. A.

تصفية ممنهجة للقطاع الصحي في تركيا

نسمات
للدراسات الاجتماعية والحضارية

أعد التقرير

نسمات (nesemat.com) إصدارة ورقية بحثية متخصصة في الدراسات الاجتماعية والحضارية في إطار مجموعة من المحاور المتعلقة بمشاريع الإصلاح وقضايا التجديد وحوار الأديان والثقافات والحضارات وقيم نشر التسامح والعيش المشترك والسلام العالمي، ومشاريع التربية والتعليم والتنمية المستدامة، ونبذ العنف والتطرف والإرهاب.

شهدت تركيا في الخامس عشر من يوليو لعام ٢٠١٦ حدثًا مروعًا وتاريخيًا، خلال ما بدا أنه محاولة انقلاب عسكرية، حيث تعرض البرلمان التركي للقصف، وفقد المئات من المدنيين والجنود حياتهم، يبدو أن هذه المحاولة قد خطط لها ونفذت بلا احترافية لذا سُحقت هذه المحاولة سريعًا، وقد سارع الرئيس رجب طيب أردوغان إلى استخدام هذه المحاولة الفاشلة ذريعة لشن حملة غير مسبوقة على خصومه السياسيين وعلى الصحافة الحرة الموجودة، ممهدًا بذلك الطريق أمامه لتعزيز سلطاته. في هذا التقرير، سوف ندرس ثلاث روايات عن محاولة ١٥ يوليو. رواية السلطة الحاكمة التي عبر عنها أردوغان وحكومته، ورواية التحالف العريض، ورواية التواطؤ التي عبر عنها المراقبون.

مقدمة

شهد القطاع الصحي في تركيا تراجعًا غير مسبوق في تاريخ تركيا، ففي عام 2016 أغلقت السلطات 50 مستشفى ومركزًا علاجيًا[1]، بل لقد وصل الأمر إلى إغلاق بعض المستشفيات العامة في إسطنبول وأنقرة. وقد تم كل هذا بمرسوم قانون لم يخضع للمراجعة الإدارية أو يعرض على الهيئات القضائية المختصة. وقد كانت الذريعة الجاهزة دومًا لإغلاق كل هذه المستشفيات والعيادات الطبية هو علاقتها المزعومة بحركة كولن.

وقد ترتب على ذلك أن بقي بلا عمل كثير من الجراحين من ذوي الشهرة والكفاءة، وعدد كبير من الأطباء المعروفين بتمكنهم في تخصصاتهم، إلى جانب مجموعة كبيرة من العاملين في قطاع التمريض والتقنيين ممن كانوا يعملون في هذه المؤسسات.

وقد طالت عمليات الاعتقال التي تنتهجها الحكومة بعد 15 يوليو 2016 كثيرًا من هؤلاء بتهم إرهاب ملفقة، كما اضطر الباقون ممن لم تعتقلهم الحكومة إلى الفرار خوفًا من بطش السلطة وتعسفها، وصاروا لاجئين في بلاد مختلفة يعانون أوضاعًا سيئة من النفي والتشريد والبعد عن عائلاتهم وذويهم.

وقد أسهم غياب العدالة القضائية، بسبب خضوعها لسيطرة السلطة التنفيذية، والتعذيب البدني والنفسي الممنهج داخل السجون والمعتقلات إلى لجوء هؤلاء إلى خيار الفرار بطرق خطيرة أودت بحياة البعض منهم، حتى لا يتعرضوا لهذه الاعتداءات المتعمدة التي رصدتها -في تقاريرها- المنظمات الحقوقية المعتبرة العاملة في مجال حقوق الإنسان.

إن السلطة الحاكمة في تركيا حاليًا ترفض باستمرار الإعلان عن الإحصاءات الحقيقية للمعتقلين من كافة التخصصات ولا سيما العاملين في القطاع الصحي، إلا أن مركز ستوكهولم للحرية قد قام بإحصاء رصد فيه تعرض أكثر من 21.000 حالة من العاملين في القطاع الصحي، لعمليات اضطهاد بصور وأشكال متعددة.

فلقد تم القبض على 2.337 من الأطباء الأكاديميين من كبار الأساتذة المتميزين والمتمكنين في تخصصاتهم[2]، 1.679 منهم كانوا يعملون في كليات الطب الحكومية، بالإضافة إلى 1.684 طبيبًا آخرين كانوا يعملون في المستشفيات الحكومية، و1.200 طبيب آخر كانوا يملكون عيادات طبية تم إغلاقها فجأة. ولكن العدد الأكبر من الضحايا هم من العاملين في المجال الطبي من غير الأطباء، وعددهم الإجمالي 11.821 تم تسريحهم من وظائفهم، منهم 5.821 كانوا يعملون في القطاع الطبي الحكومي، فضلاً عن 4000 آخرين كانوا يعملون طواقم طبية في المستشفيات.

لقد وضعت الحكومة خطة مسبقة لسد العجز في القطاع الطبي الذي يشهد نقصًا حادًا في الموارد البشرية بحلول عام 2024[3]، ولكنها بعد هذه الإجراءات التعسفية في حق هؤلاء العاملين بالقطاع الصحي بشكل عام فقد أسهمت في تفاقم هذه

إن إغلاق مستشفيات ومراكز طبية علاجية وبحثية وكليات طب بصورة قانونية، والقبض على المتخصصين في المجال الطبي، يستهدف كل وجهة نظر مختلفة عما تتبناها الحكومة.

nesemat.com نسمات nesemat.com

المشكلة، ولقد أكد ذلك وزير الصحة التركي "أحمد دميرجان" بإعلانه أمام البرلمان في نوفمبر 2017، بأن الحكومة تسعى لسد العجز في هذا القطاع خلال عشر سنوات[4]، كما أضاف أنه في خلال خمسة أو ستة أعوام ستقوم الحكومة بسد هذا العجز في أعداد المتدربين.

ولا تتوقف المعاناة التي يتعرض لها هؤلاء الأطباء المفصولون عند حد الإعفاء من وظائفهم، فبسبب وسمهم بتهمة الإرهاب، وعجزهم عن دفع هذه التهم عن أنفسهم إداريًّا أو قضائيًّا، عجزوا عن إيجاد وظائف لهم في القطاع الخاص، وقليل من المحظوظين الذين وجدوا عملاً أبلغوا بأنهم عوملوا بعنصرية واحتقار.

لقد قام مركز ستوكهولم للحرية بإجراء مقابلات مع العديد من هؤلاء الأطباء، والعاملين في قطاع الصحة الذين استطاعوا الهروب من تركيا، وتبين أنهم يواجهون تحديات شديدة منها: النقص في الموارد المالية، وكذلك صعوبة الاعتراف بشهاداتهم الطبية، كما تمثل اللغة عائقًا لديهم بالإضافة إلى الاختلاف الثقافي، وصعوبة دخولهم سوق العمل في البلد الذي لجأوا إليه. كما أنهم ما زالوا يعانون من الضغوط النفسية التي واجهتهم أثناء هروبهم من تركيا.

تسبب الفصل التعسفي لهؤلاء الأطباء واعتقال كثير منهم بدون أدلة في تداعيات سلبية أخرى تتعلق هذه المرة بالمرضي؛ فقد حرم كثير من المرضى في بعض المناطق من الأطباء المتخصصين الذين يعالجونهم ويشرفون على حالاتهم المرضية بسبب إغلاق المستشفيات في مناطقهم، مما اضطرهم إلى السفر إلى مناطق أخرى بحثًا عن أطباء يعالجونهم، أو التعامل مع أطباء جدد ليتابعوا معهم الحالة المرضية من جديد، بدلاً من الأطباء المتخصصين الذين كانوا يتابعون حالاتهم ممن فصلوا أو اعتقلوا، وفضلاً عما يسببه هذا من أذى نفسي للمريض، فهو يمثل إهدارًا لحقوقه المقررة له طبقًا للقانون[5]. ويثبت هذا التقرير أن كثيرًا من المرضى منعوا من التواصل مع الأطباء الذين كانوا يتابعون حالتهم الصحية لسنوات.

إن التدهور في الرعاية الصحية قد امتد إلى المرضى في السجون والمعتقلات، ففي الوقت الذي يعاني فيه هؤلاء المعتقلون أوضاعًا إنسانية صعبة تفرض الحكومة شروطًا صعبة من أجل نقل المرضى منهم إلى المستشفيات لتلقي العلاج الطبي اللازم وخاصة المعتقلين السياسيين منهم؛ حيث تمارس السلطة هذه الإجراءات التعسفية ضدهم نوعًا من العقاب المعنوي والاضطهاد. فقد تقدم كثير من المرضى المعتقلين في سجون أردوغان بشكاوى كثيرة إلى اتحاد الأطباء الأتراك يحتجون على صعوبة وصول

العلاج لهم، وعدم تمكنهم من إجراء الفحوصات الطبية اللازمة في ظل حالة الطوارئ التي فرضت على عموم الأتراك منذ يوليو 2016[6].

إن إغلاق المستشفيات وكليات الطب الخاصة والمراكز الطبية، يعد انتهاكًا لحقوق المؤسسات الحرة التي يكفلها الدستور[7]. لقد كانت هذه المؤسسات الطبية التي أغلقت تقوم بأعمال خيرية عابرة للقارات، فكثير من الأطباء الذين كانوا يعملون بها أجْروا عددًا هائلاً من العمليات الجراحية المجانية في عدد من الدول التي تفتقد الرعاية الطبية المتطورة. والمؤسف أنه بعد تفحص الملفات القضائية وعرائض الدعوى لهؤلاء الأطباء، اكتشف أن سفريات الأطباء لهذه الدول وإجراءهم عمليات جراحية مجانية كان من ضمن الأدلة التي قيدت ضدهم، بل واعتبرتها المحكمة دليلاً جنائيًا كافيًا لإدانة هؤلاء الأطباء بالإرهاب.

أولاً: الأطباء

أعلن وزير الصحة عن فصل 7.500 من العاملين في مجال الصحة ضمن عملية التطهير الجماعي التي تمارسها الحكومة[8]، 252 فقط من هؤلاء تم إعادتهم إلى وظائفهم الحكومية[9].

وفي ظل حالة الطوارئ التي كانت مفروضة على البلاد عقب أحداث 15 يوليو 2016 أغلقت الحكومة 14 مستشفى خاصًا و36 مركزًا طبيًا، وأغلقت 9 كليات طب وصيدلة بدعوى وجود علاقة تربطها بحركة الخدمة. لم تقدم الحكومة دليلاً واحدًا على

nesemat.com نسمات nesemat.com

لقد وصفت منظمة العفو الدولية الفصل التعسفي الذي يشهده القطاع الصحي الحكومي في تركيا بأنه "إبادة جماعية"

قيام أي من هذه المؤسسات بأي عمل يخالف القانون ولا حتى مخالفة إدارية، هذا كله كان عبارة عن عملية انتقام ممنهجة يقودها الرئيس التركي رجب أردوغان ضد مجموعات العمل المدني والأهلي التي يراها تنتقد ما يقوم به من ممارسات غير ديمقراطية.

طبقًا للمديرية العامة للبحوث الصحية، فهناك 144.827 طبيبًا في تركيا، منهم 86.332 يعملون في وزارة الصحة، و30.642 يعملون في الجامعات، بينما 27.853 يعملون في القطاع الخاص[10]. وطبقًا لمرسوم القانون الذي أصدرته الرئاسة التركية، فُصل تعسفيًا 1.697 طبيبًا أكاديميًا، وهم يمثلون 6% من مجموع الأطباء الأكاديميين العاملين في كليات الطب. وهؤلاء وإن كان عددهم قليلاً إلا أن قيمتهم عالية، فأغلبهم من كبار الأساتذة ورؤساء الأقسام الطبية، فضلاً عن أن 1.684 طبيبًا من العاملين في وزارة الحصحة التركية قد تم فصلهم تعسفيًا أيضًا.

أما فيما يتعلق بالقطاع الخاص فالصورة أكثر قتامة، فأكثر من 1.200 طبيبًا أصبحوا بلا عمل فجأة عندما قررت الحكومة إغلاق مستشفياتهم الخاصة ومراكزهم الطبية، كما فقد 675 طبيبًا أكاديميًا عملهم عندما أُغلقت كليات الطب الخاصة

العدد الأكبر من الضحايا هم من العاملين في المجال الطبي من غير الأطباء، وعددهم الإجمالي 11.821 تم تسريحهم من وظائفهم، منهم 5.821 كانوا يعملون في القطاع الطبي الحكومي، فضلاً عن 4000 آخرين كانوا يعملون كطواقم طبية في المستشفيات.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

المرتبطة بمشاريع الخدمة، كما تأثر 5.261 طبيبًا وأكاديميًّا وعاملاً في قطاع الصحة من هذه الإجراءات التعسفية. إنه لمن المؤلم حقًّا رؤية دولة لديها نقص في الأطباء، وفي قطاع العاملين في الصحة، تفصل تعسفيًّا خيرة أطبائها، وتضيع كفاءاتها لمجرد أن آراءهم تخالف توجهات الحزب الحاكم.

هذه التصفية العامة والجماعية تحمل عواقب وخيمة للأطباء؛ فمن الصعب جدًّا حصولهم على عمل في مجال تخصصهم، لا سيما بعد ما تم التشهير بأسمائهم في وسائل الإعلام، وبعضهم توجه للعمل في مجالات أخرى غير تخصصه لتأمين لقمة العيش لأبنائهم. لقد وصفت منظمة العفو الدولية الفصل التعسفي الجماعي الذي يشهده القطاع الصحي الحكومي في تركيا بأنه "إبادة ممنهجة" وعاقبتها كارثية على العاملين ومعيشتهم. وعقبتْ بالقول: "إن الفصل العشوائي للموظفين العموميين بصورة جماعية وفي جو تشوبه الضبابية بدعوى ارتباطهم بمنظمة إرهابية من غير أدلة حقيقية وملموسة على هذا الادعاء، وعدم إعطائهم حق الدفاع عن أنفسهم، خروجٌ عن قواعد القانون التركي والدولي"[11].

كما علقت مفوضية فينسيا على قرارات الفصل هذه بقولها: "من حق الموظف العام أن يعرف الأدلة التي تثبت تورطه في الجريمة التي يُدَّعى أنه ارتكبها، ومنح الموظف فرصة الدفاع عن نفسه فيما يتعلق بالتهم الموجه إليه قبل أن يصدر قرار فصله"[12].

بينما ما حدث هو أن الموظفين الذين تم فصلهم وجدوا أسماءهم منشورة في الجريدة الرسمية في مرسوم قانون بالفصل دون أن يعرفوا سبب فصلهم وعلى أي دليل استند هذا الفصل، كما مُنعوا من الوصول إلى ملفاتهم بدعوى أنها ملفات سرية محظور الاطلاع عليها.

ولم يكن الفصل من العمل وصعوبة إيجاد فرصة عمل بديلة هي المعاناة الوحيدة التي تعرض لها هؤلاء الأطباء والموظفون المفصولون؛ بل تعرض عديد من الأطباء إلى الاعتقال ونالهم من الأذى الجسدي والنفسي في معتقلاتهم ما أكدته كثير من المنظمات الحقوقية المهتمة بالوضع التركي. ومن لم تطله أيدي النظام الباطشة قرر الفرار من تركيا بصورة غير شرعية بعدما ألغت الحكومة جوازات سفر أغلبيتهم.

وفي تبريره لتلك الإجراءات التعسفية التي تقوم بها حكومته ضد الأطباء قال الرئيس أردوغان: "الأطباء كغيرهم عليهم أن يدفعوا ثمن ما ارتكبوه من أخطاء". وفي أثناء عودته من رحلة لدول الخليج خاطب من معه من الصحفيين في الطائرة قائلاً: "كما يدفع السياسيون والبيروقراطيون والتكنوقراطيون ثمن ما ارتكبوه من أخطاء، يجب

أن يدفع الأكاديميون والأطباء وأساتذة الجامعات ومساعدوهم ثمن أخطائهم أيضًا، فكل من يهدد أمن بلدي -على حد زعمه- أو يسعى لتقسيمه من المنضمين لـ"فيتو" -يقصد حركة فتح الله كولن- أو لـ"حزب العمال الكردستاني"، سأقوم باتخاذ ما يلزم ضدهم، ويجب ألا يشعر أحد بتأنيب ضمير إثر ما يتم اتخاذه ضدهم من إجراءات"[13].

إن فصل الأطباء والأكاديميين والباحثين واعتقالهم لم يؤثر عليهم فقط، بل أثَّر على المرضى أيضًا حيث حرموا من خدمات صحية ذات جودة، بعدما تم إبعاد الخبراء المتخصصين من الساحة الطبية، كما أثَّر بصورة سلبية على التعليم الطبي في أنحاء تركيا، بسبب ندرة الأطباء المتخصصين بعد تجريف الميدان الطبي منهم بفصلهم أو اعتقالهم.

إن الأطباء العاملين في القطاع الحكومي يقبعون تحت ضغط سياسي كبير يؤدي إلى انتهاكات عدة، فقد عاين مركز ستوكهولم للحرية حالات كثيرة يرفض فيها الأطباء إعطاء شهادات طبية تثبت ما يتعرض له المحتجزون من تعذيب، خوفًا من أن يصنفوا على أنهم إرهابيون أو انقلابيّون، وهكذا أصبح الأطباء مشاركين في عمليات الانتهاك هذه بتغاضيهم عما يشاهدونه من تعذيب يتعرض له هؤلاء المحتجزون.

كما فرضت الحكومة قيودًا مشددة على كلٍّ من ترشح للعمل من الأطباء في القطاع الحكومي للكشف عن توجهاتهم السياسية، مما أخَّر كثيرًا

nesemat.com نسمات nesemat.com

في ظل حالة الطوارئ التي كانت مفروضة على البلاد عقب أحداث 15 يوليو 2016 أغلقت الحكومة 14 مستشفى خاصًّا و36 مركزًا طبيًّا، وأغلقت 9 كليات طب وصيدلة بدعوى وجود علاقة تربطها بحركة الخدمة.

من الأطباء عن استلام أعمالهم، وبالطبع كان لذلك تأثيره على صحة المرضى بشكل عام وخاصة في المناطق الفقيرة والنائية.

حالات بعض المعتقلين من الأطباء

مصطفى أَمّيلر:

مصطفى أميلر طبيب على درجة عالية من الخبرة، متخصص في جراحات القلب والأوعية الدموية، احتجزته السلطات في 15 أغسطس 2016 بدعوى علاقته بالخدمة، أَمّيلر معروف بسمعته الطيبة وخبرته التي يشهد له بها المتخصصون في تركيا، خاصة في مجال جراحات القلب، حاز جائزة "طبيب العام" وتسلم هذه الجائزة في احتفال شارك فيه الرئيس عبد الله جول، وسلمه الجائزة وزير الصحة آنذاك، ولكن بعد سنتين وفي إطار الحملة التي شنتها الحكومة على المعارضين والمنتقدين اعتقلته الحكومة بدعوى الإرهاب والمشاركة في محاولة الانقلاب.

أمّيلر كان رئيس أطباء جراحات القلب في مستشفى أنطاليا التعليمية، وكان على رأس فريق على درجة عالية من المهارة، ومن أهم إنجازاته في مجال

إن فصل الأطباء والأكاديميين والباحثين واعتقالهم لم يؤثر عليهم فقط، بل أثر على المرضى أيضًا حيث حرموا من خدمات صحية ذات جودة عالية.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

طب وجراحة القلب، تبديله لغطاء الصمام الأبهري لمريض قلب عمره 79 عامًا في نصف ساعة ودون أن يوقف القلب، هذه العملية الجراحية الخطرة تستغرق في الأحوال العادية ست أو سبع ساعات، وكانت العملية الأولى التي تجرى في أنطاليا وأجريت على مستوى تركيا لعدد محدود جدًّا من الحالات.

كما نجح -لأول مرة في تاريخ تركيا- في إجراء عملية فتح مجرى جانبي للشريان التاجي لمريض عمره 96 عامًا كان الشريان التاجي الأيسر لديه منسدًّا بنسبة 90%، وأجرى أمّيلر هذه العملية في مستشفى جامعة أنطاليا التعليمي دون حاجة لأن يوقف قلب المريض وتمت العملية بنجاح تام. وأجراها أيضًا في 2014 لمريضين آخرين دون أن يحتاج لفتح الصدر.

وقد صرح محامي الدكتور أمّيلر أنه قبض عليه بسبب إخبارية لا أساس لها من الصحة، وأكد أن المرضى هم أكثر من يعانون من مثل هذه القرارات، فالدكتور أمّيلر الحاصل على جائزة "طبيب العام"، كان يجري 5 عمليات قلب جراحية يوميًّا.

أما عن فريقه الذي صدم بقرار اعتقاله فقد قالوا: "إن الدكتور أمّيلر حقق إنجازات عديدة خلال 30 عامًا وخبرة في عمليات القلب الجراحية، وهناك مرضى عديدون ينتظرون دورهم لكي يجري الدكتور أمّيلر عمليات قلب لهم، وهؤلاء المرضى هم ضحايا هذا القرار غير القانوني الذي اعتقل فيه الدكتور أمّيلر دون أية أدلة واستنادًا إلى مجرد ادعاءات"[14].

خلوق صواش:

طبيب نفسي مشهور عمره 51 عامًا، أكاديمي بدرجة بروفيسور في جامعة غازي عنتاب، اعتقلته السلطات في 28 سبتمبر 2016 بدعوى أنه "إرهابي"، احتجز ستة أيام كاملة قبل أن تحقق النيابة معه، كان التحقيق يتعلق بما ينشره في صفحته على موقع تويتر من آراء مخالفة للحكومة، كان الدكتور مرشحًا للبرلمان عن حزب الشعب الجمهوري أحد أكبر الأحزاب المعارضة في تركيا، فصل من عمله في الجامعة لأن رئيس الجامعة صنفه منتقدًا للحكومة،كما فصلت زوجته هي الأخرى، وهي دكتورة محاضرة متخصصة في علم الطب الباطني.

تجاوز الاضطهاد ليصل إلى أبنائه، فابنه "كراي" 12 عامًا كان في دورة تعلم لغة بالخارج، اقتيد للتحقيق معه في المطار بدون علم والديه وبدون محام، كما صادرت الشرطة جواز سفره، أما الابن الآخر الذي يدرس في الخارج، فظل منفيًّا في الخارج، وكان يخشى العودة إلى وطنه، حتى لا يُصادر جواز سفره -مثلما حدث مع أخيه الأصغر- وتتوقف دراسته بالخارج.

بعد عدة أسابيع داخل المعتقل لاحظ الدكتور صواش تغيرًا في حالته الصحية فطالب بإجراء التحاليل اللازمة بمستشفى السجن، وبعد انتظار

دام عدة أسابيع أخبرته مستشفى السجن أن العيّنة لم تكن صالحة للتحليل، وبعد إصراره على إجراء معاينة طبية له في المستشفى العام، تبين أنه مصاب بمرض اليرقان الانسدادي، وأوصت المستشفى الحكومي بسرعة نقله إلى الطوارئ بمستشفى جامعة غازي عنتاب لتلقي العلاج اللازم.

تمت إعادته لمحبسه بالسجن مقيد اليدين، ثم حُوِّل إلى المستشفى الجامعي الذي كان يعمل فيه لسنوات عديدة مكبل اليدين تحت حراسة مشددة، وبعد معاناة طويلة أجريت له عملية جراحية، وحرم من مرافقة زوجته له بسبب تعسف النيابة معها واستدعائها للتحقيق لأنها تقدمت بطلب مرافقة الزوج في أثناء إجراء العملية.

كما تبين لاحقًا إصابته بسرطان القولون، وفي أثناء ذلك تقدم للنيابة بطلب إخلاء سبيله حتى يكمل شفاءه في جو يسمح بذلك، لكن طلبه رفض بلا مبرر.

وخلال وجوده لـ 8 أيام في غرفة الحالات الحرجة قدم للنيابة طلبًا ثانيا لإخلاء سبيله فرفض، فقدم طلبًا ثالثًا فقبل، ولا يزال يخضع حتى الآن للعلاج الكيميائي. وأخيرًا استطاع أن يرى أسرته، ولكن بدأت جلسات محاكمته فيما يتعلق بتأييده للانقلاب من خلال تعليقاته على موقع التواصل الاجتماعي "تويتر"، وقد عجز عن حضور الجلسة الأولى بنفسه نظرًا لحالته الصحية[15].

مراد أجار:

بروفيسور تركي متخرج في جامعة هارفرد الأمريكية،

من المؤلم رؤية دولة تفصل تعسفيًّا خيرة أطبائها، وتضيع كفاءاتها لمجرد أن آرائهم تخالف توجهات الحزب الحاكم.

nesemat.com نسمات nesemat.com

تم تسليمه لتركيا من خلال الإنتربول، رغم أنه كان تحت حصانة الأمم المتحدة في دولة البحرين.

مراد طبيب أكاديمي كان يعمل استشاريًّا في قسم المعالجة الراديوية في جامعة الملك حمد بالبحرين، كان خارج تركيا قبل أحداث الانقلاب الفاشل، ولكنه لجأ للحماية الإنسانية تحت مظلة الأمم المتحدة خوفًا من استهداف الحكومة، ولكنه جُرِّد من حصانة الأمم المتحدة ورحَّله الأمن البحريني إلى تركية عبر الإنتربول[16].

لم يكن صدر ضد مراد أجار أي حكم قضائي، ولا يوجد دليل على جريمة ارتكبها. وبعد تسليمه تم تعذيبه في التحقيقات التي أجريت معه، ثم اعتقل قانونيًّا في 26 أكتوبر 2016 بأمر صادر من محكمة الصلح الجنائية.

صرح الدكتور مراد بانتفاء أي علاقة تربطه بأي منظمة إرهابية، وأنه كان خارج تركيا وقت حدوث هذا الانقلاب الفاشل، وبعد إلغاء سفارة تركيا جواز سفره قرر -بناء على استشارة أحد المحامين- التقدم بطلب الحصانة الإنسانية من الأمم المتحدة، حتى توفر له الحماية في حالة طلب تركيا تسليمه لها. وقد صرح في هذا الصدد قائلاً: "كل ما فعلته هو أنني اتبعت نصيحة المحامي ولكن مع الحصانة تلك

nesemat.com نسمات nesemat.com

إن المؤسسات الطبية التي أغلقت كانت تقوم بأعمال خيرية عابرة للقارات، فكثير من الأطباء الذين كانوا يعملون بها أجْروا عددًا هائلاً من العمليات الجراحية المجانية في عدد من الدول التي تفتقد الرعاية الطبية المتطورة.

تمت إعادتي لتركيا".

يعاني مراد من ارتفاع ضغط الدم كما أنه مصاب بسرطان الغدة الدرقية، وقد خضع لعملية جراحية لاستئصال الورم. تم حبسه في السجن لمدة عام كامل دون عفو أو إدانة، وخلال هذه المدة لم يستطع الاطلاع على ملف التحقيقات الخاص به، لأنه "ملف سري" كما قالوا له. وكل ما قدمه من طلبات لإخلاء سبيله رفضت بدعوى أنه مشتبه فيه بارتكاب جريمة خطيرة لا يعرف ما هي.

وقد تقدم عن طريق محاميه بدعوى أمام المحكمة الدستورية في عريضة من 26 صفحة، يتحدث فيها عن الانتهاكات الدستورية التي تعرض لها منذ أن تم اعتقاله، وما تعرض له من تعذيب وسوء معاملة وانتهاك حقه في الحرية وحقه في محاكمة عادلة، مما يتناقض مع الدستور التركي، ومعاهدة حقوق الإنسان الأوروبية التي وقَّعت عليها الحكومة التركية.

حالة علي إلْكر باشتان وزوجته:

علي وزوجته طبيبا أسنان، حكم عليهما بالسجن لخمسة عشر عامًا بدعوى انتمائهما لمنظمة إرهابية وتمويل الإرهاب[17]. علي وزوجته كانا يمتلكان عيادة متخصصة للأسنان، وتم احتجازهما في أكتوبر 2016 على خلفية علاقتهم المزعومة بفتح الله كولن، كان الاتهام الموجه ضده هو السفر لأمريكا لزيارة ومعالجة فتح الله كولن، وأكدت محكمة الصلح الجنائية على هذا الاتهام في حقه، كما حكمت بإطلاق سراح مشروط لزوجته على ذمة القضية.

وفي أول جلسة للمحاكمة رفض الزوجان قبول الاتهامات الموجهة ضدهما وقالا: إنهما ذهبا إلى أمريكا عام 2005 للحصول على درجة الماجستير في طب الأسنان وبقيا هناك حتى عام 2008، حينها قررا العودة إلى تركيا، ومنذ ذلك الحين ذهبا خمس مرات فقط إلى أميركا لحضور مؤتمرات طبية وتعليمية وقال: "لقد أمضيت حياتي كلها في المجال الأكاديمي في تخصصي وعالجت آلاف المرضى، ولا علاقة لي بالإرهاب على الإطلاق"[18].

وفيات للأطباء تدور حولها الشبهات

قام مركز ستوكهولم للحرية برصد حالات وفيات داخل السجون وفي الحبس الاحتياطي؛ يعتقد أنها وقعت نتيجة لسوء المعاملة والتعذيب الذي يمارس على نطاق واسع في هذه السجون والمعتقلات، وفي ظل غياب هيئة مستقلة تحقق فيما تعلنه الحكومة عن هذه الحالات بأنها وقعت نتيجة انتحار تظل الحقيقة مجهولة. ولا يقتصر الأمر على حالات الوفيات التي وقعت داخل السجون والمعتقلات؛ فهناك حالات وفيات وقعت خارج هذه السجون

تدور حولها الشبهات، حيث يعتقد بأنها كانت مدبرة أو أفضت إلى الموت نتيجة التعذيب.

واعتبارًا من 5 نوفمبر 2017 رصد مركز ستوكهولم للحرية 92 حالة وفاة تدور حولها الشبهات، وأعد المركز ملفات عن هذه الحالات معروضة بالتفصيل في موقع المركز على الإنترنت، وسنعرض عددًا منها هنا:

حرمان محمد أينام من أدويته:

محمد أينام طبيب أسنان، كان يعمل في مدينة أزمير بحي كمال باشا، تم اعتقاله ضمن الحملة التي شنتها الحكومة ضد حركة الخدمة. ثم أعلن عن وفاته في 5 يناير 2017 بسبب أزمة قلبية عانى منها، لكن أسرته تقول: إنه كان يعاني من مشاكل صحية في القلب، وقد حرمته إدارة السجن من تناول الأدوية اللازمة حتى ساءت صحته وتوفي[19].

مزاعم انتحار مصطفى صادق أكداغ:

مصطفى صادق أكداغ كان يعمل مساعد دكتور في كلية طب الأسنان جامعة "أردو" في منطقة البحر الأسود، قيل إنه انتحر بإطلاق الرصاص على نفسه إثر تعرضه لحالة نفسية صعبة نتيجة اتهامه بالإرهاب والتحقيق معه بهذه التهمة. وقد قيِّدت حالته بأنها انتحار استنادًا إلى ملاحظة كتبها قبل وفاته يقول فيها: "لا أحد مسؤول عن موتي، وأفوض أمري لله فيمن لفَّق هذه الاتهامات ضدي".

وقد نشرت وسائل الإعلام التركية أن مصطفى كان قد عُرض على النيابة للتحقيق معه[20]، بدعوى أنه على علاقة بحركة الخدمة، وقد نقل الجثمان

nesemat.com نسمات nesemat.com

إن الأطباء العاملين في القطاع الحكومي يقبعون تحت ضغط سياسي كبير يؤدي إلى انتهاكات عدة، ففي حالات كثيرة يرفض الأطباء إعطاء شهادات طبية تثبت ما يتعرض له المحتجزون من تعذيب، خوفًا من أن يصنفوا على أنهم إرهابيون أو انقلابيّون.

إلى مدينة "ترابزون" لتتم المعاينة من قبل الطب الشرعي، كما بدأت التحقيقات لمعرفة ملابسات الوفاة. أما عائلته فقد صرحت بأنها لا تعتقد أن سبب الوفاة كان الانتحار[21].

إعلان وفاة علي أوزر بأزمة قلبية:

علي أوزر كان يعمل نائب رئيس الأطباء بمستشفى أنقرة "نالليهان" الحكومية، وتم القبض عليه بدعوى أنه على علاقة بمشروع الخدمة، توفي يوم 23 مارس 2017، وقد أعلنت مستشفى "تشوروم" التعليمي بأنه توفي إثر أزمة قلبية داهمتْه في زنزانته بالسجن[22].

أطباء فروا من بطش النظام في تركيا

مع تزايد حملات القمع والاضطهاد الممنهج التي تمارسها السلطة التركية ضد كل من تشتبه في أن له علاقة بحركة الخدمة، اضطر كثير من العاملين في قطاع الرعاية الصحية -وعلى رأسهم الأطباء- الفرار خوفًا من التعرض للاعتقال والتعذيب داخل السجون التركية. قرار الهروب هذا لم يكن سهلاً، فمع إلغاء السلطات لجوازات سفر المواطنين وعدم السماح

اعتبارًا من 5 نوفمبر 2017 تم رصد 92 حالة وفاة تدور حولها الشبهات توفت أثناء الحجز، ويشتبه أن السبب الرئيسي للوفاة هو التعرض للتعذيب.

nesemat.com نسمات nesemat.com

بتجديد الجوازات المنتهية صلاحيتها، جعلت هؤلاء يسلكون طرق الهجرة غير الشرعية التي تتعرض حياتهم فيها للخطر، بل وأودت بحياة البعض منهم هم وأسرهم. ولا تنتهي الصعوبات والمخاطر عند هذا الحد، فحتى الذين استطاعوا العبور والنجاة من هذه الأخطار المهلكة تعرضوا لأنواع أخرى من المصاعب منها:

- تهديدات من السفارات والقنصليات التركية في البلاد التي فروا إليها.
- إلغاء جوازات سفرهم ومصادرتها وعدم تسجيل المواليد الجدد أو منحهم أي أوراق يحتاجونها وكأنهم ليسوا مواطنين أتراك.
- صعوبة الاعتراف بشهاداتهم الجامعية وبالتالي صعوبة إيجاد عمل في تخصصهم، أضف إلى ذلك الاختلاف الثقافي واختلاف اللغة.

ولقد أجرى مركز ستوكهولم للحريات لقاءات مع ثلاثة من الأطباء الذين يعيشون في المنفى للاطلاع على الصعوبات التي واجهتهم، طلب اثنان منهم عدم التصريح بأسمائهم (لئلا تتعرض عائلاتهم في تركيا للخطر) بينما سمح الثالث بذكر اسمه، وحالاتهم كالتالي:

لقاء مع الدكتور محمد:

هو طبيب متخصص في العلاج الإشعاعي، لديه خبرة 15 عامًا في هذا المجال، لجأ إلى إحدى الدول الأوروبية بعد أن اتهم بالإرهاب لعلاقته بمؤسسات الخدمة المدنية.

ذكر الدكتور محمد أنه كان من المعدودين في هذا المجال في تركيا، وكان يعيش حياة جيدة هو وأسرته لكنه الآن يشعر بالضغط، فحتى يعمل في مجال تخصصه عليه أن يدخل الامتحانات التي اجتازها من قبل في تركيا من أجل الحصول على شهادته وقد يستغرق هذا منه سنوات، كما أن أسرته ما زالت في تركيا وهو في غاية القلق على أمنهم وسلامتهم.

لقاء مع الدكتور (أ):

هو أكاديمي وبروفيسور في مجال العلاج الإشعاعي، كان يعمل في منصب مهم في مستشفى "سما"، بالإضافة إلى محاضراته التي كان يلقيها في كلية الطب بجامعة الفاتح، وقد أغلقت الحكومة المؤسستين كلتيهما لعلاقتهما بمؤسسات الخدمة عام 2016. هرب من تركيا عندما بدأت الحكومة تلقي القبض على زملائه واحدًا تلو الآخر، وتتهمهم ظلمًا زورًا بالإرهاب، كما اتهم بالمشاركة في الانقلاب وهو أمر عارٍ تمامًا عن الصحة، أما زوجته التي كانت تعمل مدرسة في رياض الأطفال فقد فصلت هي الأخرى بمرسوم طوارئ تضمن فصل 150.000 شخص آخر معها بموجب هذا المرسوم.

لقاء مع الدكتور (ب):

هو طبيب أكاديمي كان يعمل في منصب رفيع في جامعة "تورجوت أوزال" التي أغلقتها الحكومة مع 14 جامعة أخرى، يقول الدكتور: إنه توجب عليه أن يهرب من تركيا، قبل أن توجه إليه أي تهم زائفة ويجد نفسه محبوسًا ويتعرض للتعذيب داخل السجون التركية. وأخبرنا أنه تم التحقيق معه لأن أبناءه في مدارس خاصة أسسها رجال أعمال يستلهمون أفكار الخدمة، ويقول: لقد ارتكبت أول عمل غير قانوني في حياتي عندما عبرت الحدود هاربًا من تركيا إلى اليونان. وهو الآن يتعلم لغة جديدة، ويحاول أن يؤسس له حياة هناك ويأمل في أن يعمل في تخصصه بعد تحقيقه للشروط المطلوبة.

ثانيًا: العاملون في قطاع الرعاية الصحية من غير الأطباء

إن الحملة التي تشنها الحكومة على العاملين في قطاع الرعاية الصحية لم تقتصر على فئة الأطباء فقط، بل تعدت إلى كل العاملين في هذا القطاع من ممرضين وتقنيين وغيرهم. فقد تم إحصاء 10.000 عامل في قطاع الرعاية الصحية فصلوا تعسفيًا من القطاع الحكومي دون صدور أي حكم قضائي أو تحقيق إداري في حقهم، وقد صُنفوا على أنهم من منتقدي الحكومة، ثم اعتقلتهم الحكومة بعد ذلك بدعوى أنهم إرهابيون دون أي دليل على هذا الافتراء.

لا يستطيع المفصولون إيجاد عمل في تخصصاتهم ولا في أي تخصص آخر؛ فكل الشركات أصبحت تخاف من أن توصم بالإرهاب ويتم إغلاقها إذا ما أقدمت على توظيف أحدٍ من هؤلاء المفصولين في شركاتها.

وطبقًا للبيانات الحكومية، فالعدد الإجمالي للعاملين في قطاع الرعاية الصحية يبلغ 871.334 عاملاً، منهم 152.952 ممرضًا وممرضة، و52.456 قابلة، و144.609 موظفين آخرين في التخصصات المختلفة[23]، وبإحصاء كل الذين فصلتهم الحكومة تعسفيًا من العاملين في قطاع الرعاية الصحية الحكومي والخاص، نجد أن عددهم قد تعدى 21.000 عامل.

ولا يستطيع هؤلاء المفصولون إيجاد عمل في تخصصاتهم ولا في أي تخصص آخر؛ فكل الشركات أصبحت تخاف من أن توصم بالإرهاب ويتم إغلاقها إذا ما أقدمت على توظيف أحدٍ من هؤلاء المفصولين في شركاتها حتى ولو كانوا في حاجة ماسة إلى تخصصه. وقد ذكر نائب حزب الشعب الجمهوري في مدينة بورصا (جيهون إيركيل) أن وزير العمل والضمان الاجتماعي التركي يصنف المفصولين من أعمالهم تحت كود رقم "36"، ولذلك فأي وظيفة يتقدمون لها، يظهر هذا الكود إلى جانب رقم ضمانهم الاجتماعي، مشيرًا إلى أنهم مفصولون بشبهة الإرهاب، فيتجنب صاحب العمل الجديد توظيفهم خشية من أن يوصف بأنه يدعم الإرهابيين بتشغيلهم[24].

nesemat.com نسيمات nesemat.com

إن مستشفى سما كانت واحدة من أضخم وأرقى المستشفيات الخاصة في تركيا، والقيمة التقريبية للمستشفى هي 300 مليون دولار أمريكي، ودورة رأس المال الشهرية كانت تصل لما يقارب 9 مليون ليرة تركية قبل إغلاقها من قبل الحكومة.

nesemat.com نسمات nesemat.com

فاطمة طوران:

ممرضة عمرها 44 عامًا تم فصلها تعسفيًا بعد أحداث الانقلاب الفاشل، وهي الآن تعمل في حقول التبغ من أجل إعالة أسرتها، لقد فصلت هي وزوجها الذي كان يعمل في قطاع الرعاية الصحية هو الآخر، ومع فرض حالة الطوارئ تم اعتقالهما معًا، ثم أخلي سبيلها بعد 11 يومًا، بينما استمر زوجها في الحبس الاحتياطي على ذمة المحاكمة. فاطمة كغيرها من ضحايا ما بعد الانقلاب اضطروا جميعًا للعمل في مجالات تختلف تمامًا عن تخصصهم، فرغم خبرتها في التمريض التي تزيد عن 21 عامًا، فإنها تعمل في حقول التبغ لتَفِي بحاجات أسرتها الضرورية بمفردها، فلها ولدان أحدهما كفيف في حاجة إلى الرعاية المستمرة.

عائشة بيوك كازريجي:

كانت تعمل ممرضة، ثم تعرضت للفصل التعسفي من عملها، استدعتها نيابة مدينة (كوجه ألي) للتحقيق معها، لكن المحكمة أخلت سبيلها بسبب حملها على أن تكون قيد الرقابة القضائية، وهو ما يستوجب ذهابها إلى قسم الشرطة ثلاثة أيام في الأسبوع، وبسبب هذه الضغوط التي تعرضت لها وضعت حملها مبكرًا، وهو وضع يستدعي رعاية خاصة للطفل وللأم، ولكن -وفي ظل هذه الظروف- صدر في حقها قرار استدعاء من نيابة مدينة أخرى (تكيرداغ) للتحقيق معها بنفس التهم بتاريخ 15 فبراير 2017، وصحب قرار الاستدعاء أمر آخر بالاعتقال لحين الانتهاء من التحقيقات، ورغم تقدم محاميها بمذكرة اعتراض على هذا القرار حيث إن الدعوى نفسها تنظرها محكمة أخرى وقد أصدرت قرارًا بإخلاء سبيلها نظرًا لحالتها الصحية، إلا أن النيابة أصرت على قرار الاعتقال، وبعد التحفظ عليها مع رضيعها في قسم شرطة مدينة (بالي كسير) لمدة يومين تم نقلها في عربية مدرعة إلى مدينة (تكيرداغ) التي تبعد عن هذا المكان مسافة أربع ساعات. ومنذ ذلك الحين فصلت الأم عن ولديها اللذين تبلغ أعمارهم 9 سنوات و13 سنة، ولم تتوافر أي معلومات عنها وعن رضيعها حتى الآن[25].

وفيات تدور حولها شبهات للعاملين في قطاع الرعاية الصحية من غير الأطباء

حسن أورهان شتين:

أكاديمي متخصص في علم الكيمياء الحيوية، كان يعمل مساعد دكتور في جامعة "كاتب شلبي" بمدينة "أزمير"، ادعي أنه انتحر إثر تعرضه لاكتئاب حادّ نتيجة فصله من الجامعة، وقيل إنه قفز من الدور العاشر الذي كان يعمل فيه. أصيبت زوجته بانهيار وعولجت في نفس المشفى الذي كان

يعمل فيه. يقول "أحمد دورويول" رئيس الاتحاد التركي الصحي فرع مدينة أزمير: "إن تصنيف الناس وتخوينهم ومعاقبتهم دون دليل ودون اتباع الإجراءات القانونية، يؤدي إلى غيبوبة ونزيف حاد في الوعي العام، وواجبنا هو كسب الناس لا فقدهم"، كما قام النائب العام بفتح تحقيق حول أسباب الوفاة[26].

سَوْكي بالجي:

ممرضة عمرها 37 عامًا، فصلتها الحكومة بمرسوم قانون في أكتوبر 2016، وانتحرت في مدينة إسبارطة. طبقًا لما أورده الموقع الإلكتروني (Artigercek). سوكي كانت أمًّا لثلاثة أطفال، أحدهم عمره 7 شهور فقط، كان من المفترض أن تعاد إلى وظيفتها بعد مرسوم القانون الصادر في 25 أغسطس 2017، لكن اسمها لم يدرج في قوائم المعادين إلى وظائفهم[27].

طبقًا لما أوردته وسائل الإعلام المحلية، فقد انتحرت في 15 أغسطس 2017، وزعمت هذه الوسائل أنها انتحرت شنقًا في بيتها في مدينة إسبارطة، وعندما افتقدها الجيران عدة أيام أبلغوا الشرطة التي اقتحمت المنزل لتعلن أنها انتحرت شنقًا. ما يجدر ذكره أن زوجها هو الآخر تم فصله وكان يعمل في قطاع الرعاية الصحية.

ثالثًا: المستشفيات والمراكز الطبية التي أغلقت

لم تكتف الحكومة التركية بشنّ حملات الملاحقة والاعتقال ضد المتخصصين من الأطباء والعاملين في القطاع الطبي، بل أغلقت المستشفيات والمراكز

إن المستفيد الأكبر من إغلاق مستشفيات الخدمة الخاصة، هي المستشفيات الخاصة التابعة لعائلة أردوغان والتي يديروها آخرون صوريًّا.

nesemat.com نسمات nesemat.com

الطبية الخاصة المنشأة طبقًا للوائح والقوانين، في انتهاك واضح لهذه القوانين، مما كان له أصعب الأثر على العاملين في هذه المنشآت، والضحية الأكبر هم المرضى الذين كانوا يتلقون العلاج في تلك المستشفيات والمراكز الطبية.

تبين الإحصاءات أنه تم إغلاق 14 مستشفى، و36 مركزًا طبيًّا ومركزًا بحثيًّا ومستشفى تعليميًّا تابعًا لوزارة الصحة، وبالحديث عن المستفيد الأكبر هنا سنجدها المستشفيات الخاصة التابعة لعائلة أردوغان التي يديرها آخرون صوريًّا؛ ومن ثم فقد أغلقت الحكومة المنافس لتلك المستشفيات، وبالطبع سيذهب لها المرضى الذين كانوا يتعالجون في المستشفيات المغلقة. وطبقًا للبيانات الإحصائية فهناك 565 مستشفى خاصًّا في تركيا[28].

والجدير بالذكر أن إجراءات إغلاق هذه المستشفيات قد بدأت بالفعل قبل أحداث الانقلاب الفاشل في تركيا، فقد طالبت وزارة الصحة التركية كل المستشفيات الخاصة بتجديد وضعها القانوني في الوزارة، ورغم قيام 21 مستشفى خاص مملوكة لرجال أعمال يتعاطفون مع أفكار كولن بالاستجابة

لقد تأثر المرضى أيضًا بهذه الانتهاكات التي مورست ضد الأطباء والعاملين في مجال الرعاية الصحية، فقد اعتقل النظام الحاكم عددًا كبيرًا من المرضى الذين كانوا يرتادون هذه المستشفيات التي أُغلقت.

nesemat.com نسمات nesemat.com

لهذه المطالبة وتجديد وضعياتها القانونية فقد حجبت الوزارة ظهور أي وصفات طبية (روشتات) موقعة من أي طبيب أو صيدلي عامل في هذه المستشفيات في النظام الإلكتروني الذي فعَّلته في يناير 2016، وبالتالي فقد أصبحت هذه الوصفات غير معتمدة في سيستم (نظام) الدولة، ولا يحق للمريض صرفها، وقد استمر ذلك حتى قرار إغلاق هذه المستشفيات في يوليو 2016.

وسنعرض هنا أمثلة لثلاثة مستشفيات أغلقت وتم الاستيلاء على ممتلكاتها.

مستشفى سَما

افتتحت هذه المستشفى عام 2006 في مدينة إسطنبول بحي "مال تبه" واعتمدتها اللجنة العالمية المشتركة[29]. كانت واحدة من أضخم وأرقى المستشفيات الخاصة في تركيا. والقيمة التقريبية للمستشفى هي 300 مليون دولار أمريكي، وكان يعمل بها 600 موظف، منهم 100 طبيب، كما كان للشركة المالكة لها علامة تجارية وأسهم باسمها، ودورة رأس المال الشهرية كانت تصل لما يقارب 9 مليون ليرة تركية.

ورغم أن مؤسسة الضمان الاجتماعي قد صنفتها قبل ذلك بتصنيف ممتاز، فإن ذلك لم يمنع مؤسسة الضمان الاجتماعي من قرار إنهاء التعاقد مع المستشفى وعدم تجديده بأوامر حكومية ودون أي مبررات، مما أدى إلى انخفاض الأرباح إلى 5 مليون ليرة تركية، وفقد المستشفى لنصف المرضى الذين كانوا يتعالجون فيها. وقد دعا ذلك إدارة المستشفى إلى خفض رواتب الأطباء والعاملين فيها، وقد استطاعت المستشفى أن تصمد وتستمر عامين في عملها، بالإضافة إلى عمل تأمين خاص، ودعوة أطباء من الخارج لإجراء الجراحات والعمليات الخاصة، حتى بلغ عددهم 500 طبيب من الخارج في العام الأخير.

لكن مع تدهور الأوضاع واستمرار الانتهاكات القانونية بمسميات مختلفة وفي ظل حالة الطوارئ، داهمت الشرطة المستشفى وأمرت بالإخلاء الفوري للمستشفى حتى المرضى الذين يتلقون العلاج في غرف الطوارئ وغرف العناية المركزة، وقامت بنقل المرضى إلى مستشفيات أخرى، وقد أبلغ رئيس إدارة المستشفى مؤسسة الضمان الاجتماعي بأن هذه الإجراءات أودت بحياة مريض قلب كان ينتظر دخول غرفة العمليات، لكن بنقله إلى مستشفى آخر كان عليه أن ينتظر ثلاثة أسابيع حتى تجرى له العملية الجراحية. كما ذكر بعض الأطباء الذين التقى بهم مركز استوكهولم للحريات في المنفى، أن السلطات ألقت القبض أيضًا على عدد من الأطباء والعاملين بالمستشفى.

nesemat.com نسمات nesemat.com

مستشفى "زَنْ" الطبية التابعة لجامعة تورغوت أوزال

هي مستشفى جامعي خاص تقوم بالأبحاث، تقع في مدينة أنقرة، وتم افتتاحها عام 2009، كان يعمل بها 110 طبيب و110 عامل طبي، وكانت تجري 20.000 عملية جراحية سنويًّا، كما كانت تعالج 400.000 مريض سنويًّا، وكان دخلها يقارب الـ70 مليون ليرة قبل قرار مؤسسة الضمان الاجتماعي إنهاء التعاقد معها بلا مبرر، وقد أدى هذا الإلغاء إلى خسارة كبيرة للمستشفى بلغت 40 مليون ليرة تركية، مما اضطر إدارة المستشفى إلى تقليص عدد العاملين بها إلى النصف. وقد حجزت الحكومة على كلٍّ من المستشفى والجامعة قبل أسبوعين من محاولة الانقلاب الفاشلة، ثم أصدرت قرارها بإغلاق كلتا المؤسستين بعد الانقلاب مباشرة.

مستشفى بهار

من أوائل المستشفيات الخاصة التي أنشئت في تركيا بمدينة بورصا، بدأت العمل في عام 1998، وكان الطاقم الطبي فيها من الروَّاد في المجالات الطبية المختلفة، كانت المستشفى مجهزة بأحدث التقنيات الطبية، مما جعلها واحدة من أشهر المستشفيات الخاصة في تركيا، كان أكثر المرضى يتوجهون إليها للعلاج لشهرتها وريادتها. وبعد الحملة السياسية التي شنها ضدها الحزب الحاكم، أنهت مؤسسة الضمان الاجتماعي عقدها الموقع معها، وقامت البلدية في أبريل 2016 بتدمير

تم القبض على 2.337 من الأطباء الأكاديميين من كبار الأساتذة المتميزين في تخصصاتهم، 1.679 منهم كانوا يعملون في كليات الطب الحكومية، بالإضافة إلى 1.684 طبيبًا كانوا يعملون في المستشفيات الحكومية، و1.200 طبيبًا كانوا يملكون عيادات طبية خاصة تم إغلاقها فجأة.

مدخل الطوارئ الخاص بالمستشفى.

علقت المستشفى العمل بها لحين إشعار آخر في مايو 2016 بسبب الضغوط الحكومية عليها وتعليق عقد الضمان الاجتماعي، ثم أغلقت الحكومة المستشفى، مشردة بذلك القرار 100 طبيب و750 عاملا في قطاع الرعاية الصحية كانوا يعملون بها.

رابعًا: المرضى

لقد تأثر المرضى أيضًا بهذه الانتهاكات التي مورست ضد الأطباء والعاملين في مجال الرعاية الصحية، فقد اعتقل النظام الحاكم عددًا كبيرًا من المرضى الذين كانوا يرتادون هذه المستشفيات التي أُغلقت، كما اضطر مرضى آخرون لقطع الكورس العلاجي لهم والانتقال إلى مستشفيات أخرى واستئناف دورة العلاج من جديد، مما أضاف إليهم أعباء أخرى وحملهم ضغوطًا مادية ونفسية فوق أمراضهم التي يعانون منها، وخاصة المرضى الذين يقطنون في مناطق تعاني شحًّا وندرة في التخصصات التي يحتاجونها، إذ توجب على بعض الحالات قطع مسافات طويلة والانتظار مُددًا

أكثر الحالات تعرضًا للانتهاكات، المرضى في السجون والمعتقلات، حيث تقل الرعاية الصحية وأحيانًا تنعدم، وفي حالات أخرى يمنع عنها العلاج منعًا تامًّا، مما يؤدي إلى تفاقم الحالة وأحيانًا إلى الوفاة نتيجة إهمال الرعاية الطبية.

nesemat.com نسمات nesemat.com

كثيرة بقوائم الانتظار حتى يحصلوا على حقهم في التداوي والعلاج.

وأكثر الحالات تعرضًا للانتهاكات، المرضى في السجون والمعتقلات، حيث تقل الرعاية الصحية وأحيانًا تنعدم، وفي حالات أخرى يمنع عنها العلاج منعًا تامًّا، مما يؤدي بهم إلى تفاقم الحالة وأحيانًا إلى الوفاة نتيجة إهمال الرعاية الطبية. والأسوأ من ذلك كله، وضع بعض المرضى من هؤلاء المعتقلين في الحبس الانفرادي في انتهاك واضح لقانون العقوبات الأوروبي، فللمحتجز حق أصيل بتلقي الرعاية الصحية المناسبة كما لو كان خارج السجن، ويجب أن يتم معاملة المحبوس باحترام، وعلى إدارة السجن أن تهيئ الجو المناسب للمريض حتى يتعافى ولا تتدهور حالته الصحية، هذه قواعد أساسية ورئيسية أقرتها الأمم المتحدة والمفوضية الأوروبية لحقوق الإنسان، ويتم انتهاكها بصورة واضحة في تركيا اليوم تحت رئاسة أردوغان.

وسنلقي في هذا التقرير بعض الضوء على حالات من المرضى الذين تعرضت حقوقهم الرئيسية للانتهاك داخل السجون التركية ومنها:

حالة ياووز بولك:

ياووز بولك ضابط شرطة عمره 49 عامًا، أشادت الدولة بالخدمات التي قدمها في مكافحة الإرهاب، لكنه اليوم يعاني داخل السجن من تدهور مستمر في حالته الصحية، فقد أصيب بالسرطان وكان عليه أن يجري ثلاث عمليات جراحية لاستئصال الورم، عمليتان في المخ وواحدة في الصدر.

هذا الضابط الذي حصل على مئات من شهادات التقدير والجوائز لكفاءته المهنية في جهاز الشرطة، ألقي القبض عليه في 29 سبتمبر 2014 مع ستة من زملائه بصورة غير قانونية. ثم صدر في الأول من أكتوبر 2014 قرار باعتقاله من قبل محكمة الصلح الجنائية -وهي محكمة تم إنشاؤها بمرسوم قانون قدمته الحكومة، والهدف الرئيسي من إنشائها هو معاقبة كل المنتقدين والمعارضين لأداء الحكومة- وبعد ستة أيام من اعتقاله قدم محاميه اعتراضًا للمحكمة يتعلق بعدم قانونية اعتقال موكله، ورغم إطلاق سراحه وعدم وجود قرار إدانة له فصل تعسفيًا من عمله في 9 يناير 2015.

وفي 31 مارس 2015 صدر في حقه قرار توقيف، لم يستجب له لعدم قانونيته وظل طليقًا قرابة العام، في تلك الأثناء أحس بتوعك صحي، وتبين بعد الفحص بأنه مصاب بسرطان القولون، وتم إبطال مذكرة التوقيف بناء على طلب محاميه نظرًا لظروفه الصحية الطارئة. وقبل أن تكتمل دورة

علاجه أصدرت محكمة أنطاليا قرار اعتقال له من جديد، وتم تحويله إلى مدينة أزمير للتحقيق معه. ورفضت المحكمة كافة التقارير الطبية المقدمة لها التي تؤكد على احتياجه إلى الرعاية الصحية، وتفاقمت ظروفه الصحية في ظل ظروف السجن السيئة، وعاودته أورام السرطان مرة أخرى بعد أن كاد يتماثل للشفاء منها، حتى أصيب بالشلل، واضطر إلى إجراء أكثر من عملية جراحية لاستئصال هذه الأورام المنتشرة، كل هذا والمحكمة مستمرة في تعنتها، حيث رفضت كل الطلبات المقدمة لإخلاء سبيله، أو توفير ظروف رعاية صحية أفضل من ظروف السجن التي يقبع فيها.

وصرحت زوجته التي اضطرت إلى الانتقال من أنطاليا إلى أزمير لتتابع قضية زوجها، وتطمئن على حالته الصحية: "إن زوجي لم يخالف القانون في حياته، ورغم حالته الصحية الصعبة التي تحتاج إلى عناية شديدة فلا أستطيع رؤيته إلا مرة في الأسبوع، ويتم نقله يوميًّا إلى مستشفى "يشيليورت" التي تبعد مسافة أربع ساعات لتلقي العلاج الكيميائي" وأضافت: "لقد فقد الكثير من وزنه، ويقبع في سريره طوال الوقت والتأثير السلبي للعلاج الكيميائي يظهر على جلده". كما شَكَت زوجته من إدارة السجن التي لا تواظب على إعطاء زوجها العلاج في الموعد المحدد، وتتباطأ في نقله إلى جلسات العلاج الكيميائي، وأحيانًا يحرم من جلسة العلاج الكيماوي بدعوى عدم وجود فريق لنقله إلى المستشفى.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

فاطمة طوران رغم أن خبرتها في التمريض تزيد عن 21 عامًا، إلا أنها فصلت تعسفيا وتعمل الآن في حقول التبغ لتَفِي بحاجات أسرتها الضرورية، وبعد اعتقال زوجها أصبحت هي العائل الوحيد لولدان أحدهما كفيف.

حالة جوكهان أجيك كولُّو:

جوكهان أجيك كولُّو مدرس تاريخ يبلغ من العمر 42 عامًا، ألقي القبض عليه بتاريخ 24 يوليو 2016 وظل تحت ملاحظة الشرطة لمدة 13 يومًا، وأحس في تلك الأثناء بالتوعك الصحي، وبدلاً من أن يؤخذ إلى المستشفى لإجراء الفحوصات اللازمة اقتيد للتحقيقات، وهناك تعرض لانتهاكات بدنية ونفسية حتى تفاقمت أوضاعه الصحية، الأمر الذي اضطرهم لنقله إلى المستشفى وهناك أعلنت وفاته.

ويظهر التقرير الطبي المرفق مع الحالة أن جوكهان عانى من كسور في ضلوعه وصدمات عنيفة في الرأس، وتعتقد عائلته أن الشرطة قتلته خلال التعذيب الذي تعرض له في التحقيقات، ورغم هذا كله فقد أمر النائب العام بإغلاق التحقيق في حالة وفاته تحت ما أسماه "عدم وجود إهمال أو سوء نية"، لكن العائلة تؤكد على أن هناك شهودًا أفادوا أن الشرطة عذبته حتى الموت.

وفي يوم 26 يوليو 2016 عندما نقل إل المستشفى من أجل المعاينة الطبية اشتكى للطبيب من تعرضه للضرب الشديد في الرأس والصدر، وسجل معاناته

إن الأسوأ من ذلك كله، وضع بعض المرضي من هؤلاء المعتقلين في الحبس الانفرادي وهو انتهاك واضح لقانون العقوبات الأوروبي، فللمحتجز حق أصيل بتلقي الرعاية الصحية المناسبة كما لو كان خارج السجن.

nesemat.com نسمات nesemat.com

وما تعرض له أثناء هذه الزيارة التي اقتيد بعدها للسجن مرة ثانية.

وقد تم اعتقاله في 24 يوليو 2016 بدعوى المشاركة في الانقلاب الفاشل، وهو ما نفته عائلته بشدة حيث أكَّدوا أنه لم يكن له أي علاقة بأي عسكري أو شرطي في حياته، كما نسب إليه أيضًا عضويته في حركة الخدمة.

وقد لاحظت أسرته بعد وفاته عندما تسلمت أشياءه الخاصة أن علاج السكر الذي يعاني منه والذي يجب أن يتناوله بشكل دوري بحالته كما هو، مما يدل على تعمد تعذيبه بحرمانه من علاجه الضروري، وقد جاء في تقرير وفاته الذي أعدته المشرحة أنه تعرض لكسر في الضلوع ونزيف داخلي، وأن سبب الوفاة هو أزمة قلبية دون أن يشير التقرير إلى الأسباب التي أدت إلى حدوث هذه الأزمة القلبية.

وفي إحدى زياراته لمستشفى هسكي التعليمي إثر تعرضه لأزمة سكر، أخبرهم بأنه يتعرض للتعذيب بصورة متكررة في الحبس الاحتياطي، إلا أن تقرير المستشفى ذكر أن حالته الصحية والعقلية تسمح بإعادته للحبس. وبحسب المعلومات التي وردت على لسان زملائه في الحبس، فقد مورست ضده عمليات تعذيب وإهانة وتهديد فوق طاقة احتماله، حيث كان يصرخ قائلاً: "لم أعد أتحمل، قولوا لي ماذا تريدون مني أن أقوله ولكن توقفوا".

حالة توبا يلديز:

توبا يلديز ألقي القبض عليها وعلى زوجها بتاريخ 15 يناير 2017 بمدينة تكيرداغ، وتعرضت للتعذيب والتهديد بإبعادها عن أطفالها حتى ظهرت عليها أعراض اضطراب نفسي وكادت تفقد عقلها بعد أن احتجزت في قسم الشرطة لـ24 يومًا، وورد في التقرير الطبي الخاص بها، أنها تعرضت لتعذيب شديد، مما أثر على حالتها العقلية، وأصدرت محكمة تكيرداغ حكمًا عليها بالحبس، وما زالت قابعة في الحبس حتى اليوم. أما عن أولادها الذين تُركوا في رعاية جدهم، فأعمارهم بين 10 و11 و14 عامًا، واحدة منهم مصابة باللوكيميا (سرطان الدم) وفي حاجة إلى رعاية خاصة ومستمرة.

بدأت أعراض المرض النفسي تظهر عليها داخل السجن، ففي أثناء النوم كانت تتحدث عن ابنتها المصابة باللوكيميا، ثم بدأت تنادي أبناء السجينات الموجودين معها بالحبس بأسماء أولادها، كما نقص وزنها بصورة حادة نتيجة لسوء التغذية، وساءت حالتها النفسية فامتنعت عن الطعام خوفًا من تسميمها، وعُرضت على الطبيب النفسي بمستشفى "باكير كوي" فقرر أنها تعرضت لصدمة عصبية عنيفة أدت إلى إصابتها بشيزوفرانيا حادة، ورغم

هذا كله ما زالت في السجن[30].

حالة نور هايات يلديز:

يوم 29 أغسطس 2016، وفي أثناء توجهها للفحص الطبي المعتاد للاطمئنان على وضع جنينها، ألقي القبض على نور هايات يلديز وهي تستقل الحافلة في مدينة "سامسون". كانت نور هايات حاملاً في الأسبوع الـ 14 في توائم، وقد رزقت بهذا الحمل بعد محاولات عديدة للإنجاب استمرت ثلاث سنوات، وكان الحمل طبيعيًّا وأوضاع الأجنة مستقرة، إلى أن تم القبض عليها بدعوى أنها عضوة في حركة الخدمة، بدليل استخدامها لبرنامج تواصل اجتماعي يسمى "بايلوك"، ورغم أن هذا التطبيق لم يكن على هاتفها إلا أن المحكمة رفضت طلباتها المتكررة بإطلاق سراحها، بسبب أوضاعها الصحية التي لا تتلاءم مع ظروف السجن السيئة؛ حيث يقبع عدد كبير من السجينات في زنازين لا تتسع لهن. وقد أدت هذه الظروف السيئة إلى إجهاضها في الأسبوع الـ 19 من الحمل. وبعد نقلها إلى المستشفى أعيدت إلى الحبس بعد يومين فقط، في حالة نفسية متدهورة، وقد عبر الزوج عن حالة زوجته بقلق قائلاً: "إنها بدأت تعاني من أمراض نفسية بعد الإجهاض"[31].

حالة مصطفى أردوغان:

مصطفى أردوغان قاضٍ عمره 49 عامًا، كان أحد أعضاء محكمة النقض، ألقي القبض عليه وأودع في الحبس الاحتياطي، وهو يصارع الموت بعد عملية جراحية في المخ، فبعد انتهاء العملية ألقي القبض عليه، وكان في حالة شلل كامل، ومُنعت أسرته من زيارته كما صادرت الحكومة أمواله وممتلكاته.

مصطفى أردوغان كان أحد أعضاء محكمة النقض، ألقي القبض عليه وأودع في الحبس الاحتياطي، وهو يصارع الموت بعد انتهاء عملية جراحية في المخ ألقي القبض عليه، وهو في حالة شلل كامل، ومُنعت أسرته من زيارته وصادرت الحكومة أمواله وممتلكاته.

ذكرت ابنته أن الأطباء طلبوا أن يُجهز فراشه بمرتبة هوائية حتى لا تحدث له مضاعفات، ولكن السلطات رفضت ذلك بدعوى أنها آلة إلكترونية، رغم تأكيد الأطباء أنه لن يعيش في أحسن الأحوال أكثر من سنتين.

كما رفضت المحكمة الدستورية طلبات إخلاء سبيله بدعوى عدم وجود خطر يتهدده في السجن، رغم ما يعانيه من شلل نصفي، ورغم التقرير الذي تقدمت به المستشفى، ترى فيه عدم وجود مانع من إخلاء سبيله ووضعه تحت الملاحظة القضائية وتحديد إقامته، فإن النيابة لم تقبل بهذا التقرير أيضًا. وظل يعاني في ظل هذه الظروف السيئة إلى أن تدهورت حالته الصحية وتم نقله للعناية المركزة، ثم تم إطلاق سراحه وهو يصارع الموت في العناية المركزة يوم 18 أغسطس ليتوفى بعدها ببضعة أيام في 22 أغسطس 2017[32].

حالات الحبس المباشر بعد وضع الحمل

لقد تم تسجيل 20 حالة لامرأة ألقي القبض عليهن

nesemat.com نسيمات nesemat.com

رغعم أن البرلمان الأوروبي يشدد على أن إدارة السجن يجب أن تتحلى بالمرونة لتوفير احتياجات الحامل الموجودة بالحبس، وكذلك المسجونات اللاتي معهن أطفالهن،نجد الحكومة التركية تنتهك تلك الحقوق.

nesemat.com نسمات nesemat.com

مباشرة عقب عمليات الولادة، حيث يقبض عليهن وعلى رضيعهن في المستشفى ويتم اقتيادهن إلى الحبس والتحقيق معهن بتهمة العضوية في حركة الخدمة أو العضوية في الحركات الكردية.

وتعد هذه الإجراءات مخالفة لكل القواعد والتوصيات التي نصت عليها كافة الأعراف والمواثيق الحقوقية الدولية، فطبقًا لما ورد في القواعد المنظمة لحقوق المسجونين بلوائح الأمم المتحدة، وكذلك القواعد التي أقرها الاتحاد الأوروبي عام 2006 فيما يتعلق بالنساء، وأنهن لا بد أن يضعن حملهن خارج السجون، وألا تكبَّل أيديهن أثناء اقتيادهن للحبس، لأن ذلك كله يعد من قبيل التعذيب ويتنافى مع أي معاملة إنسانية"[33].

كما يشدد برلمان الاتحاد الأوروبي على عدة أمور تتعلق بهذا الشأن منها: "على إدارة السجن أن تتحلى بالمرونة لتوفير احتياجات الحامل الموجودة بالحبس، وكذلك المسجونات اللاتي معهن أطفالهن، وعلى إدارة السجن أن تراعي في الحالات التي سيتم فيها إبعاد الأطفال الموجودين بالحبس عن أمهاتهم المسجونات أن تراعي التدريج في هذا الإبعاد، وأن يتم بصورة لا تسبب ألمًا شديدًا للأمهات"[34].

بل إن كثيرًا من هذه القواعد ينص عليها القانون التركي؛ فطبقًا للمادة 16 من قانون العقوبات رقم 5275، الذي أُقرَّ العمل به في 13 ديسمبر 2004[35]. والتي تنص على الآتي: "يطلق -مؤقتًا- سراح كل من يعاني من سوء في حالته الصحية، أو من كانت في حالة وضع للحمل، على أن يتم استئناف فترة حبسهم بعد تحسن حالتهم الصحية. ولا فرق في ذلك بين المحبوسين احتياطيًّا، أو من صدر في حقهم أحكام نافذة.

حالات مرضية أخرى

حالة فرقان ديزدار

فرقان طفل عمره 12 عامًا، كان متوجهًا إلى الخارج مع عائلته لتلقي العلاج من مرض السرطان، ولكن السلطات سحبت منه ومن عائلته جوازات سفرهم، ولم تأذن لهم بالسفر، وهكذا لم يستكمل علاجه وتوفي بعدها بشهرين[36].

حالة موهبة التينتاش

موهبة مدرسة كانت مصابة باللوكيميا، وكانت تتلقى العلاج بصورة مستمرة في مستشفى ميموريال أنقرة، ألقت الشرطة القبض عليها في المستشفى يوم 12 فبراير 2017، ثم نقلت إلى مدينة أكسراي للتحقيق معها، ولم يكن هناك أي سبب يدعو لإيداعها بالحبس، كما فصلتها هي وزوجها تعسفيًّا من العمل وجمَّدت السلطات حساباتهم البنكية، وحتى الآن لا يوجد أي خبر عنها منذ إلقاء القبض عليها[37].

حالة الزوجين أ.م، م.م

كان الزوجان مدرسين، ولديهما طفل عمره 8 أعوام، اعتقلتهما السلطات وأودع الزوج سجن بوجا رغم أنه مصاب باللوكيميا، وقد فقدت إحدى عينيه البصر، كما أُرسلت الزوجة إلى سجن أزمير[38].

حالة أ.أ

كانت تعمل مدرسة أيضًا، وكانت تعالج منذ سنتين من سرطان المخ، ولديها طفلان، فصلت من عملها تعسفيًا، وألقي القبض عليها، وأبلغتْ وسائل الإعلام أنها مُنعت من رؤية أفراد أسرتها كما حرمتها إدارة السجن من تناول الأدوية اللازمة لحالتها الصحية، وأبلغ أفراد أسرتها أنهم قلقون على حالتها الصحية وعلى حياتها[39].

خامسًا: الصيدليات والصيادلة

لم يكن الصيادلة بمعزل عن هذه الحملات التي شنتها الحكومة على العاملين في القطاع الصحي، فقد نالوا نصيبهم منها أيضًا، واضطر كثير منهم إلى إغلاق صيدلياتهم، واعتقل البعض الآخر بتهم لا معنى لها، كما تم حرمان 400 صيدلية في أنحاء تركيا من الدعم الذي تقدمه الحكومة للمرضى من خلال الضمان الاجتماعي، حيث تتكفل بدفع ثمن الدواء، ويصرفه المريض مجانًا من الصيدليات، ثم تتقاضى هذه الصيدليات حساب هذه الأدوية من الحكومة، وبإلغاء الحساب الإلكتروني لهذه الصيدليات من الضمان الاجتماعي تعرضت للإفلاس وتم إغلاقها[40].

تم تسجيل 20 حالة لنساء ألقي القبض عليهن مباشرة عقب عمليات الولادة، بتهمة العضوية في حركة الخدمة أو العضوية في الحركات الكردية.

nesemat.com نسمات nesemat.com

رئيس مؤسسة الصيادلة في مدينة "قيصري" "أزوهان ألوتاش" صرح قائلاً: "هناك ثماني صيدليات أغلقتها مؤسسة الضمان الاجتماعي دون أي تحقيق إداري أو حكم قضائي، واعتقلت الشرطة أصحابها بتهمة الانتماء إلى حركة الخدمة، وهم يواجهون تهمًا جنائية، وخمسة منهم محبوسون احتياطيًا، بينما اثنان منهم تحت الرقابة القضائية، وواحد منهم لا زال طليقًا[41].

وفي مدينة "توكات" تم تعطيل رخصة خمس صيدليات لعامين، مما أجبر هذه الصيدليات على إعلان إفلاسها، كما ألقي القبض على أربعة من مالكي هذه الصيدليات، وفصلت الحكومة أحد الصيادلة العاملين في القطاع الحكومي[42]. كما ألقي القبض يوم 20 سبتمبر 2016 على الصيدلانية "هاجر بوزكورت" في أثناء زيارتها لزوجها في قسم شرطة أزمير، حيث كان يعمل في النيابة العامة في مدينة "أرزينجان" وقبض عليه في 5 سبتمبر 2016 بدعوى المشاركة في محاولة الانقلاب الفاشلة[43]. هذا بالإضافة إلى عشرين صيدلانيًا في مدينة "شانلي أورفة" ألغت مؤسسة الضمان الاجتماعي تصريحهم الإلكتروني، وبالتالي لا يستطيعون بيع الأدوية، بدعوى أن لهم علاقات تربطهم بحركة الخدمة[44].

تم حرمان 400 صيدلية في أنحاء تركيا من الدعم الذي تقدمه الحكومة للمرضى من خلال الضمان الاجتماعي، مما أجبر هذه الصيدليات على إعلان إفلاسها.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

سادسًا: منظمات المجتمع المدني والجمعيات الخيرية

حركة الأطباء العالمية

هي منظمة مجتمع مدني تهتم بشؤون وسلامة الأطباء العاملين في خدمات الرعاية الصحية الشاملة، لا سيما الذين تم اعتقالهم بسبب الحملة الشعواء التي تنفذها الحكومة ضد المجتمع المدني. اعتقلت الشرطة في 29 سبتمبر 2016، 24 عضوًا من الحركة بدعوى أنها مرتبطة بحركة الخدمة المدنية، كما داهمت الشرطة 32 مقرًا للحركة في المدن المختلفة.

تعد حركة الأطباء العالمية هي الوارثة لمنظمة "كونفدرالية الوفاء الصحية" التي حلّت نفسها في 5 يناير 2016[45]، وقد وصل عدد أعضائها 20.000 عضوًا، ولها فروع في كل أنحاء تركيا، كما أجرت خلال العامين الأخيرين فقط 300.000 كشفًا طبيًا، و15.000 عملية جراحية في أكثر من 40 دولة[46]. وقد سافر كثير من العاملين في مجال الرعاية الصحية إلى مختلف الدول الأفريقية تحت مظلة هذه المنظمة العالمية لإجراء عمليات جراحية، وفحصِ كثير من المرضى، والإسهام في تقديم الرعاية الصحية اللازمة في التخصصات التي تفتقدها هذه الدول. وفي إطار الحملة التي تشنها الحكومة ضد مؤسسات المجتمع المدني، تعرضت هذه المنظمة للإغلاق بصورة مفاجئة بالمخالفة للقانون، وأغلقت فروعها العديدة التي كانت ممتدة في 81 محافظة تركية [47]، وبهذه الإجراءات أصبح أعضاؤها والعاملون بها من متطوعين عرضة للاعتقال والمحاكمة، حيث تم تصنيفهم بأنهم من منتقدي الحكومة.

منظمة "كيمسه يوكمو" الخيرية

هي منظمة خيرية بدأت عملها في إسطنبول عام 2004[48]. وتطورت خدماتها لتصبح منظمة دولية، ولديها شراكة عمل مع مفوضية الأمم المتحدة العليا للاجئين، ولكنها لم تسلم من الحملة التي تشنها الحكومة على كل من ينتمي إلى مشروع الخدمة، كما أنها المنظمة الوحيدة التي كانت تشارك بوصفها عضوًا استشاريًّا في المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة، وكانت تقوم بأعمال خيرية منذ أن بدأت عملها ولسنوات في 113 دولة، وقد طورت المنظمة من نفسها حتى أصبحت قادرة على تقديم الإسعافات اللازمة في المناطق المدمَّرة بسبب الزلازل والفيضانات وغيرها من الكوارث الطبيعية، وتزويد تلك المناطق المنكوبة بالرعاية الصحية اللازمة، كما طورت من نفسها لتساعد في إعادة إعمار تلك المناطق المنكوبة، لا سيما في مجال المنشآت الأساسية، مثل إعادة إعمار المنازل وبناء المستشفيات والمدارس.

ولكن مع الأسف استهدفتها الحكومة التركية،

ككل من له علاقة بمشاريع الخدمة في تركيا، فقامت بتعليق رخصة عملها في المجال الخيري والتطوعي[49]. وفي 22 سبتمبر 2016 أُغلقت المنظمة كليًّا إثر انقلاب 15 يوليو 2016[50]. أما فريق عمل المنظمة من المتطوعين فقد ألقت الحكومة القبض عليهم بتهم لا أصل لها[51]. المثير للسخرية أن الرئيس التركي أردوغان نفسه كان قد شارك في هذه المنظمة، بل ودعا رجال الأعمال بالتبرع لصالح المنظمة[52]. لكن عندما تم القبض على "حسين مُتلو" المحافظ السابق لمدينة إسطنبول بدعوى الإرهاب، تضمنت لائحة اتهامه تبرعه بـ 20 ليرة تركية (6 دولارات) لصالح المنظمة[53].

ومن أصل 40 مؤسسًا للمنظمة اعتقل 33 شخصًا منهم في 7 أكتوبر 2016، بعد تجهيز الحكومة لائحة تتضمن 121 شخصًا صدر في حقهم قرار اعتقال، وكان من ضمنهم الرئيس السابق للمنظمة، ولم تفرج المحكمة إلا عن 7 فقط من هؤلاء المحتجزين[54].

منظمة "كيمسه يوكمو" (هل من مجيب) كانت من أهم المنظمات الخيرية التركية، تجاوز عدد المتطوعين فيها 200.000 متطوع من جنسيات مختلفة من 100 دولة، وبإجبارها على إغلاق مؤسساتها في خارج تركيا، توقفت نشاطاتها الخيرية، ومن ذلك إغلاق مستشفى "داف"[55] التي أنشأتها المنظمة في مقديشو عاصمة الصومال، والتي كانت تستقبل 100 مريض يوميًّا.

أغلقت الحكومة منظمة حركة الأطباء العالمية والتي قد وصل عدد أعضائها 20.000 عضوًا، ولها فروع في كل أنحاء تركيا، كما أجرت خلال العامين الأخيرين فقط 300.000 كشفًا طبيًّا، و15.000 عملية جراحية في أكثر من 40 دولة.

nesemat.com نسيمات nesemat.com

سابعًا: طلاب الجامعات الطبية

ما يحدث في تركيا أثَّر سلبيًّا أيضًا على طلاب الكليات الطبية التي أغلقها النظام، حيث واجهوا صعوبات متعلقة بالقبول في الجامعات الأخرى، كما أجبر الطلاب الأجانب الذين وفدوا من بلادهم من خلال برامج تبادل الطلاب على العودة إلى بلادهم، وعدم استكمال برامجهم الدراسية، بل لم يسلم بعض هؤلاء من الاعتقال والحبس في السجون التركية.

ومن أمثلة ذلك الطالب الأوغندي "إبراهيم سروَاجي" الذي كان يدرس في جامعة "إيجه" وهي واحدة من أقدم الجامعات الحكومية في مدينة "أزمير"، كان الطالب قد وفد إلى تركيا من خلال برنامج تبادل الطلاب وفي 20 أبريل 2017، تلقى الطالب اتصالاً هاتفيًّا من مكتب الهجرة الساعة الثالثة فجرًا، يطلبون منه القدوم إلى المكتب لتوقيع بعض الأوراق، وهناك ألقت الشرطة القبض عليه، وأبلغته بأنه سيتم ترحيله، ولم يُسمح له بمكالمة أي أحد، ولم يكن هناك محام في أثناء تلك الإجراءات، وعندما سألوه: "هل تنوي الرجوع إلى أوغندا؟ أجاب، بأنه لم يتبق له على انتهاء دراسته إلا شهران"، وجعلوه يوقع على مستند يقر فيه أنه

منظمة "كيمسه يوكمو" كانت من أهم المنظمات الخيرية التركية، تجاوز عدد المتطوعين فيها 200.000 متطوع من جنسيات مختلفة من 100 دولة، وأجبرتها الحكومة على إغلاق مؤسساتها في خارج تركيا.

nesemat.com نسمات nesemat.com

لا ينوي الرجوع إلى بلده، وظل محبوسًا لشهرين لا يخرج إلى فناء السجن إلا 15 دقيقة يوميًّا، ثم رُحِّل إلى أوغندا دون أن يأخذ أغراضه من السكن، أو يبدل ملابسه التي لم تتغير لشهرين، كما ضاعت عليه سنوات دراسته في كلية الطب بتركيا، رغم ما كان يعانيه من الاختلاف الثقافي واللغوي[56].

الخاتمة

إن إغلاق المنشآت الطبية، من مستشفيات ومراكز طبية علاجية وبحثية وكليات طبية بصورة غير قانونية، وإلقاء القبض على المتخصصين في المجال الطبي، يعدّ حملة من الحكومة لا تستهدف الصالح العام ولا صالح المرضى فقط ولكن تستهدف بصورة رئيسية كل من لديه وجهة نظر مختلفة عما تتبناها الحكومة. والحكومة التركية إذ تمارس هذه الانتهاكات تنتهك ميثاق الأمم المتحدة للحقوق المدنية والسياسية، والمعاهدات التي وقعت عليها، وميثاق حقوق الإنسان الأوروبي.

فالميثاق الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية يؤكد على الحفاظ على حق العمل، كما أن ميثاق منظمة العمل الدولية يؤكد على أهمية حماية الموظفين من الفصل الجماعي دون اتخاذ الإجراءات الإدارية اللازمة، والقانون التركي ينص على هذا أيضًا. والحكومة التركية بفصلها الموظفين العاملين في القطاع الطبي بصورة جماعية، تنتهك المادة 7 من ميثاق العمل الدولي، الذي ينص على أنه "يجب ألا يتم فصل الموظف إلا بعد منحه الفرصة المناسبة للدفاع عن نفسه فيما وجه إليه من اتهامات".

كما أن لجنة الأمم المتحدة للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ذكرت في تعليقها رقم 14 على المادة رقم 12 من الميثاق الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الذي يتضمن شرح الشروط اللازمة والضرورية للحصول على الحق في الصحة، ويؤكد على وجود علاقة وطيدة بين الحق في الصحة وباقي الحقوق الرئيسية، فجميعها يجب أن تكون متاحة وعلى درجة من الجودة، وألا يتم التمييز بين المواطنين في الرعاية الطبية. ويبدو أن الحكومة التركية ما عادت تحمي" الحق في الرعاية الصحية"، الذي عرفه الميثاق الاجتماعي الأوروبي، وميثاق حماية حقوق الإنسان والحفاظ على كرامته والمتعلق بقسم البيولوجيا والطب، وميثاق حقوق الإنسان والعلاج الحيوي الذي يطالب الدول الأعضاء بتأمين "الوصول لرعاية طبية ذات جودة وبعدم التمييز بين المواطنين في تقديمها لهم، وأن ينص دستورها لدول الأعضاء على ذلك".

من الواضح والبين أن قرار الحكومة التركية إغلاق المستشفيات ومؤسسات الرعاية الطبية لم

يتم طبقًا لتحقيق إداري أو حكم قانوني نافذ بحق تلك المنشآت، ولكنها قرارات انتقامية من الفئات المعارضة أو المنتقدة لأداء الحكومة، وقد قامت الدولة بتمييز تجاه تلك الفئات المعارضة لا سيما أنها لم تمنح تلك المنشآت فرصة لتفادي النتائج السلبية التي نتجت عن تلك القرارات، ومن الواضح أن الحكومة لم تعد تبالي بالتزامها بتوفير الرعاية الطبية لكل مواطنيها.

ونتيجة ذلك: مرضى لا يستطيعون الوصول على الرعاية الطبية اللازمة، أو الوصول إلى رعاية طبية بلا جودة، والانتظار فترات طويلة للوصول إلى تلك الرعاية اللازمة، لا سيما المناطق التي تعاني من نقص المتخصصين من الأطباء قبل إغلاق المراكز الطبية والمستشفيات.

ومن ثم فصنَّاع هذا التقرير يطالبون الحكومة التركية بإطلاق سراح المتخصصين في مجال الرعاية الطبية من الأطباء وغيرهم ممن تم اعتقالهم وحبسهم من غير وجه حق، ويشددون على إسقاط ما وجه إلى هؤلاء المعتقلين من تهم باطلة عارية عن الصحة، ويحضون الحكومة على اتباع القانون فيما يتعلق بإغلاق المؤسسات الطبية، وألا تغفل عن التزاماتها أمام المواثيق الدولية التي وقعت عليها الدولة.

وكذلك يندِّد صنَّاع التقرير بانتهاكات الحكومة التركية لحقوق المعتقلين وإهمال الرعاية الطبية اللازمة لهم، لا سيما النساء ومن يعانون أمراضًا خطيرة مزمنة، حيث تتعمد الحكومة ممارسة كل

nesemat.com نسمات nesemat.com

إن منظمة "كيمسه يوكمو" كانت المنظمة الوحيدة التي تشارك بوصفها عضوًا استشاريًّا في المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة، ورغم ذلك أجبرتها الحكومة على إغلاق مؤسستها.

هذه الانتهاكات واستخدامها نوعًا من التعذيب البدني والنفسي لهؤلاء المعتقلين.

إننا ندعو الحكومة التركية باسم القانون، أن تكف عن هذه الممارسات الجائرة، وأن تحترم العهود والمواثيق الدولية الحقوقية التي وقعت عليها، وأن تلتزم في إجراءاتها مع مواطنيها العدالة والقانون. ■

الهوامش

(1) İşte kapatılan sağlık kuruluşlarının listesi, NTV, 25 July 2016, http://www.ntv.com.tr/saglik/iste-kapatilan-saglik-kuruluslarinin-listesi,FG1JXVEOC0iEDt72WP0Q6g

(2) Amongthisfigureincludes675professorsandassistant professors who were specialized in medical science.

(3) YÖK Başkanı: "Doktor ve hemşire ihtiyacı 2024'te tamamlanacak", 23 November 2017, https://www.medimagazin.com.tr/hekim/genel/tr-yok-baskani-doktor-ve-hemsire-ihtiyaci-2024te-tamamlanacak-2-12-75356.html

(4) "Sağlık Bakanı Ahmet Demircan: Uzman doktor açığını 10 yılda kapatmayı planlıyoruz", 13 November 2017, http://www.haberturk.com/saglik-bakani-ahmet-demircan-uzman-doktor-acigini-10-yilda-kapatmayi-planliyoruz-1671435

(5) Article 9 states that patient has a right to choose and replace his or her own doctor. http://www.mevzuat.gov.tr/Metin.Aspx-?MevzuatKod=7.5.4847&MevzuatIliski=0&sourceXmlSearch=hasta%20haklar%C4%B1

(6) "OHAL'de hekim bilançosu: 3 bin 315 hekim ihraç edildi", 21 July 2017, https://www.birgun.net/haber-detay/ohal-de-hekimbilancosu-3-bin-315-he-

(19) ”FETÖ operasyonu kapsamında 7 doktor tutuklandı”, 4 August 2016, http://www.iha.com.tr/haber-feto-operasyonu-kapsaminda-7-doktor-tutuklandi-578006/

(20) “FETÖ’den sorgulanan yardımcı doçent intihar etti”, 28 February 2017, http://www.hurriyet.com.tr/fetoden-sorgulanan-yardimci-docent-intihar-ett-40380161

(21) “Yard. Doç. Dr. Akdağ’ın amcası: İntihar değil”, 1 March 2017, http://www.hurriyet.com.tr/yard-doc-dr-akdagin-amcasi-intihar-degil-40381403

(22) ”FETÖ’den tutuklu doktor cezaevinde kalp krizinden öldü”, 24 March 2017, http://www.hurriyet.com.tr/fetoden-tutuklu-doktor-cezaevinde-kalp-krizinden-oldu-40405736

(23) “Sağlık Istatistikleri Yıllığı 2016 Haber Bülteni”, T.C. Sağlık BakanlığI Sağlık Araştırmaları Genel Müdürlüğ ü, 2017 http://www.metaveri.saglik.gov.tr/book/SIY_2016_Haber_Bulteni.pdf

(24) “CHP’li İrgil›den SGK ile ilgili carpıcı iddia!”, 25 September 2017, http://www.dha.com.tr/politika/chpli-irgilden-sgk-ile-ilgili-carpici-iddia/haber-1545548

(25) ‘’Annelere zulümde bugün, hasta bebeğiyle gözaltında’’, 19 February 2017, http://magduriyetler.com/2017/02/19/annelere-zulumde-bugun-hasta-bebegiyle-gozaltinda/Europe

(26) ”Genç bir doktorun OHAL sonucu ölümü”, 21 February 2017, http://www.kronos.news/tr/genc-bir-doktorun-ohal-sonucu-olumu/

(27) ”İntihar eden Sevgi hemşirenin hikayesi: İhraç, işsizlik...”, 1 September 2017, https://www.evrensel.net/haber/331086/intihar-eden-sevgi-hemsirenin-hikayesi-ihrac-issizlik

(28) ‘’Sağlık İstatistikleri Yıllığı 2016 Haber Bülteni’’ 29 September 2017 http://www.metaveri.saglik.gov.tr/book/SIY_2016_Haber_Bulteni.pdf

(29) Joint Commission International (JCI) accreditation is considered the gold standard in global health care. world. http://www.jointcommissioninternational.org/about-jci/who-is-jci/or

(30) “Gözaltında akli dengesini yitiren öğretmen cezaevine kondu”, 27 February 2017, http://magduriyetler.com/2017/02/27/gozaltinda-akli-dengesini-yitiren-ogretmen-tekrar-cezaevine-kondu/

(31) “Bu Haksızlıkları Durdurun” 15 October 2016, http://www.sozcu.com.tr/2016/yazarlar/emin-colasan/bu-haksizliklari-durdurun-1448641/

(32) “Ölene Kadar Tutuklama”, 24 Ağustos 2017 https://www.birgun.net/haber-detay/olene-kadar-tutuklakim-ihrac-edildi-171010.html

(7) The freedom of enterprise guaranteed under Article 48 of the Constitution protects the right of all real persons and legal entities to establish enterprises. As stated in the article, this freedom is regulated as an economic and social right with the aim of providing the individual “economic peace and prosperity.”

(8) “Sağlık Bakanı Akdağ: 6 bin personel açığa alındı”, 13 August 2016, http://www.bbc.com/turkce/haberler-turkiye-37069290

(9) “Tüm KHK’lar bazında; kurum kurum, ihraç ve iade sayıları”, 1 August 2017, https://www.memurlar.net/haber/684749/tum-khk-larbazinda-kurum-kurum-ihrac-ve-iade-sayilari.html

(10) Sağlık İstatistikleri Yıllığı 2016 Haber Bülteni’’, 29 September 2017 http://www.metaveri.saglik.gov.tr/book/SIY_2016_Haber_Bulteni.pdf

(11) ‘’Turkey: No end in sight: purged public sector workers denied a future in Turkey’’, Amnesty International, 22 May 2017, https://www.amnesty.org/en/documents/eur44/6272/2017/en/

(12) “Opinion on Emergency Decree Laws N°s667-676 adopted following the failed coup of 15 July 2016, adopted by the Venice Commission at its 109th Plenary Session, 9-10 December 2016”, CDL-AD(2016)037-eTurkey, http://www.venice.coe.int/webforms/documents/?pdf=CDL-AD(2016)037-e

(13) “Erdoğan on academic purge: Professors must also pay the price”, 18 February 2017, https://www.turkishminute.com/2017/02/18/erdogan-academic-purge-professors-must-also-pay-price/

(14) ”Yılın doktoru’ tutuklandı, hastalar mağdur”, 30 September 2017, http://magduriyetler.com/2017/09/30/yilin-doktoru-tutuklandi-hastalar-magdur/

(15) “Prof. Dr. Haluk Savaş: Her şey güzel olacak”, 20 June 2017, http://khkliplatformu.com/prof-dr-haluk-savas-her-sey-guzel-olacak.html

(16) “Interpol Helped Harvard Educated Professor Get Tortured In Turkish Prison”, 30 August 2017, https://stockholmcf.org/interpol-helped-harvard-educated-professor-get-tortured-in-turkish-prison/

(17) “Prosecutor seeks 15-year jail term for Fethullah Gülen’s dentist”, Turkish Minute, 2 January 2017, https://www.turkishminute.com/2017/01/02/prosecutor-seeks-15-year-jail-term-fethullah-gulens-dentist/

(18) “Diş Hekimi Karı-kocanın Fetö Davası”, 16 February 2017, https://www.haberler.com/dis-hekimi-kari-kocanin-feto-davasi-9272500-haberi/

tained over ties to Gülen, Turkish Minute, 29 September 2016, https://www.turkishminute.com/2016/09/29/24-members-global-doctors-movement-detained-ties-gulen-movement/

(47) Kapatılan dernek ve vakıflar listesi", 23 July 2016, http://www.haberturk.com/gundem/haber/1270884-kapatilan-dernek-ve-vakiflar-listesi

(48) Wikipedia, https://tr.wikipedia.org/wiki/Kimse_Yok_Mu_Derne%C4%9Fi

(49) "Kimse yok mu derneğinin şardım toplama yetkisi kaldırıldı," Hürriyet, 2 October 2014, http://www.hurriyet.com.tr/kimse-yok-mu-derneginin-yardim-toplama-yetkisi-kaldirildi-27314395

(50) "Kimse Yok Mu derneği kapatıldı," Hürriyet, 23 July 2016, http://www.hurriyet.com.tr/kimse-yok-mu-dernegi-kapatildi-40164991

(51) "Kimse Yok mu derneğine operasyonda 33 tutuklama," Cumhuriyet, 7 October 2016, http://www.cumhuriyet.com.tr/haber/turkiye/611542/Kimse_Yok_Mu_Dernegi_ne_operasyonda_33_tutuklama.html ; "Kapatılan Kimse Yok mu derneğine yönelik operasyonda 29kişi tutuklandı," aa, 10 April 2017, http://aa.com.tr/tr/turkiye/kapatilan-kimse-yok-mu-dernegine-yonelik-sorusturmada-29-kisi-tutuklandi-/793737

(52) "Erdoğan, 'Kimse Yok Mu' derneği aracılığıyla Somali için byle yardım istemişti," t24, 28 September 2016,http://t24.com.tr/video/erdogan-2001-yilinda-insanlik-oldu-mu-kimse-yok-mu-dernegi-araciligiyla-somali-icin-boyle-yardim-istemisti,3202

(53) Vali Mutlu savunmasını ağlayarak yaptı," Cumhuriyet, 24 August 2017, http://www.cumhuriyet.com.tr/haber/turkiye/810174/Huseyin_Avni_Mutlu_savunmasini_aglayarak_yapti__Ne_Musa_ya_ne_isa_ya_yaranabiliyorum.html

(54) "Turkey arrests 33 members of Kimse Yok Mu aid foundation over Gülen ties", 7 October 2016, https://www.turkishminute.com/2016/10/07/turkey-arrests-33-members-kimse-yok-mu-aid-foundation-gulen-ties/

(55) "Turkey's post-coup crackdown moves overseas", 1 August 2016, https://www.ft.com/content/4f8d6d3e-55a3-11e6-befd-2fc-0c26b3c60

(56) "Turkey has stolen the future of a medical student from Uganda", Abdullah Bozkurt, 12 October 2017, https://www.turkishminute.com/2017/10/12/opinion-turkey-has-stolen-the-future-of-a-medical-student-from-uganda/.

lama-176179.html

(33) 10th General Report on the CPT's activities (1999) including a section on Women deprived of their liberty, paragraph 27, www.cpt.coe.int/en/docsannual.htm.

(34) Recommendation Rec(2006)2 of the Committee of Ministers to member states on the European Prison Rules (2006, January11), https://rm.coe.int/CoERMPublicCommonSearchServices/DisplayDCTMContent?documentId=09000016806f3d4f

(35) ''Ceza ve güvenlik tedbirlerinin infazi hakkinda kanun'' 13 December 2004, https://www.tbmm.gov.tr/kanunlar/k5275.html

(36) "12 yaşındaki kanser hastası Furkan OHAL kurbanı", 8 February 2017, http://www.kronos.news/tr/12-yasindaki-kanser-hastasi-furkan-ohal-kurbani/

(37) "Turkish police wait at hospital to detain cancer patient", 11 February 2017, https://turkeypurge.com/police-wait-at-hospital-todetain-cancer-patient

(38) "Leukemia patient, pregnant wife under arrest over coup charges", 20 September 2016, https://turkeypurge.com/leukemia-patient-pregnant-wide-under-arrest-over-coup-charges

(39) "Savci geçmişini unuturmak için anne ve çocuklara zulüm talimati Verdi", 26 February 2017, http://www. tr724.com/savci-gecmisini-unuturmak-icin-anne-cocuklara-zulum-talimati-verdi/

(40) "Eczaneden 400 FETÖ'cü çıktı", 29 October 2016, http://www.sabah.com.tr/ekonomi/2016/10/29/eczaneden-400-fetocu-cikti

(41) "Kayseri'de FETÖ'den 1 eczanenin sözleşmesi feshedildi", 1 November 2016,http://www.kayserianadoluhaber.com.tr/haber/kayseride-fetoden-1-eczanenin-sozlesmesi-feshedildi

(42) Tokat'ta FETÖ'den kapatılan eczane sayısı 5'e çıktı",27 August 2016, http://www.iha.com.tr/tokat-haberleri/tokatta-fetoden-kapatilan-eczane-sayisi-5e-cikti-tokat-1480681/

(43) "Wife of detained former prosecutor also detained during visit to husband", 20 September 2016, https://turkeypurge.com/wifeof-detained-former-prosecutor-also-detained-during-visit-to-husband

(44) "Şanlıurfa›da 20 Eczane'ye FETÖ darbesi", 21 October 2016, http://www.urfanatik.com/yerel/sanliurfa-da-20-eczane-ye-feto-darbesi-h56280.html

(45) "VESKON tanıtım filmi," https://www.youtube.com/watch?v=QqPY20i1LHc

(46) 24 members of Global Doctors Movement de-

نسمات

دراسات حول مشروع الخدمة

إصدارة علمية بحثية متخصصة

تصدر عن دار الانبعاث للطباعة والنشر والتوزيع

www.nesemat.com

Copyright©2019 Dar al-Inbiath

جميع الحقوق محفوظة، ولا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو نقله بأي شكل أو بأية وسيلة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير الفوتوغرافي أو التسجيل أو وسائل تخزين المعلومات وأنظمة الاستعادة الأخرى بدون إذن كتابي من الناشر.

إعداد وإشراف
صابر المشرفي

تحرير وتصحيح
هيئة النشر

اللجنة الاستشارية العلمية
د. محمد إقبال عروي
د. محمد جكيب
د. سعيد بويزري
د. محمد باباعمي
د. أبو زيد عبد الرحيم
د. هدى درويش
د. سليمان الدقور
د. باسم عيتاني
د. جمال السفرتي
د. فؤاد البنا
د. عبد الله الدعجاني

تصميم فني
نور الدين محمد

غلاف
محمد أشرف

البريد الإلكتروني
nesemat@yahoo.com

التوزيع
دار الانبعاث للطباعة والنشر والتوزيع، مصر
Mobile: 002 01000780841
002 01067251063
العنوان: 22ج جنوب الأكاديمية، شارع التسعين الشمالي، القاهرة الجديدة

الترقيم الدولي
978-977-6704-02-2

رقم الإيداع
2019/22564

رقم النشر
013

القاهرة - مصر

نسمات

إصدارة علمية بحثية متخصصة

نسمات إصدارة علمية بحثية متخصصة في دراسة مشروع الخدمة والرؤية الإصلاحية للأستاذ فتح الله كولن في أبعادها الفكرية وتجلياتها التطبيقية. وهي تندرج في إطار الأعمال البحثية الميدانية المتخصصة في ظاهرة اجتماعية ما، تسلط الضوء عليها، وتسبر أغوارها بعمق، وتكشف عن حيثياتها ومآلاتها، وتعقد صلتها بخبرة الماضي، وتدرس فاعليتها في الحاضر، وتستشرف امتدادها في المستقبل، لتخرج بنتائج علمية تشكل إضافة نوعية إلى المعرفة الإنسانية والخبرة البشرية.

يهدف مشروع نسمات إلى سبر أغوار نموذج الخدمة والرؤية الحضارية للأستاذ فتح الله كولن ودراستها من زوايا شتى، سواء من الناحية النظرية الفكرية، أو من الناحية العملية التطبيقية. ومن ثم تحث الباحثين في المجال الفكري الحضاري على السعي معها في هذا المضمار، وترحب بكل عمل جاد يساعدها على تحقيق مبتغاها.

شروط النشر

- أن تكون المشاركة جديدة لم يسبق نشرها.
- أن تكون دراسة متصلة بمشروع الخدمة وفكر الأستاذ فتح الله كولن.
- أن تكون المشاركة إسهاما إيجابيا مثريا، تشكل إضافة نوعية في القراءة والنقد والتحليل وتتوافق مع المعايير العلمية المعروفة.
- ألا تقل عن ١٥٠٠ كلمة وألا تزيد على ٧٠٠٠ كلمة.
- أن يرسل الباحث ملخصا لمشاركته في حدود ٢٥٠ كلمة.
- تخضع المشاركات المعروضة للنشر لموافقة لجنة استشارية علمية، وللجنة العلمية أن تطلب من الباحث إجراء أي تعديل على المشاركة قبل إجازتها للنشر.
- هيئة التحرير تلتزم بإبلاغ أصحاب المشاركات بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- تحتفظ هيئة التحرير بحقها في نشر المشاركات وفق خطة التحرير وحسب التوقيت الذي تراه مناسبا.
- المشاركات التي تنشر في نسمات تعبر عن آراء كتابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- لـ"نسمات" حق إعادة نشر المشاركات منفصلة أو ضمن مجموعة من الأبحاث، بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى أي لغة أخرى دون حاجة إلى استئذان صاحبها.
- نسمات لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- يرجى من الباحث أن يرفق مع المشاركة نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية مع صورة واضحة مناسبة للنشر.
- يرجى إرسال جميع المشاركات إلى العنوان الآتي: nesemat@yahoo.com

- بيان القلب الساحر بلا حروف أو كلمات..
- صوت الصمت المدوي في عصر الصخب والضجيج..
- كتاب للأستاذ فتح الله كولن..

مركز التوزيع: دار الانبعاث | daralinbiath@gmail.com | 00201023201002
www.souq.com
مكتبة الشروق | Shorouk Bookstores | مكتبة فكرة ستي ستارز

nesemat.com
نسمات
للدراسات الاجتماعية والحضارية

التاريخ في منظور كولن هو تاريخ أزمات الإنسان الوجودية خارج دائرة الزمان والمكان، التي احتاجت معها الإنسانية إلى من يدلها على طريق النجاة، ويصلح العمران ويرمم ما أفسده الإنسان نفسه.

لكل مفكر ومصلح فكرة محورية يدور حولها بحيث تنبثق منها كل أفكاره، والفكرة المحورية عند الأستاذ فتح الله كولن هي تربية الإنسان وإعادة صياغته من جديد.

ينبغي أن تتغذى ثقافتنا الذاتية بورود حدائقنا وعصارات جذور معانينا وأرواحنا، حتى نبلغ مبتغانا من الفن والذوق الرفيع في كل شأن من شؤون حياتنا.

ISBN 978-977-6704-02-2
9 789776 704022